أكل العيش

چيهان الغرباوي



أكل العيش

مقالات من الأدب الساخر

تأليف

جيهان الغرباوي

المؤلفة في سطور

* كاتبة صحفية بجريدة الأهرام.

* سبق لها العمل كمحررة تحقيقات بمجلة صباح الخير، مؤسسة روز اليوسف، ومجلة "الأهرام العربي" ومجلة "الأهرام الرياضي" .

* عملت كمسئولة عن قسم المرأة في عدد من المجلات والجرائد العربية.

* بكالوريوس إعلام – قسم صحافة – جامعة القاهرة.

* قامت برحلات صحفية لعدة دول عربية وأوروبية وتعد عنها الآن كتابًا – تحت الطبع – في أدب الرحلات.

* جميع المقالات الواردة بكتاب "أكل العيش" سبق نشرها في العدد الأسبوعي لجريدة الأهرام، ما بين عام ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٤ بملحق (أيامنا الحلوة) المتخصص في الكتابة الساخرة.

***

إهداء

إلى تواضع إسماعيل يس

وكبرياء عبد السلام النابلسي

إلى كتاكيت زينات صدقي

ودلع ماري منيب

ومن أجل عيون عبد الفتاح القصري

إلى وسامة وظرف محمد فوزي

وإلى الشربات المكرر والسكر المذاب في مسرحيات يوسف السباعي ودائمًا أبدًا..

إلى سخرية القدر ومفارقات حياتنا الواقعية التي أتأكد يومًا بعد يوم، أنها أبعد من أي خيال وأقوى من كل فكاهة وردت في كتاباتي الضاحكة أو مقالاتي الكوميدية!!!

جيهان

فهرس

كتبوا كتابك.. يا نقاوة عيني

قال رحت أبيع الحنة كترت الأحزان.. وقلت أبيع كتـــان، خلصت النسوان!

كانت "شورة عورة" وكنتـــي فـــين يـــا لأه. لمـــا قلـــت آ آه ه..؟

غيرش هي زناخة المخ وقلة الخبرة، والزن ع الودان أمرّ من السحر..

منه لله كَبَّرها في دماغي ودلني على سكة التأليف والكتب وأنا بسلامة نيتي صدقت، وقلت: وما له.. أجمـــع مقـــالاتي وأكتب كتابًا بعنوان "أكل العيش" على أن يكون ساخرًا ناقـــدًا ضاحكًا، فلسفيًّا لوذعيًّا لاسعًا، وأنشر وأبيع وأقبض، ومع كل طبعة جديدة للكتاب، أجلس مع الناشر لأتفاوض بثقة متناهية، و"عنطزة" جزافية، حول نسبتي من عائد المبيعـــات (تقـــولش مذكرات هيلاري كلينتون؟).

لأ.. والأدهى، إني عشت الدور، وأخذتني الجلالة وفكرت أنه قد يكون لطيفًا وإنسانيًّا، لو خصصت ريع الطبعة الأولى لصالح الانتفاضة الفلسطينية، وتنازلت عن أربـــاح الطبعـــة

الثانية للأطفال الجرحى في العراق، وجعلت عائــد الطبعــة الثالثة لضحايا الدروس الخصوصية وشهداء الطعميــة فــي مصر.

ويكفيني من توزيع الكتــاب – داخــل الــوطن العربــي وخارجه – نسبتي القانونية في باقي الطبعات (تقولش روايات أجاثا كريستي؟)..

والحقيقة أني تماديت وسقت فيها، بدفع وتشجيع خبيث، من أصدقاء لي وزملاء في المهنة، أوعز لي بعضهم، أن كتــابي المنتظر سيكون الأكثر انتشارًا بين الشباب، والأكثر رواجًــا في معرض الكتاب، والأغلب أنه "هايكسَّر الدنيا" وليس بعيدًا لو تطورت الأمور، وصارت أفكاره سيناريو فيلم سينمائي أو مسلسل تليفزيوني!

وهكذا عشت في ظل هذه التخيلات الجميلــة، والأوهــام اللذيذة، حتى صدمتني الحقيقة أخيرًا، فاكتشــفت أن نصــف الزملاء الذين كانوا يشجعونني، لم تكن نيتهم خالصة، تأكيــدًا لمبدأ "عدوك ابن كارك" بينما النصف الآخر، كان مضــطرًّا للمجاملة ومجاراة تصوراتي الوردية الزائفة، تماشيًا مع المثل

القائل: "لو قابلك العبيط راكب بوصة، قول لـــه مبـــروك ع الحصان"!!

وحيث إن الاعتراف بالحق فضيلة، عترفت لنفســي بكـل شجاعة أني – لا مؤاخذة – اسم الله على مقامكم "عبيطـــة".. فيه حد عاقل الأيام دي، يفكر يبقى مؤلف ويكتب كتب وكمان عايز يكسب منها؟

قُطْعِت الثقافة وسنينها، ثم احنا في إيه ولا في إيه؟! الناس في عرض كيلو رز وإزازة زيت، وبتستمنى ريحة اللحمـــة، وأملها تتحصل على فرخة وطبخة كوسة من أم ٤ جنيه، وأقل سعر للكتاب هذه الأيام (١٠ – ١٥) جنيه، طب بذمتك أنـــت، تشتري كتاب، ولا تدخل ع العيال بنص كيلو لحمة؟

تدفع فلوسك في "غذاء الروح" ولا تبعزق ماهيتـــك فـــي حاجة مفيدة وتقف عند الجزار، بكل ثقة وشموخ، تطلب منـــه أن ينتقي لك بعناية ٢ كيلو عظم وصاية، وشوية مواسير على كيفك، تعمل عليهم شوربة تصد البرد وتسند القلب وتجـــري الدم في العروق.. طب والختمة الشريفة على عينـــك تقـــول الحق.

أيهما الأحب إلى قلبك، والأكثر تأثيرًا في نفسك.. الكتاب أم الكباب؟

اتكلم بصراحة، أنا فهماك ومقدرة موقفك.. الحياة بقت صعبة، والعيشة غالية ومهما كنت، عزيزي القارئ، مؤمنًا بالثقافة أو متيمًا بالفكر ومدمنًا للقراءة، فأغلب الظن أنك تكتفي حاليًا بقراءة الجورنال، واللي يدور عليك يلاقيك سالفه!

لهذا ونزولاً على رغبة الجماهير الغفيرة، وانحيازًا للمطحونين، وتقديرًا لمشاعر الكادحين، كنت قد قررت أن أضحي بأحلامي العريضة، في أن أصبح مؤلفة شهيرة، أو كاتبة مرموقة، وأؤجل نشر كتابي الأول، وأضن على معرض الكتاب الدولي وأحرم مستقبل الثقافة العربي من إصدار واعد لحين تحسين الظروف الاقتصادية، وتوافر ما يلزم لشراء الكتب، على هامش دخل الأسرة المصرية، يحيينا ويحييكم المولى.

وبينما الوقت يمضي وأنا أدندن أغنيتي المفضلة:

كتبوا كتابك يا نقاوة عيني.. يوم الهنا يا حلوة يوم ما تجيني..

إذا بالقدر يلعب لعبته، ولا فيش هروب من المكتوب..

تدخل أولاد الحلال، وبعون الله وتوفيقه صـــدر الكتـــاب بمعجزة سماوية ووصل إلى يديك بعد جلسة نقـــاش طويلـــة ومغلقة على هامش آخر مؤتمر للقمة العربية..

اختلف فيه الإخوة العرب على كل شيء، واتفقـــوا علـــى شيء واحد أخيرًا هو ضرورة طرح هذا الكتاب بالأسواق في أقرب فرصة ممكنة وتعميم وجـــوده فـــي كافـــة المكتبـــات والمنتديات والأمكنة، وقد اعترضت علـــى القـــرار معظـــم الصحف الإسرائيلية، وانسحبت قوات الكوماندوز الأمريكية، وامتنعت عن التصويت دولة مكرونيزيـــا وقبائـــل الهوســـا الإفريقية.

ومع ذلك صدر الكتاب (لا تتعجب.. إنها إرادة الله).

جمعية المرأة المتوحشة (١)

من الصباح الباكر بدأ العمل، استعدادًا للمـؤتمر النسـوي الكبير، المزمع عقده بمقر جميعة المرأة المتوحشـة، تحـت شعار "منه لله.. قاسم أمين"!.

ومع توالي ساعات النهار الأولى يزداد الزحام عند مدخل الجمعية الرخامي المهيب.

العضوات المؤسسات يتوافدن الواحدة تلو الأخرى والعمال منهمكون في أعمال النظافة، والفراشة، وتوزيـع قصـاري الزرع ، وضبط المكيفات وأجهزة الصوت، ورفع يافطـات الدعاية، المعبرة عن فكر ومبادئ الجمعية ومحاور النقـاش الأساسية في جلسات المؤتمر النسائية الائتلافية الكونفدرالية.

يافطة تقول "وكسة المرأة المعاصرة.. في عالم سـكالانس متغير".

ويافطة تحمل عنوان "عمل المرأة بين إشـكاليات التنميـة المستحيلة.. وتحديات المستقبل المنيل بستين نيلة".

وأخرى مكتوبة بخط أحمر عـريض، شـعارها "الآفـاق الاستراتيجية والتجربة الجريئة.. للمرأة العاملة وسـط نـاس بيئة"!

هكذا تعددت واختلفت المحاور والمبادئ والاتجاهات التي عبرت عن نفسها في قاعة الاجتماعات الكبـرى للجمعيـة.. وفي الواحدة ظهرا، كانت القاعة قد اكتظـت بالحاضـرات، وأصوات متداخلة وأحاديث متشابكة وصيحات ترحاب أنثوية مفاجئة، قد جعلت للمكان ضجيجا غير محتمل يجلب الدوار.

لذلك اضطرت رئيسة الجلسة الافتتاحية، أن تطـرق بيـد الهون عدة طرقات مجلجلة مصلصلة، كي تلتفت الحاضرات نحو منصة إلقاء الكلمة، مع التزام مقاعدهن، وإبداء الهـدوء، وبذل الانتباه اللازم..

وقد أوحت صلصلة يد الهون لإحداهن، أن تتقـدم نحـو الميكروفون وتفتتح الجلسة بقولها: الأولة بسم الله.. والثانيـة بسم الله.. والتالتة رقوة محمد بن عبد الله.. أيتها الأخـوات.. السـيدات والآنسـات وعضـوات الجمعيـة المـوقرات.. المتوحشات.. لقد جئنا هنا اليوم، من أجل نصرة المرأة فـي

كل مكان ومجال.. جئنا هنا كي نعلنها صريحة ومدوية.. جئنا نقول "لا"..

(تصفيق حار، وهتاف وصفير).

تهدئ المتحدثة الرقيقة، من روع العضوات المتحمسات وتشير إليهن بالجلوس، ثم تكمل بصوتها الناعم:

جئنا اليوم، لنعلنها في وجه الرجل.. الرجل الشرقي المتحفظ المتحيز المتعفن، نقول له "لا".. المرأة تعد مغفلة كأيام العهد البائد..

لم تعد منا ولا بيننا من تنخدع بشعارات المساواة البراقة أو تطمع في أحلام التحرر الزائفة، أو تلهث خلف فرصة عمل تهيئ لها وهم الاستقلال المادي، وحق تقرير المصير. المرأة اليوم ناضجة واعية ومجربة، جربت قيود الوظيفة، وبهدلة المواصلات، وسماجة الرؤساء، ونذالة الزملاء، وأخيرا عرفت وقررت بإرادة حرة مستقلة، أنها لا بد وأن تعود للبيت، رغم أنف الحاقدين والكارهين ورغم كيد الكائدين، ودعاوى المشاركة الحياتية والاقتصادية، التي يروج لها رجال خبثاء عديمو الجدوى والمسئولية، هدفهم الدنيء

والدائم استغلال المرأة أسوأ استغلال والاعتماد عليها في الإنفاق على البيت والعيال..

أيتها الأخوات. المرأة الضعيفة مستهدفة، ومستغلة ومستباحة الحقوق، ومهدرة الكرامة في شتى المناحي وعلى جميع المستويات.. فهيا بنا نتوحش.. ونقول "لا".. لا لبلطجة الرجل.. لا لبهدلة العيال.. ولتسقط الحضانات، وزنقة الأتوبيسات، وليذهب للجحيم كل من دعا بدعوة قاسم أمين.. جيبتو لنا الدوالي.. جاتكم الدواهي.. (تصفيق حار وتشجيع وهتاف).

بعد مدة عادت "الست الريسة" تصلصل بيد الهون" طلبا للهدوء والانضباط بين السيدات والآنسات العضوات.

وأخيرا بدأت حلقة النقاش المفتوح، بين المسئولات على المنصة، والمشاركات الجالسات أمامهن في مقاعد الجمهور.

والسؤال الأول للآنسة "سنية عبدالشكور عبدالمتعال" التي هبت واقفة مكانها، وقد أمسكت الميكروفون بإحدى يديها المربربتين وقربته من شفتيها الغليظتين، فلطخته بالروج الأحمر القاني.. بينما هي مندمجة تقول: السيدة الواقعية رئيسة الجمعية.. زميلاتي العضوات.. المتمردات

المتوحشات.. انتبهن كلكن أجمعين "سوق الحلاوة جبر.. وادلعوا الوحشين"!.

والسبب تلوث البيئة الخطير، الذي يشكل الآن اعتداءً سافرًا على جمال المرأة وأنوثتها ورشاقتها وبالتالي قدرتها على الإقناع والجذب والتأثير، الرصاص وعادم السيارات، يصيب بشرتها بالبثور والحبوب والنمش، والماء الملوث بالصرف الصحي والصناعي يتسبب في سقوط الشعر وتقصيف الأظافر، أما الضوضاء والسحابة السوداء، فهي أهم الأسباب للتجاعيد المبكرة، هذا غير ازدحام الشوارع، الذي يمنعنا من مزاولة الرياضة وفساد الأغذية الذي سيجعل الواحدة منا شخصية وحدوية انبعاجية تروتسكية، وأقرب ما تكون لشكل زكية زكريا!

قلق وانزعاج يسود صفوف الحاضرات، لكن رئيسة الجلسة تتدخل لعودة الهدوء واستكمال النقاش، بعد أن أحالت الشكوى للجنة البيئة، بهدف التقصي والدراسة والإفادة..

السؤال الثاني، للأستاذة "سعاد عبدالمتوكل الصابر أيوب" تشتكي فيه ارتفاع أسعار الذهب في الآونة الأخيرة، الأمر الذي ينذر بكارثة محققة تقع أول ما تقع على رأس بنات

حواء، اللائي يعانين بالفعل أزمة طاحنة في فرص الارتباط، فما بال الحال بعد ارتفاع سعر الذهب، وتكلفة الشبكة على العريس وعزوف عدد أكبر من الشباب عن مشروع الخطبة والزواج؟!

رئيسة الجلسة تشير بيديها تقول: يا أستاذة سعاد اطمئني.. "الغاوي ينقط بطاقيته"، ومع ذلك فالجمعية لها موقف حازم وحاسم، من بورصة الذهب العالمية، ومؤقتا نحاول نشر مراكز التعارف والزواج بالكمبيوتر.. إيبيبيه .. عل وعسى.

تقفز فتاة فجأة في الصف الأخير بالقاعة، وتقول بلهجة المستجير المستغيث: المراكز دي نصب في نصب يا أبلة.. أخذوا مني ١٠٠ جنيه وصورتين عشان يعملوا لي استمارة بيانات على الكمبيوتر "وآدي وش الضيف".

ترد عليها زميلة بالصف المقابل: تدفعي ١٠٠ جنيه عشان تقابلي عريس واحد؟ والنبي انتي هابلة.. العريس في المركز بتاعي بـ ٣٥ جنيه بس.

يعود الضجيج للقاعة، وتتجدد صلصلة يد الهون تلو السؤال والآخر.

ربة بيت تهيب بالمجتمع والإعلام ضرورة حث الــزوج علــى العمــل، والإنفــاق علــى زوجتــه، ودروس الأولاد الخصوصية.

وسيدة أخرى تطرح للتصويت، أهم وأكثر طرق الــرِّجِيم فاعلية، ما بين أغذية الدايت ومزاولة الأيروبكس أو تــدبيس المعدة والإبر الصينية.

عضوة متحمسة تقترح تغيير اسم الجمعية مــن "جمعيــة المرأة المتوحشة" إلى "جمعية المرأة المتشحتفة" وترى أن ذلك أقرب لواقع المرأة اليومي ومعاناتها في العصر الحديث.

وقبل أن ينتهي المؤتمر، تهب إحدى العضوات الجــادات، تمر بيدها سريعا على خصلات شعرها المنكوش، وتضــبط على عينيها زجاج نظارتها العريضة، ثم تبــدي انزعاجهــا الشديد وقلقها الأكيد، من تلك التقليعة الجديدة، التي طقت فــي دماغ بعض السيدات أخيرًا، فخرجن ينادين بعمل المرأة فــي النيابة والقضــاء والإفتــاء، يتشــدقن بشــعارات المســاواة الدستورية، ومواصفات الجدارة النسوية، وكأنها ثورة جديــدة للحرية، وردة خطيرة تهدم كــل مبــادئ "جمعيــة المــرأة

المتوحشة" وتعيد المرأة من جديد لعبودية العمل خارج البيت وداخله.

بإعجاب واضح وتقدير عميق، هـزت رئيسـة الجمعيـة رأسها، وبارتياح وحنان ، ابتسمت ابتسامة رضـا واسـعة، وأشارت للعضوة الجادة، أن تقترب نحوها..

عندها نحت الميكروفون جانبًا، ومالت على العضوة الجادة تقول: ما تزعليش نفسك يا حبيبتي.. الستات انطسـت فـي نفوخها.. واحدة عايزة تبقى قاضي والتانيـة عـايزة تبقـى مفتي.. لكن قوليلي.. البلوزة الحلوة دي شرياها منين؟!.

جمعية المرأة المتوحشة (٢)

"بناء على طلب الجمهور.. تقرر مد العرض"!

بالبنط الأحمر العريض، كتبت تلك اللافتة ورفعوها على باب مقر الجمعية، إعلانا عن استمرار جلسات مؤتمر "المرأة المتوحشة" للأسبوع الثاني على التوالي.

وتحت تلك اللافتة، وقفت "حسنية" تتصبب عرقا وتتطلع فيما حولها، بوجه شاحب، وعينين نصف مغمضتين، وأنفاس متقطعة، أخذت آخرها بصعوبة بالغة، لكنها تحاملت على نفسها، وعضت على شفتيها، وسندت ظهرها بإحدى يديها، ودخلت تبحث عن أقرب مقعد، تريح عليه جسدها المنهك وبطنها الحامل في شهرها الأخير.

قبل نصف ساعة، من الموعد المقرر لافتتاح جلسة النقاش، كانت المقاعد قد امتلأت بجمهور عريض من السيدات والآنسات، مختلفي المراحل العمرية والشكل والهيئة والطبقة الاجتماعية.. الكل جاء رغبة في الانضمام لمناقشة موضع الجلسة المهم، وعنوانه "الأسباب الرئيسية في اعتلال المزاج.. ودهولة المرأة بعد الزواج".

وبينما المنصة تستعد، والعمال يضبطون فوقها الميكروفونات، ويوزعون عليها باقات الورد وزجاجات المياه، وبعض الملفات.. كانت "نعيمة" تتجول بين المقاعد، تنادي على بضاعتها "شاي.. قهوة.. حاجة ساقعة.. شيبسي". سيدة أنيقة شقراء، ترتدي الميكروجيب وتضع ساقًا على ساق، قطعت كلامها في "الموبايل" وأشارت، تطلب فنجان قهوة، سكر زيادة، وفتاة بدينة على أحد المقاعد الخلفية، جلست تراجع كشكول المحاضرات بعد أن طلبت باكو بسكوت وحاجة ساقعة.

أما حسنية فقد أشارت لنعيمة كي تقترب إليها سريعا، وحينها سألتها: مفيش عندك لمون مخلل؟ أصل نفسي غمة عليَّ قوي..

أجابتها نعيمة وهي تهز راسها بموافقة أكيدة: عيني يا حبيبتي.. أشوفلك عند الجيران إللي فوقنا.. ربنا ينتعك بالسلامة، ويجبر بخاطرك.

وأخيرًا تدخل وتعتلي المنصة السيدة رئيسة الجمعية، فتتوقف الأحاديث الجانبية، ويقف الجميع انتباه، يصفقن

بحماس وسعادة مدهشة ثم تعزف الموسيقى النشـيد الـوطني لجمعية المرأة المتوحشة.

"حرمت أحبك.. أحبك.. ما تحبنيبش..

وابعد بقلبك.. يا قلبك.. وسيبني أعيش..

ولااا تحايلني.. ولاااا تشاغلني

بعد إللي قلته.. واللي عملته

حرمت أحبك.. أحبك ما تحبنيبش..

.. نيش.. نيش.. نيبيش"

يعود التصفيق الحاد من جديد، فتهدئ رئيسة الجمعية من روع الحاضرات وتشير عليهن بالجلوس ثـم تقـرب إليهـا الميكروفون تفتتح الجلسة، تقول:

بسم الله.. توكلنا على الله.. ولا دايم إلا وجه الله.

أيتها الآنسات والسيدات.. عضوات الجمعية الفضـليات.. المتوحشات..

إننا اليوم بصدد موضوع.. يؤرق مضجع المرأة في المدن والحضر والقرى والنجوع.. وهو مسألة "الدهولة" التي تصيب

معظمنا بعد الزواج، الأمر الذي يهدد حياتنا الأسرية وينـــذر بطفشان عدد كبير من الأزواج.

السيدة "اعتدال عبدالمنصف شديد" تقف مكانهـــا وتطلـــب التعليق.

وحين يناولنها الميكروفون، تهب فجأة بصـــوت يخـــرق الأذن، وتصرخ، حرام عليكوو.. ارحمـــوا الســـتات بقـــى.. الواحدة منا غلبانة وأغلب من الغلب، مطلوب منهـــا تغســـل وتمسح وتبطخ وتشتغل الصبح وتذاكر للعيال بالليل وبعـــد ده كله تلبس فستان أحمر، وتحط باروكة صفرا، عشان تعجـــب الباشا جوزها؟.

يا خي إن شاء الله يجيله صرع يلهفه.. أقرع ونزهـــي، لا عمره قاللي كلمة تسر، ولا دخل عليّ بحزمة فجل..

مدام "توحيدة سعيد الرايق" تأخذ الكلمة وتكمـــل بصـــوت مبحوح.. على أقل من مهلهـــا: المشـــكلة يـــا جماعـــة.. إن الراجل، هو كمان بيدهول على عينه بعد الجـــواز.. آه والله.. يعني مثلا شعره بيتنحل أو بيخف.. وأحيانًـــا عقلـــه كمـــان بيخف.. آه والله .. وبيطلع له كرش، وبينســـى المجـــاملات الرقيقة مع مراته وينسى لون شعرها وعنيها، ويبقى كل همه

على بطنه. طيب الست هاتعمل إيه؟! بتتحطم يا حرام، وبتحبط.

أميرة مرتضى سلامة - الشهيرة بأم كوثر - تقف وعلى كتفها كوثر، تهزها بعصبية وتنقلها بزهق من الشمال إلى اليمين، كي تسكت بكاءها المستديم.. بعدها تمسك بالميكروفون تقول: العيال همه السبب.. دهولونا، وبهدلونا ونسونا أسامينا..

أنا باقضي نص النهار أجري ورا كوثر بعلبة الزبادي عشان ترضى تاكل.. بنتي ومسئولة مني.. أرميها؟! الدور والباقي على الراجل، شاري دماغه "ومكبر" واخدها حلوانة في سلوانة، عشان يلعب بديله، ويقول مراتي بتهملني ومعدتش بتسمعني، أنا معذور.. أنا مأزوم.. وهو كداب، ومفتري، وتندب في عينه رصاصة.

جلبة وتعليقات تأسي وتعاطف تنتشر في أرجاء المكان، ثم تخرج المناديل تمسح الدموع مع حكايات درامية عن الخيانة الزوجية، وقصص مهولة عن النذالة وأزمة الرجولة.. هنا تتدخل رئيسة الجميعة، وتسير في الاتجاه العكس بقولها: أيتها الأخوات.. التعيسات.. المبتئسات، الدموع ليست حلا.. لا بد

أن تراجعن أنفسكن وتعترفن بشجاعة أنكن مسئولات عن بعض ما تتعرض له حياتكن من مشكلات زوجية، أو أزمات عائلية.. ليس عيبًا أن نعترف بالتقصير أو نفتش عن العيب طالما أن الإصلاح هدفنا، والعش الهادئ طموحنا.. خذوها مني كلمة.. الحب والاحترام بين الزوجين هما سر الحياة السعيدة، الحب والاحترام هما مفتاح الـ .. الـ .. الـ .. (الموبايل يحدث ضجيجًا لا ينقطع، يشوشر على صوت الميكروفون، فتضطر رئيسة الجمعية أن تنتحي جانبًا وتوقف كلمتها للرد على الموبايل).

آلووه..

أيوه يا ست هانم.. انتي فين؟

أنا في الجمعية يا حبيبي.. ما أنت عارف..

جمعية إيه وزفت إيه.. فين القميص الأزرق يا هانم؟

قميص إيه يا حبيبي بس؟!

- طبعًا .. ما انتي مش فايقه غير للجمعيات والمحاضرات، لكن أنا والبيت نولع بجاز.. بزمتك انتي ست انتي ؟

تتلفت حولها وتبلع ريقها، ثم تحاول استعادة صوتها وافتعال الهدوء: يا حبيبي كل حاجة عندك في الدولاب، وأنا مسافة السكة وأكون في البيت..

- بيت؟! هو فين البيت ده؟ ده مطعم.. نادي.. قهوة بلدي.. استراحة للست الهانم وسنترال عشان مكالماتها، ومكتب عشان مقالاتها.

متشكرة يا فندم.. ألف شكر.. الله يخليك.

- اسمعي.. لو حواليك دلوقت الجن الأزرق.. مش سايبك قبل ما أعرف.. طبختي للعزومة بتاعة النهارده، ولا أنزل أشتري الأكل جاهز كالعادة؟!.

العزومة.. آه.. صح.. العزومة.. كله جاهز يا حبيبي.. قصدي يعني.. كله مطبوخ.. ومفيش أي مشكلة.. شوف شغلك أنت بس.. ربنا يهديك..

- ربنا يهديني؟! قصدك أني مجنون؟

لا يانور عيني.. أنا اللي مجنونة ومرعوشة ومهبوشة.. بس أنت روق واطمئن خالص.. العزومة هاتعجبك جدًّا.. هتقول مراتي شرفتني..

– وإيه الصويت اللي عندك ده.. كمان.. إنتو في جمعية ولا في مستشفى؟

ما تخدش في بالك يا حبيبي.. دي حسنية.. باينها بتولد.. أنا جاية حالاً.. مع ألف سلامة..

تنتهي المكالمة.. بينما صرخات حسنية ما تزال تتوالى: إلحقوني يا ناس.. غيتوني يا هووووه. دكتور. دكتووور.

زعفران في خدمتك

يحكى أنه في سالف العصر والأوان، ذهبت الست "أم حمدان" لعراف القرية تسأله النصيحة، وكان اسمه الشيخ "زعفران".

بين سحب الدخان والبخور.. صاح الشيخ زعفران بصوت جهور.. وقال لها رقيتك يا "أم حمدان" من شر الإنس والجان.. لكن يا وليه.. انتي وكستك قوية.. جوزك طفش.. مع ست مُلْعب لولبية.. وجاية عايزة حجاب يرجعهولك؟!

يا خي رجعت الميه في زورك!!!

بكت الست أم حمدان بحرقة، حتى عاد الشيخ يتحدث إليها بحنان، ويقول برقة: شوفي يا بنت الحلال.. كل عقدة ولها حلال.. عندي حجاب مستكوفي معتبر، يرجع أبو العيال ويخليه معاكي عال العال، بس أنت قولي "إن شاالله" وجبر الخواطر على الله..

رددت أم حمدان بلهفة وقالت إن شاالله يا شيخ زعفران يا أبو سر باتع، دانا وغلاوتك جوه وبره فرشت له، وهو مايل، ولا فيش غير حجابك يعدله.

مد الشيخ زعفران يده للبخور، كي يزيد اشتعاله، ثم زمجر وهز رأسه عن يمينه وعن شماله، وبعدها ردد بعض الطلاسم، ونظر نحو أم حمدان يقول: حصنتك من السحر والحسد.. الحجاب يلزمه ريشة من ديل ديك رومي عازب ، و١٠ شعرات من شنب أسد.

خبطت "أم حمدان" بيدها على صدرها وقالت يا حوستي.. أسد؟ أهو ده اللي غطى على كل ما فات.. أسد زي اللي في جنينة الحيوانات؟!

أجابها الشيخ زعفران، مزمجرًا: مكتوب على قشر الخيار.. مفيش حلاوة من غير نار، ومنقوش على علب الحلاوة.. ما محبة إلا بعد عداوة.. نصيبك على قد عملك ونيتك وبلاش كلام وعطلة وحياة الست والدتك.. سمعيني "السلامو عليكو" ورِّيني جمال خطوتك..

فهمت أم حمدان أن وقتها عند الشيخ انتهى؛ فلملمت على عجل طرحتها الطويلة فوق رأسها وخرجت تفكر وهي تمضي، تحدث نفسها (!).

لكن المفاجأة أن الست أم حمدان، عادت بعد ٣ أشهر إلى الشيخ زعفران، ومعها شنب الأسد وريش الديك العازب،

لزوم الحجاب المطلوب لعودة الزوج الغائب، وكانت دهشة الشيخ شديدة لحالها، فجلست تفسر له الأمر بقولها: ربك والحق يا سيدنا الشيخ، أنا كنت حايسة، ولايصة، وغرقانة، ومش عارفة أروح فين وآجي منين،

القصد خدت وأديت مع نفسي، تعملي إيه يا أم حمدان وتسوي إيه يا أم حمدان؟

عقلي قاللي، إن كان على الديك العازب، عندك الواد "طه" الفرارجي، صارحيه بالمفتشر، ووصيه على ديك تقيل وراسي، لا دخل دنيا ولا عرف فرخة، ولا اتقفل عليه باب عشة مع صنف نتاية!!

أجيلك في الكلام، قولي تعالي.. الواد طلع جدع بس مغلواني شويه، قلت زي بعضه بعت الطشت النحاس اللي بحمي فيه العيال ودفعت تمن الديك المعقد، من الفراخ وريحتهم.

يتبقى شنب الأسد، وبصراحة كنت قاطعة فيه الأمل، لكن ربك كريم وعالم بالحال.. زغر لها الشيخ زعفران، اختصري يا وليه، في ليلتك اللي مش معدية..

فردت تستسمحه: حقك عليَّ يا سيدنا، القصد.. ما طــولش عليــك.. ربنـــا ألهمنـــي افتكــرت الـــواد حنيــدق ابـــن أم حنيدق.. من بلدنا وراح اشتغل في سيرك ، بيلف الموالد، ويحيي الليالي شيعت له ، واتفقنا ياخدني معاه، أنا أطبخ وأكله من جهة، ومن جهة أشوف الأسد في السيرك كل يوم يقــوم ياخد عليّ وآخد عليه، ويآمن لي وياكل اللحمة بالخصـــوص من إيدي.. وفضلت على دا الحال ٧٠ يوم بالكمـــال، أعمــل اللحمة بالبهارات والروايح اللي قلبك يحبها وأقدمها للأسد لحد ما أتعود على ريحتها وطعمها، وفي آخر ليلة دســيت فـــي اللحمة منوم، وبعد ما راح في سابع نومة مديت أيـــدي بـــين القضبان الحديد وقصيت شنباته.. عندي منها النهارده زيـــادة على ٥٠ شعرة أعمل حجاب بعشرة، وخلي البـــاقي عشـــان الحبايب، النسوان الغلابة كتير والرجالة الغداريين أكثر!

هز الشيخ رأسه وقال: عجبت لك يا أم حمدان تروضـــين وحشًا كاسرًا، وتشتكين زوجًا غادرًا؟ لو كنت أنفقتـــي مالـــك وذكاءك وصبرك، في سبيل ترويض وإسعاد زوجك، ما كنت أتيتي تدقين الباب، وتطلبين الحجاب.. لكنه طبع السفهاء مـــن البشر، ينفقن الجهد والعمر على أشياء عجيبة وهزليـــة.. ثـــم

يشتكون الزمن الأغبر والحظ المدوحس والظروف اللي مش هيه.. لعنة الله على الغباء والأغبية..

من يومها استقال الشيخ زعفران، وتنحى عن موقعة، لكنه بعد ٣٠ عامًا ظهر بموقع جديد على الإنترنت (W.W.W زعفران دوت كوم) وهو موقع متخصص في مساعدة الفتاة العصرية أن تفوز بقلب الرجل الذي تحب، وتدخله قفص الزوجية، عن طريق ملء استمارة حجاب بالمودة الأكيدة، والعواطف الرومانسية..

وقد حقق هذا الموقع إقبالاً غير مسبوق بين جمهور الشباب وكانت هذه الاستمارة نموذجًا لآخر طالب، دخل الموقع يبحث عن الحجاب:

اسم الفتاة: ناني.. اسم الشاب: أوتو..

الرغبة المطلوبة: حجاب من ورق السلوفان ضد الهجر والغدر والنسيان.

بعد ٣ أيام. وصل على عنوان ناني، الحجاب المطلوب، مكتوبًا فيه بالمقلوب: اشتاتًا أشتوت.. مكتوب على ورق التوت.. أشتاق وأحبك موت يا "أوتو" يا غالي.. يا شاغل قلبي وبالي. جميع أصحابنا اتجوزوا عقبالي معاك.. عقبالي..

وقد أوصى الشيخ زعفران، أن يوضع الحجاب في كوب ماء، يشربه الشاب المقصود في المساء، لذا اختارت ناني أن يسهرا معًا في إحدى البواخر النبيلة، وعلى مائدة العشاء، وضعت الحجاب في كوب ماء، ورغم أنها غطته بقطع الثلج، إلا أن "أوتو" كان لماحا ذكيا، فما كاد يرفع الكوب ليشرب، حتى رأى الحجاب المكتوب بالمقلوب وأخذ يضحك.. وقتها لمح في عين ناني الإحراج والارتباك، فقال لها في حنان، لقد ذابت كل الكلمات في الماء، ولم أفهم غير كلمتين.. نظرت ناني في الكوب، فوجدت المكتوب "أحبك".. "يا أوتو"..

شوربة كوارع

الدنيا حر ولعة.. والإشارة واقفة.. والناس مخنوقة وهاتطلع من هدومها..

الله يرحمك يابا، كان يقوللي يا علي.. لما تلاقي الدنيا اتنيلت معاك.. نيلها بزيادة، عشان تبقى متنيلة بستين نيلة!!.

آه والله أبويا كان يقوللي كده.. كان راجل حكيم من بتوع زمان.. "وكان بيشرب حشيش نضيف".

أضحك فيشاركني سائق التاكسي البدين بابتسامة واسعة على وجهه، وهو ينظر أمامه في المرآة، وقد تأكد من صفوف السيارات المتكدسة أمامنا وحولنا وخلفنا، أن الوقت ما زال متسعًا للكلام والفضفضة، قبل أن تنفتح الإشارة، ويكمل أبي المشوار إلى المكان المقصود.

ينحي حزام الأمان جانبًا، ليريح كرشه بعض الدقائق، ويجفف عرقه، يكمل قائلا: تصدقي بالله يا مدام.. أنا مشفتش النوم بقالي يومين.. أصل أنا أساسًا سواق أتوبيس في النقل العام.

الوردية بتاعتي تبدأ من بعد الساعة ٤ العصر لحد الفجر والساعة ٧ الصبح تلاقيني في الجراج بافطر. لا مؤاخذة. رغيف فول بالبصل وكوباية الشاي، وبعدها أطلع بالتاكسي أدور في الشوارع تاني، لحد معاد وردية الأتوبيس.. هاعمل إيه؟! التاكسي عليه أقساط ما اندفعتش بقالها ٦ أشهر، وعيالي كل واحد: "هات يابا.. هات يابا".. حتى البنات جوزتهم، لقيتني بصرف على جوازهم وعيالهم معاهم!.

كل يوم واحدة تنطلنا في البيت، مرة موسم ومرة جوزها معذور، ودخلة المدارس، ورمضان، والعيد،، ومراتي ولا على بالها، عايزة تغرف وتحط لهم وخلاص..

أنا قلت أعمل زي ما أبويا نصحني.. لقيت العيشة منيلة والديون متلتلة قلت أنيلها بزيادة، وأتجوز تاني على مراتي، هايحصل إيه يعني؟

كان قدامي واحدة حلوة وغلبانة عايزة تعيش.. بنت جماعة قرايبي، أتجوزت قبل كده واتطلقت ومعاها عيلين. باخدهم في التاكسي ساعات ونروح نتفسح في جنينة أو نقضي يوم في الإسماعيلية على شط القناة. المهم الواحد يغير جو. عشان

يعرف ياخد نفسه ويحس إنه عايش يعرف يواصل.. أقله أحب واتحب وأشوفلي يومين قبل ما أدخل السجن بسبب الأقساط.. وإن كان على مراتي، بكرة تعرف تزعل لها يومين وبعدين تعدي..

أنا بقول في عقل بالي، تلاقيها عارفة، وعاملة مش واخدة بالها!.

هي السبب برضه.. حاكم الست عندنا. لا مؤاخذة. تتجوز من هنا، وتهمل في نفسها على أساس أن جوزها جنبها "مربوط بالعيال" هايروح منها فين؟

ضحكت من جديد، فنظر في المرآة نحوي وقال لا مؤاخذة أنا كنت فاكرك مدام.. لكن الظاهر حضرتك لسه مش متجوزة.. كان زمان على أيامنا بيجوزونا صغيرين عشان كده حملنا الهم، وشعرنا شاب من بدري.. لكن برضه كان جيلنا جامد وعنده صحة.

شباب اليومين دول ما ينفعش ببصلة، الواد منهم هفتان من أكل "البتسا" والسندوتشات، لكن أنا في شبابي، كان لازم أتغدى خضار ورز ولحمة.. ويا سلام على شوربة المواسير في الشتا، تخلي الدم يجري في العروق..

ما يفتش أسبوع إلا وأنا عامل بإيدي شوربة كوارع معتبرة، وأروح الحلمية مخصوص عشان اشتري الكنافة الشعر، وأحلي بصنية غرقانة في الشربات والسمن البلدي.

هزيت راسي وقلت له بإعجاب "ربنا يديك الصحة" فأجابني بتواضع: الصحة ضاعت مع العيال والنسوان والسواقة ليل نهار ع الطريق، ولولا شوربة الكوارع، ما كنتش أصمد لحد النهارده.. المهم الواحد عاش نزيه، ومتع روحه، وما حرمش نفسه من حاجة.

وعلى رأي أبويا "عمار يا راسي.. خراب يا دنيا".. الله يرحمه، كان راجل حكيم، وكان بيشرب حشيش نضيف".

بتحبني؟.. ضحكتني!

٣٠ عامًا من عمر "سيجموند فرويد" قضاها في البحث والدروس والتحليل النفسي، دون أن يتوصل لإجابة عن هذا السؤال "ماذا تريد المرأة بالضبط؟.

وقد كان من حسن الحظ أن السيد "سيجموند" مات، وبقيت الإجابة "أوبن إند" تحتمل أكثر من وجهة نظر، ورأي، وتتسع للاختلافات والطوارئ والمستجدات..

وقديما كانت الإجابة بسيطة واضحة لخصتها "نور الهدى" لفريد الأطرش وهي تغني "إيه العمل.. أنا عايزة أتجوز.. كل الأمل.. أنا عايزة أتجوز"!.

لكن السنوات توالت، ومعها تغير فكر المرأة وطموحها، وأصبحت تحتاج الحب وفارس الأحلام، فظهرت شادية تغني برومانسية: "شباكنا ستايره حرير" وصباح تغني بحرارة "علمني الحب". وحتى فايزة أحمد المنطوية النحيفة السمراء، تمردت على خجل العذارى وانتظار العَدَل في صمت، فقامت تقول: ما عدش فيها كسوف يا أما اعملي معروف.. قومي افتحي له الباب.. ولا.. أناديله".

والغريب أن مشاعر المرأة ومتطلباتها في الرجل، لم تقف عند هذا الحد، خاصة عندما أغرتها دعوة المغفور له "قاسم أمين" بضرورة التعلم والعمل والاستقلال المادي، فلم تكذب خبرا ورفعت شعار الحرية والمساواة، وهنا جاء الدور على نجاة لتغني "أيظن.. أني لعبة بيديه.. أنا لا أفكر في الرجوع إليه". وعززتها الست أم كلثوم، وهي تجهر بالرفض كان لا بد من وقفة تأمل لمراجعة الذات، وتدارك الأزمة، وتدخل ولاد الحلال للصلح بين الأطراف المعنية، وتقديم مبادرات التسوية السلمية، لكن أحدًا لم ينتبه للمشكلة، حتى تفاقمت "وكبرت في مخ الستات" رأسهن وألف جزمة قديمة، أن الرجل هو الطرف الظالم والعدو الأول، إنسان الغاب.. طويل الناب.. القوي المفتري.. إلهي يجيله ويحط عليه.. ويقعد له في عينيه وعافيته.. ولا يوعى يشتغل ويصرف، ولا يكسب ولا يربح، ولا يشوف يوم هنا..

والظاهر إنه في هذه الحقبة التاريخية بالذات، كانت أبواب الساء مفتوحة، فلم تمر سنوات معدودة إلا والأحوال مقلوبة، وهناك تبادل واضح في الأدوار.

أصبحت المرأة ملزمة بالتعليم والعمل والإنفاق على نفسها، بل وعلى زوجها وبيتها إن لزم الأمر، والرجل أصبح سلطان زمانه حين رفع عن كاهله معظم المسئوليات، واكتفى بدور المتفرج، واتبع معظمهم قاعدة "اللي عايزني يجيني.. أنا ما بروحش لحد".

وفجأة أصبح الشخص الذي يعلن عن قبوله لفكرة الزواج مشاركة المرأة في الإنفاق على البيت والأولاد. رجل أنوي نادر، يستحق أغنية عفاف راضي "يا حبيبي ما صدقت لقيتك.. حبيت أيامي وحبيتك".. وهي أغنية اشتهرت جدًّا في السبعينيات، بسبب لحنها المميز وكلماتها الصادقة، خاصة تلك التي تصور حجم المعاناة والجهد الذي تبذله المرأة، حتى تنجح في الإمساك بتلابيب الرجل، وإدخاله قفص الزوجية بسلام، ثم التوسل إليه بالبقاء داخله. والتزام الهدوء: "ما تحاورنيش.. ما تضيعنيش.. وما تحرمنيش من فرحتي بيك.. الله يخليك.. الله يخليك".

ولأنه لا أحد يقوى على احتمال الألم طوال الوقت ظهرت بين سيدات عصرنا الحديث عقدة "التعالي على المشكلة" فبرزت موجة من الغناء الرافض بالأساس لفكرة الحب وغير

المصدق مطلقًا لفكرة الارتباط، على إيه الهم.. والسهر.. ووجع القلب، والآهات والتنهدات والدموع؟ إذا كان الراجل فيها سي السيد وع القاضي. عايز واحدة تحبه، وتتجوزه، وتخدمه، وتصوت عليه وتربي عياله، وهو يحاسبها ويحاكمها ويأمر ويتأمر.. ويعمل فيها أبو السباع!

لذا بدا طبيعيًّا جدًّا أن تطلب المرأة "أجازة" من الحب وأوهام الغرام، وتقول له وعلى طريقة الأفلام العربي "أرجوك خلينا أصدقاء أحسن" أو كما غنتها ماجدة الرومي "أنا مشتاقة جدًّا لميناء سلام، وأنا متعبة من قصص العشق وأخبار الغرام.. كن صديقي". فهي في هذه الحالة على الأقل ستتقاسم معه ثمن المشاريب في أي كازينو يدخلانه، وسيتناوبان دفع ثمن الغداء والمواصلات في أي يوم يخرجان فيه معا، كما يفعل أزواج هذه الأيام مع زوجاتهم المقهورات، المسكينات اللاتي يصعب حالهن على الكافر، وتهتز لأحزانهن جذوع الشجر، ويتفتق لها الماء من قلب الحجر.

الأمر الذي أخرج أصالة عن شعورها، فأخذت تتوعد وتهدد الرجل الذي تعرفه بالويل والثبور وعظائم الأمور، في أغنية "ما ابقاش أنا": ونفس الحال في أغاني شيرين": "ليه

فاكر إن الدنيا في بعدك.. ما فيهاش ولا قبلك ولا بعدك.. أنا بيك من غيرك مش فارقة.. قُدَّامك أهوه لسه باغني".

أما سميرة سعيد، فقد اختصرت التفاصيل والإجراءات، وأوجزت القصة من بدايتها حتى النهاية في كلمتين "بتحبني؟.. ضحكتني"..!!

جمعية اتصل الآن

على باب "حظك اليوم" فتحت جريدة الصباح

أتطلع أي بارقة أمل، أو بشرة خير.. عل وعسى. فإذا بالعبارة المكتوبة أمام برج ميلادي السعيد تقول: "أنت محتاج إلى زيادة في دخلك، تعينك على أعباء الحياة"!!

يا سلاااام.. نشنت ونشانك رشق..

أول مرة آخذ بالي، إن إللي بيكتب البخت في الجورنال ده، موهوب ومبروك ومكشوف عنه الحجاب!!.

أكيد فيه طريقة لزيادة دخلي عن معدله المعتاد، وإن لم يكن.. اخترع طريقة.. أليست الحاجة أم الاختراع؟

لقد أصبحت أؤمن بهذا المبدأ لدرجة أنني أتصور أحياناً، أن "توماس إديسون" اخترع المصباح الكهربي ليبيع براءة الاختراع، ويسدد ديونه ثم يشتري شقة تمليك.

و "ماركوني" اخترع الراديو، ليستطيع تجهيز ابنته المقبلة على الزواج، "وجراهام بل" اخترع التليفون، ليرفع دخله الشهري المحدود، ويستطيع الإنفاق على أولاده في المدارس، وتسديد فواتير زوجته، في موسم السياحة والتسوق!.

من جديد عددت إلى استغراقي في التفكير والشرود بحثًا عن طريقة، ترفع دخلي المحدود، فإذا بجرس التليفون يرن فجأة إلى جواري وعلى الطرف الآخر من المكالمة، صوت أحد أصدقائي، يقول لي – بحماس عريض، وإقبال نادر على الحياة – خبرًا بمليون جنيه.. أنا وهالة ونشوى ووليد، عملنا جمعية جديدة نوفي، وفي حاجة إلى شريك خامس.. تدخلي معانا؟

سألته: جمعية إيه؟

قال وهو ما يزال على حماسه جمعية "اتصل الآن".

وقبل أن أوجع راسه بمزيد من الأسئلة، بدأ هو من نفسه مشكورا – يشرح لي التفاصيل ويقول: عارفة الإعلانات بتاعت (٠٩٠٠) ومسابقات اتصل الآن. الدقيقة ب ٥٠ قرشًا. إحنا بقى يا ستي، هانعمل في التليفزيون إعلانات من نفس النوعية.. أسئلة وإجابات واختيارات ونقدم أي جايزة، مثلاً ١٠٠ جنيه أو ٣٠٠ جنيه، إن شالله رحلة للغردقة، برضه هانطلع كسبانين – بعد خصم الضرائب وثمن الإعلان ونسبة شركة التليفونات – على الأقل ١٠٠٠ جنيه كل أسبوع، لكل

واحد فينا، واحسبيها. تصنعت الحرص والجدية وسألته: أنت متأكد يا بني من الكلام ده.. ولا هاتغرقنا؟

– رد على الفور، بطريقة رئيس عصابة مخضرم:

كل شيء محسوب ومدروس، وعلى ميه بيضا..

ثم أضاف بنفس الثقة: دراسة الجدوى بتقول إن هناك ٢٠ ألف شخص على الأقل من ضمن ٦٥ مليون مصري – محبط وزهقان أو عنده أمل في ضربة حظ ومكسب سريع – سيحاول الاتصال فعلاً..

ساعتها سيكون دورنا استقبال مكالمته التي لن تقل أبدًا عن ٣ دقائق – ومحاولة إطالتها إلى أكبر مدة ممكنة ما بين سؤال وجواب وأغنية وتعليق.. إلخ.. إلخ. وهذا هو دورك يا أستاذة.. همتك معانا.

أجبته وكلي إعزاز بمواهبي المعروفة في "اللت والعجن" والإطالة: لاااا من الجهة دي اطمئن، وحط في بطنك بطيخة "ع السكين" هي يعني كيميا؟!

خد عندك السؤال الأول: من الزعيم المصري الراحل الذي قاد ثورة يوليو عام ١٩٥٢؟

– ثم هذه الاختيارات:

أحمس الأول

أحمس الثاني

أحمس الثالث

جمال عبد الناصر

السؤال الثاني: من هو المطرب العاطفي اليتيم الذي اشتهر بلقب العندليب الأسمر، وغنى أهواك واتمنى لو أنساك؟

- والاختيارات كالتالي:

عبد الحليم نويرة

عبد الحليم موسى

عبد الحليم أبو غزالة

عبد الحليم حافظ

السؤال الثالث: من هو مؤسس جريدة الأهرام في ديسمبر عام ١٨٧٥؟

- الإجابات:

خوفو

خفرع

منقرع

سليم وبشارة تقلا

قبل أن أنتقل للسؤال الذي يليه، سألني صديقي عن التعليقات والأغاني وباقي التحابيش..

فأجبته: يا سيدي بسيطة.. إذا كانت الإجابة سليمة، قل للمتصل "نعم" ثم أسمعه النص الكامل لأغنية "نعم يا حبيبي نعم.. أنا بين شفايفك نغم".. ثم أخبره بسعادة "لقد فزت معنا" وأسمعه "المصريين أهمه حيوية وعزم وهمة" ثم أغنية "وقف الخلق.. ينظرون جميعًا.. كيف أبني قواعد المجد وحدي" المهم أن يبقى الخط مفتوحًا بينكما، والعداد أهو بيعد..

- سألني: وكيف الحال، لو كانت إجابته خطأ؟

أجبته: ساعتها قل له "لا".. وأسمعه النص الكامل لأغنية "لا والنبي يا عبده.. لا والنبي يا عبده"!!

فتش عن فوزي

من الصعب أن يمضي أسبوع - ٧ أيام بحالها - دون أن تقوم في شارعنا خناقة حامية الـوطيس متوسطة أو بعيدة المدى، بقيادة "فـوزي".. يتـداخل فيها صـراخ النساء (يا لهواااي.. يا خراااابي.. يا فوزاااي) مع نداءات البوابين (ابعد يا فوزي.. ارجع يا فوزي) ويتجمـع حولها المـارة والباعة الجائلون (إخزي الشيطان يا فوزي) وتبذل لأجلها كل محاولات التهدئة والتسوية السلمية مـن أولاد الحـلال، أو الشباب العابر أو سكان المنطقة الأصليين (عيب يا فـوزي.. اختشي على دمك يا فوزي)، لكـن فـوزي لا يتراجـع ولا يستسلم ولا يختشي على دمه، بل يزيد في تحديه وعنجهيته وعناده فتتفاقم أبعاد المشكلة، وتجدد نيران المعركة، ويهـرع الجيران للنوافذ والبلكونات يتابعون بشغف شـديد وتركيـز واضح، آخر تطورات الوضع المتردي في المنطقة.

منهم من يخرج بالملابس الرياضية، وفيهن مـن يظهـر بملابس النوم الوردية، أما سيدات البيوت - طيبات الملامح، بدينات القوام فيجدونها فرصة ذهبية لكسـر رتابـة اليـوم،

ومقاومة ملل الأعمال المنزلية ويخرجن في يد إحداهن فوطة التلميع وفي اليد الأخرى مبشرة البصل.. ويقفن كـــأنهن فـــي "بلكون السينما" يشاهدن "فيلم أكشن" متعة وتشويق وإثارة!

ربما لهذا السبب بالذات، أصبح فوزي موضـــع تعـــاطف وانحياز معظم سيدات البيوت من سكان العمارات العالية في الشارع، اللاتي يرونه – بطلاً جريئًا قويًّا، واثقًا من نفسه ولا يهاب أحدًا.. وعن نفسي كنت أكره هذا "الفوزي" ملء فؤادي وإحساسي وقلبي، فهو رجل مزعج، جعل من شارعنا الخلفي الهادئ "مكان بيئة" بسبب تصـــرفاته الهوجائيـــة، وخناقاتـــه المتوالية وفكرته الزائفة عن نفسه، التـــي تجعلـــه يتصـــرف كفتوات الحواري في روايات نجيب محفوظ على الرغم مـــن أنه في حقيقة الأمر، ليس أكثر من "سايس سيارات" نحيـــف، أهتم، رث الثياب، أقوى ما فيه صوته، وقدرته الفائقة علـــى افتعال الشجار المفتقد لجميع أبجديات الـــذوق أو الأدب مـــع أصحاب السيارات، الذين يتركون له مهمة مســـح ســـياراتهم صباحًا والتعهد بإفساح مكان لها وحمايتها ليلاً، فـــي مقابـــل راتب شهري مجز.

لكن يبدو أن عدد السيارات ومستوى الرواتب كان مرتفعًا لدرجة كانت كفيلة بجعل فوزي ينظر لنفسه نظـرة خاصـة جدًّا.. فبات لا يجلس على مقعده إلا مجعوصًا، واضعًا ساقًا على ساق، يشد وينفث دخان الشيشة في كبرياء وعظمة..

وأصبح لا يمد يده في جردل ماء، ولا يكلف ذاته مشـقة نفض الغبار عن هذه "المرسيدس" الفارهة أو مسح زجاج تلك "الفيات" المتواضعة، بعدما اكتشف أن هذه الأعمال الصـغيرة لا ترقى لمستواه، وقرر أن يتركها لصبيانه الصغار، مكتفيًـا بدور الإشراف والمتابعة!

وقد صارحتكم من البداية بعدم حبي لذلك الرجل، لذا لـن أكتم عنكم مشاعر السعادة والفرح التي انتابتني، حين اختفت عشرات السيارات من فراغ الشارع، وملأته عمارة جديـدة رخامية عريضة، تسد عين الشمس وتسد على فوزي فـرص الثراء السريع بلا مناسبة وتحرمه ذرائع الخنـاق والعـراك وبهدلة خلق الله المسالمين من أصحاب السـيارات، وسـكان الشارع المحترمين.. وبالفعل قل في المنطقة عدد السـيارات وصخب الصراخ وضجيج الخناقات، وبدأت أنعـم بالسـكينة والهدوء الذي يقدسه محترفو الكتابة أمثـالي، (خاصـة فـي

لحظات نزول الوحي)، لكن صوتًا جديدًا مزعجًا ظهر في الآفاق فجأة، وبدا وكأنه يتعمد مطاردة أذني وتشتيت أفكاري فمنعني الكتابة في الصباح، وصرف عني النوم بالليل ونغص عليَّ عيشتي وحياتي، لدرجة أخرجتني عن هدوئي السلبي، ودفعتني للتفكير في إبلاغ بوليس النجدة، وتحرير محضر إزعاج لصاحب محل الحلاقة، الذي يحتل الطابق الأرضي من العمارة الجديدة، ولا يكف ليل نهار عن إدارة أكثر شرائط الكاسيت هبوطًا وتفاهة بأعلى صوت لها، وعبر سماعات استريو نصبها بجرأة يحسد عليها، على أبواب محله.

لكني قبل أن أشرع في إبلاغ البوليس راجعت نفسي، وتذكرت أنه لن يكون تصرفًا لائقًا.. مهما كان أنا "والبيه صاحب محل الحلاقة" جيران في شارع واحد. الواجب أن أتفاهم معه أولا، وأنبهه بالذوق.. إن استجاب خير وبركة، ويا دار ما دخلك شر، وإن "ساق فيها".. يبقى جابه لنفسه.

وفعلاً خرجت في صباح اليوم التالي، متحمسة متحفزة – وبإذنك يا رب – على أتم استعداد للخناق!

بخطوات واثقة وملامح متجهمة ونظرات متأففة غاضبة، توجهت نحو باب محل الحلاقة وعلى طريقة "ياشر اشتر" رفعت حاجبي الأيمن وعوجت كتفي الأيسر وتقمصت تعبير نجمة إبراهيم في أدوار الرعب، وأنا أواجه الشاب الماثل أمامي، مندمجًا في قص شعر زبون تحت يديه.

سألته بعداوة واضحة: "فين صاحب المحل".

لكن في هدوء شديد وبرود يدل على حلاق متمرس في مهنته، أجابني: صاحب المحل في مشوار.. (وصمت).. خفت أن أفقد سخونة موقفي العدائي لو تراجعت وأجلت الخناق ليوم آخر، لذا اجتهدت أن أضيف لوجهي قدرًا أكبر من تعبيرات الشر.. وعدت أسأله مزمجرة: يعني إيه في مشوار؟ مين صاحب المحل ده؟

– بنفس مطمئنة، ونبرة أكثر ثقة وهدوء أجابني الحلاق الشاب: تحت أمرك.. أي خدمة؟!

انطلقت قبل أن تفوتني الفرصة: إنتم فاكرين نفسكم فين.. في سويقة؟! عايشين في الكون لوحدكم؟!

مفيش عندكم إحساس بواحد مريض عايز ينام.. واحد بيذاكر.. واحد تعبان وعايز يرتاح؟

رمقني الحلاق الشاب بابتسامة واسعة جدًّا.

- لا أعرف حتى اليوم مغزى السعادة فيها - لكني على أية حال، أكملت ما كنت فيه، إلى أن أتى الدور على كلمة الفصل الحاسمة الفاحمة، فقلت له: اسمع.. قول لصاحب المحل لما يرجع، أني هابلغ البوليس، لو ما بطلش يعلي صوت الكاسيت الزفت ده..

قبل أن أتمادى في التهديد والوعيد قاطعني صوت فوزي (الذي يحب الخناق أكثر من حبه لعينيه وأولاده الصغار) فتراجعت خطوتين للخلف، ونظرت نحوه بطريقة تمنيت لو تردعه أو تفهمه حقيقة مشاعري نحوه، وكي أغيظه أكثر تعمدت أن أتجاهل صوته ووجوده، وعدت أصب لعناتي على صاحب محل الحلاقة عديم الإحساس والذوق الذي سيلقى على يدي الويل، فإذا بفوزي يتدخل دون مبرر قائلا ماتبلغي البوليس.. إنت هاتهددينا؟

استفزتني وقاحته فصحت في وجهه: وأنت مالك أنت؟ بتتكلم بأي مناسبة؟ بتتكلم بأي صفة؟

ابتسم الحلاق الشاب ابتسامته الواسعة جدًّا، ثم أشار نحو فوزي يقول: ما هو ده صاحب المحل!!!

سعيكم مشكور

بملامح يعتريها الأسف، وصوت خفيض، أعلن الطبيب وفاة مريضه (البقية في حياتكم يا جماعة) ثم غطى وجهه بملاءة بيضاء، وذهب يحرر شهادة الوفاة. النساء اجتمعن حول جسد "المرحوم" في سريره، يصرخن ويندبن، ويرقعن بالصوت الحياني (يا حبيبي.. يا خوويـاه.. يا مهنيني.. يا مسليني.. يا فايتني وأنت صغار.. مين هايملا عليَّ الدار؟) بينما بعض رجال العائلة، يتصنعون التماسك والحكمة، فيذهب أحدهم لشراء الكفن، وإحضار الحانوتي، ويذهب آخر لإبلاغ باقي الأقارب تليفونيًّا بوفاة الفقيد الغالي.

المشكلة.. أن "المتوفى" – الله يرحمه – غير الخطة.. وقبل دقائق من ذهابه لمثواه الأخير قرر أن يبدد كل تلك الدراما المأسوية التعسة، فأفاق معلنا عودته للحياة مرة أخرى.. وفي حين التف الجميع حوله، يرمقونه بمزيد الدهشة والصدمة والوجوم، هز هو رأسه ببساطة، وجلس متحمسًا، يحكي لأهله ما رآه وما أحسه، وقتما كان ميتًا!!

هذه المفاجأة العجيبة، صادفت آلاف الأشخاص من مختلف بلاد العالم.

بعضهم فقد وعيه إثر حادث سيارة مفجع، أو تصادم قطار عنيف، أو بعد عملية جراحية خطيرة، أو حتى بسبب خناقة حامية الوطيس مع شريك الحياة، وجميعهم راح في إغماءة طويلة عميقة، شخصها الطبيب بأنها الموت المحقق، بينما لم تكن في الحقيقة، أكثر من غياب مؤقت من عالمنا المحسوس، إلى حيث "عالم آخر" وصفه "المرحوم العائد" بأنه اندفاع سريع في نفق طويل، مظلم رهيب، لكن نهايته محاطة بأشعة ونور، وشعور براحة نفسيه رائعة!

في أمريكا اهتموا جدًّا بدراسة هذه الحالة، وأنشئوا بسببها ما يسمى بمؤسسة "الاقتراب من الموت" ولطالما وجدت عقلي يسرح وخيالي يشطح، مفكرا في تلك المؤسسة الغريبة.

منذ أيام رأيتني، بعيد عنكم وعن السامعين، وكأني محلقة أدخل نفق الموت إياه، فتحتشد الجماهير لتحيتي على الجانبين، بعضهم أعرفه حق المعرفة، وبعض الوجوه لا أذكرها جيدًا..

– صوت رجل يصيح بجوار أذني "سلامو عليكوو.."

بسم الله الحفيظ.. أنت مين؟

– يا نهارك "مش ولا بد " إنتى مش عارفــاني يــا جـــي جي.. معلهش.. أعذرني أَصْلِي مستجدة "توفي" لســه ســالته إيدي حالا م الدنيا وقرفها، وأول مرة أورد على آخره..

– يا ألف أهلاً.. يا ديشليون سهلاً.. انتـــي هاتســتريحي معانا خالص.. لو عوزتي أي حاجة، أندهي وقولي "جزر" .

صوتك مميز.. ومش غريب على وداني.

أنا واحد كنتي بتحبيه وبتموتي فيه..

تخونك العشـــرة والأيـــام والليـــالي.. يخونـــك المحشـــي والطرشي والخس والفول السوداني.. يا ما كلمتك وعلمتــك وضحكتك من قلبك وسليت وحدتك، كنت حبيبــك وصـــديقك ومثلك الأعلى.

بس.. عرفتك.. أنت إسماعيل ياسين.. سلامات يا "سمعة".

– طيبون.. يا ستي.

لا مؤاخذة "يا سمعة" الدنيا ومشاكلها وهمها.. الواحد نسي اسمه..

أنت ربنا كان بيحبك خدك بدري.. بدري.. لكن أنا عشت أيام هباب، وشفت ناس "سو" قصفوا عمري في عز شـــبابي، وربولي "الخفيف" بعيد عنك.. سيبك.. أنت عامل إيه.. مرتاح هنا؟

- أبدًا وحياتك يا "جي جي"..

العيال بتوع المحمول و (٠٩٠٠)

منقوعين في جردل رخامة، وطالعين "البريمو" في مسابقة قلة الذوق، ومحققين الرقم القياسي في الإفلاس والتغفيل والدم التقيل، بسببهم مش عارف أموت كـــويس، ولا مرتـــاح فـــي نومتي.. كل يوم إعلانات في الجرائد، قال إيه "اتصل الآن يا خفيف.. وأعمل في أصحابك مقلب نضيف".

وهات يا تقطيع في أفلامي وتركيب في صوتي وصـــوت أخويا القصري والنابلسي والست ماري منيب وزينات صدقي عشان نقول جمل عبيطة، ونرسلها ع المحمول للـــي يســـوي واللي ما يسواش.

واآسفاه على زمن الفن الذي فات.

(يرد القصري بصوته المميز) معلوم.. فامليـــة الكوميـــديا الكبار يبقوا أرجوزات.. "إس فوخس" على دي دنيا.

(تعلق ماري منيب): قطيعة "الميسدكول" وسنينه.. الشـابة مننا لازم تحافظ على نفسها م الفتنة. مش زي بنـات اليـوم رنات ونغمات وأغاني، ومعرفش إيه تاني.. يـا نـدامتي.. اختشي.. عيب.

تحتج زينات صدقي وتقول بانفعال: إن عشقنا فعذرنا.. أن في وجهنا نظر.. حسرة عليَّ وعلى شباااابي.

خرجت من حيث كنت عبر نفق جديـد ملتـف فوجـدت نفسي. في شارع السياسة حيث مظاهرة طويلة تندد بالاحتلال الأمريكي للعراق، زعيم عربي راحل، يخطب في الجمـاهير مؤكدًا، أن ما يفعله "بوش" الآن في الدول العربية ليس بـدافع البترول أو قمع الإرهاب أو حتى استعراض القـوة، لكنهـا الغيرة والحقد (بعيد عنكم) لأن كل رئيس أمريكـي ديتـه ٤ سنوات في الحكم.. قول ٨ بالكتير، بعدها يأخذ اسـتمارة ٦ ، ويخرج يدور على شغل من جديد.

إللي يشتغل طباخ، واللي يكتب مذكراته، وإللي يبقى مذيع في قناة فضائية بهدلة، لذلك "بوش" متغاظ وهـايموت منـا.. عمل كل الحروب دي غلاً وانتقامًا. لأن نظام الرئاسة عنـدنا مدى الحياة.

وتسكعا في زقاق الثقافة والأدب، لمحت عيني من بعيد نزار قباني، يحاضر في ندوة شعرية عنوانها "إن خسرنا الحرب فلا غرابة..

فقد دخلناها بالطبلة والربابة".

وقد كان من ضيوف الندوة، عميد الأدب العربي د. طه حسين الذي قال لي في حوار صحفي (على جنب):

أحمد الله على أني أعمى.. حتى لا أرى تمثالي في ميدان الدقي!.

قبل أن أصل لمقعد "يوسف السباعي" صدمتني يد قوية، وشعرت بأصابع عنيفة، تهوي على وجنتي.. أفقت بشهقة طويلة عميقة، فوجدت حولي زحامًا رهيبًا من البشر•• وسيدة بدينة• تمسح بهمة آثار الدماء عن جبهتي، وتناولني كوب ماء ، وبود تقول: سواق الميكروباص إللي خبطك مسكوه وعدموه العافية..

ما تخفيش يا بنتي، قومي واحمدي ربنا.. انتي انكتبلك عمر جديد.

يا فئران العالم.. اتحدوا

أهو إحنا دايمًا كده.. بنتهور وبعدين نتعـور.. ومشـكلتنا الأساسية سرعة إصدار الأحكام، إذا جاءت سيرة فلسطين، قلنا أمريكا منحازة لإسرائيل، وإذا قامت الحرب في العراق، قلنا أمريكا قوية ومفترية ولا تعرف الرحمة ولا الديمقراطية..

ومع ذلك فالزمن والإيام كفيلان بإظهار الحق، وإنصاف المظلوم، وعلى رأي المثل "الشتيمة ما بتلزقش" والكلمة تلف تلف وترجع لصاحبها، وكل واحد منه لله.

فها هو الواقع يشهد ويثبت بالدليل القاطع، أنه لا أحسن من أمريكا، ولا أطيب من قلب الأمريكان في الدنيا!

وقد أصبح ذلك في حكم المؤكد، وخارج دائرة النقاش. بعد الحادث المؤثر الذي هز ضمير الرأي العام الأمريكي في الأسابيع الأخيرة، وحرك الشرطة في ولاية أوكلاهوما سيتي، لإنقاذ ٣٠ ألف فأر من قسوة صاحب مزرعة، يربي الفئران بالذات، بهدف بيعها كغذاء للثعابين التي يقتنيها بعض زبائنه.

فجر تلك القضية المثيرة المؤسفة، رجل اشتكى من رائحة كريهة تنبعث من حظيرة الفئران، فتحركت سلطات المدينة فورًا وداهمت المزرعة، وصادرت الفئران، ووجهت لصاحب المزرعة المتوحش تهمة القسوة على الحيوانات، واجبار تلك الفئران المستضعفة الحبيسة على الحياة في ظروف معيشية قذرة وغير صحية!.

وبغض النظر أن هذا الخبر، يؤكد بعد نظر راقية إبراهيم في فيلم "زينب" حين انتحبت وهي مريضة وأطلقت مقولتها الخالدة "إللي ما لوش أهل.. الحكومة أهله".

إلا أن الخبر في الوقت نفسه، يعد أكبر "كبسة" من نوعها للحاقدين على الإدارة الأمريكية، أو المشككين في إنسانية ورهافة قلب الولايات المتحدة، في ظل قيادة دبليو بوش الحكيمة.

فها هي أمريكا – التي طالما ظلمناها وألصقنا بها التهم – تعتبر احتجاز ٣٠ ألف فأر في ظروف بيئية غير صحية جريمة شنعاء، وفعلة نكراء، يندى لها جبين الإنسانية وتتفطر بسببها القلوب الرحيمة، وتدمى المشاعر السامية "أووووه.. ماي جااد"!

وقد يتساءل أحد الخبثاء: ولماذا لا ينتقض عرق الإنسانية وتطفح ماسورة العواطف الأمريكيـة إلا بسـبب الفئـران لا مؤاخذة؟

ولصاحب السؤال أقول؟

أمرك عجيب يا أخي..

يعني عايز الأمريكان يسيبوا الميكـي مـاوس الظريـف الخفيف، ويتجاهلوا معاناة الآلاف من أبناء فصيلتة المضطهدة عبر الأزمنة، والمطاردة في مختلف الأمكنة ويقعدوا ويفكروا لك في الأطفال الجوعى والمشردين إن كان في العـراق أو فلسطين؟

قلبك أبيض..!

الفأر في أمريكا – يا صديقي – له قيمـة وثمـن، يصـل أحياناً إلى ما يوازي ٦ ملايين جنيه، في حالة لو كـان فـأر تجارب علمية معملية فذة.

مثل الفأر "شوازنجر" الذي جربوا عليـه عقـاقير تقويـة العضلات، والفأر "بيتهوفن" الذي كان يعاني الصمم، والفـأر "الماراثوني" الذي تميز بسرعة فائقة في اجتيـاز مسـابقات الجري!

ولكي لا يستهين أحدكم بالفأر الأمريكاني وقيمته الغالية أو مكانته في القلوب، يسرني أن أذكر لكم تفاصيل واقعة حقيقية، حدثت إبان التهديد الأمريكي بضرب العراق، وتصاعد موجات المقاطعة الشعبية للبضائع والمطاعم والماركات الأمريكية في مصر. حين كان كل منا يفكر في الاستغناء عن كل ما تعود على شرائه أو استخدامه من منتجات أمريكية مستوردة، وإذا بكيميائي مصري نابه، تفور في عروقه دماء الوطنية، ويهتدي لفكرة عبقرية، توفر لمصر العملة الصعبة، وتسد أوسع أبواب الاستيراد من أمريكا. فيخترع تركيبة جديدة لرغيف عيش مصري صميم، النسبة الأكبر من مكوناته هي الأرز والسكر، مع أقل قدر ممكن من القمح، وعلى هذا يمكن مع تعميم إنتاج واستهلاك هذا الرغيف الاستغناء عن قدر كبير جدًا من القمح الأمريكي، وتحقيق فكرة المقاطعة من المنبع في أبهى وأعظم صورها.

وبالفعل ذهب باختراعة الاستراتيجي إلى حيث العلماء الجهابذة والخبراء الأساتذة في المركز القومي للبحوث، وهناك تمت معاينة الرغيف الجديد، وبعد أن شهد المختصون على بهاء شكله، ولذة طعمه، وارتفاع قيمته الغذائية، وكافة

ميزاته من الناحية النظرية، بقي أن يجربوا الرغيف على فأر تجارب، صحيح أننا في مصر لا نتورع عن أن نجرب فـــي الناس كافة أنواع اللحوم الفاسدة والسلع المضروبة والأغذيـــة المغشوشة.. عادى جدًّا؛ لكن جاءت علـــى رغيـــف العـــيش وكبرت في دماغ المسئولين، لا يمكن إقرار الخبز المعد مـــن الأرز قبل أن يتذوقه الفأر، ويقول كلمته!

مبدئيًا لم تكن هناك مشكلة إلا أن الانتظار طـــال دون أن يصدر حكم "السيد فأر".. وقبل أن يتسلل الإحباط إلى القلـــب وتفسد خيبة الأمل بهجة الاختراع وحماس التجربـــة، ذهـــب الكيميائي الشاب يسأل عن مصير فكرته ويعرض المساعدة. يعني مثلاً لو كان فأر التجارب بتاع المركز فـــي أجـــازة أو إعارة أو بعافية لا سمح الله، قولوا وإحنا نتصـــرف، مفـــيش أكثر من الفيران في البلد.

ساعتها جاءه رد السيد المسئول قاطعًا وواضحًا:

عفوا يا باشمهندس..

المسألة ليست بالسهولة التي تتصورها، الرغيـــب بتاعـــك عظيم، ومفيد، ومشبع، واقتصادي، ويعتبر خطوة رائعة فـــي

طريق المقاطعة.. لكن برضه الفأر بتاعنا لازم يقول كلمتــه والحكم النهائي له.

سأله وما الذي يمنعه حتى الآن من إعلان كلمته الفاصـــلة وحكمه القاطع؟!

أجابه المسئول: أبدا يا سيدي.. الموضوع وما فيه أننـــا لا نعتمد في مثل هذه الظروف إلا على الفئـــران المســـتوردة، وحاليًا لا توجد غير الفئران البلدي بتاعتنا..

لكن لا تقلق، فقد أعددنا مذكرة باستيراد الفيران المطلوبة، وقريبًا إن شاء الله ستصلنا.. من أمريكا!!!

دقي يا مزيكا..

ملعون أبو النكد والغم والاكتئاب الأزلي.. بلا حرب، بـــلا مجلس أمن ووجع قلب.. خلينا إحنا في الفرفشة والنعنشة، ويا آه يا آه ه.. "ملا الكاسات وسقاني" .

الناس اتخنقت من ســيرة الحــرب وأمريكـــا والنـــووي والمظاهرات وكله "هرش مخ"، و "قلبة دماغ" ع الفاضي.

سيبك.. ما حدش واخد منها حاجة، هي موتة ولا أكتر؟

خلينا نعيش اليومين إللي فاضلين، حظ وأنس ودندشة ولا مؤاخذة "إوعى تكلمني.. بابا جاي ورايا".

الله يسترها وزارة الثقافة – لا مؤاخذة – هي الوحيدة التي أحست بمشاكل الشباب وفهمت معاناة الجمـــاهير، ولمســت نبض الشارع المصري، وعلى هذا أصدرت قرارها الوزاري التاريخي "المواكب للقذف الأمريكي في العراق" بإنشـــاء أول مدرسة رقص حكومية لتخريج جيـــل صـــاعد واعـــد مـــن الراقصين والراقصات "الراعشـــين" و "الراعاشـــات" الـــذين سيتعلمون على نفقة الدولة قواعد الرقص الحـــديث والقـــديم والمعاصر في إطار مفاهيم علمية تقنية فنية، ينتظر أن تحدث

أكبر "هزة" في الوسط الثقافي المصري، بل والعربي وربما في منطقة الشرق الأوسط كلها.

وهكذا نستطيع أن نباهي العالم قريبًا. أننا لسنا دعاة حرب ولا منبع إرهاب، بل على العكس تمامًا، نحن شعوب طيبة مسالمة، أصحاب حضارة وأصحاب مزاج، نحب السلام "أجدع سلام" "سلام مربع" ، و "السلام أمانة" و "السلام ختام"..

إللي يحبنا آه.. وإللي يكرهنا لأ"

"الشرعية الدولية آه.. وكونداليزا رايس لأ"..

"القمة العربية آه والدمار الشامل لأ"

"دقي يا مزيكا.. واللي يحبنا ما يضربش نار"!!

إن الشعب المصري بل والعربي بأكمله، ينتظر بفارغ الصبر تلك المدرسة الجديدة، التي ستثبت لأمريكا أننا أصل "العولمة" ومن ثم يجب عليها أن تتمهل "يا واش.. يا واش" قبل إصدار قرار الحرب، وأن تعيد صياغة علاقاتها في المنطقة "حبة فوق.. حبة تحت".

خسارة والله أن تباد في الحروب شعوب مثلنا، تقدر الحظ والفن وخلافه.. حتى في المصائب والأزمات، لا نبخل على الرقص والراقصات.

وفي زمن البطالة والكساد، نخرج اللقمة من أفواهنا، ونعطيها لمن تكمل مشوار "نبوية ما عطلكش"، و"زوبة الكلوباتية" أو من تحذو حذو "شوشو نايلون" وتحمل "شمعدان" الكفاح من "توتوملين"، و "وهيبة أكشن".

الغريب أن أحد النواب المخلصين بمجلس الشعب الموقر قدم استجوابا لوزير الثقافة حول تلك المدرسة الراقصة، التي تنفق عليها الدولة. وتساءل عن طبيعة المناهج التي ستدرس بها على مدى ٣ سنوات هي مدة الدراسة حتى التخرج ونيل الشهادة الكبيرة• ويتساءل أيضًا عما إذا كانت الدولة ستكون ملزمة بتعيين الخريجين والخريجات، وفي أي مجال، وما بالضبط تقدير السيد الوزير للتخصصات التي تحتاجها سوق العمل المصرية من هذه المدرسة؟!

استجواب رائع، وأسئلة وجيهة، ولو أني كنت أتمنى لو أضاف إليها السيد النائب، سؤالا عن طبيعة "المراجع" والتدريب العملي" في المدرسة نفسها؟ ويا حبذا لو سؤال

آخر، عن "الدروس الخصوصية" و"مجموعـات التقويـة" ، و"الخدمة العامة" بعد التخرج؟

على أية حال لا داعي لأن نتعجل الأمور، أو نتحامل على تلك المدرسة، التي ولا شك تأسست بدافع نبيل وإنساني، هدفه إشاعة البهجة في النفوس، ورفع الروح المعنويـة للشـباب، ومناهضة اليأس والاكتئاب، فمن الثابت علميا أنه "لا يأس مع الرقص.. ولا إحباط مع شيك.. شاك.. شووك".

وعلى رأي المثال "الحركة بركة" خللي الولاد "يفكوا عـن نفسهم شوية" يعني هي الدنيا هاتخرب؟

وحتى لو خربت.. هايحصل إيه يعني؟ بكرة نقعد جنـب الحيطة، ونسمع الزيطة.. وليكن في علم العدو والمتربصـين والمستوطنين أننا سنكافح ونقاتل ونصمد "حتى آخر السهرة.." يعني "معاكو للصبح"..

ولو حدثت أي هجمة شرسة، سيكون ردنا : "نو يا جوني نو.. نو يا دارلنج نو"..

ولو قامت الحرب الكيماويـة سـيكون نشـيدنا: "جتتـي بتاكلني.. أنا في عرضك".

فلتحذر أمريكا وليحذر الجميع، الحرب معنا ليست ســهلة، وردود أفعالنا ليست متوقعة بالمرة.. "ومش كل مــرة تســلم الجرة"..

أو كما قالت "أم ترتر":

الشغل لازم ياخد حقه..

وما تقولش إيه اِديتنا مصر..

شوووبش.. ودقي يا مزيكا..

وسمعني سلام "آمنت بالله".

النصائح العبقرية.. لحياتك الزوجية

"ابنك على ما تربيه، وزوجك على ما تعوديه" هكذا يقــول المثل، أما الكتاب الذي كنت أقــرأ فيــه بــالأمس، فيصــيغ للسيدات، خطة التعامل مع الــزوج، وفــق نصــائح علميــة وخطوات تكتيكية لا تخيب.

مثلا وعلى وجه التفصيل:

قد يدخل زوجك البيت سعيدًا مقبلاً على الحيــاة شــاعرًا بالانتصار أو النجاح في عمل استطاع إنجازه اليوم.

فلا تبالي، ولا تعيري حماســه أي اهتمــام.. وتمســكي بالتكشيرة "المتينة" والصمت الرهيب سيقبل على مائدة الطعام بشهية. ويهتف بأنفاس متقطعة: ياله من يوم لقد طلبوا منــي في الشركة تقرير المشروع الذي وضعته بخصوص..

قاطعيه، وقولي بذهن شارد: شيء جميل تدوق الشــوربة قبل ما تبرد.. يا ترى قلت لك إن الرجــل جــاء لإصــلاح الثلاجة صباح اليوم وصمم أن يأخذ ٢٠٠ جنيه! الق عليهــا نظرة بعد الغداء.. سيجيبك "بالتأكيد يا عزيزتي".. ماذا كنــت

أقول؟ آه لقد اجتمعوا بي اليوم في الشـركة وطلبـوا جميـع بيانات المشروع الذي.

قاطعية مرة أخرى في غير اهتمام، وقولي: لقد كنت دائمًا أرى أنهم لا يقدرونك حق قدرك.. على فكرة، ينبغي أن نجد حلاً مع الولد، درجاته المدرسية في غاية السـوء، ومـديرة المدرسة قالت لي إنه ذكي، لكنه لا يبذل مجهودًا. إنه لا يلقي بالاً لكلماتي، وقد وضعت أصابعي منه في الشـق، سـاعتها سيهز زوجك رأسه في يأس، ويبتلع لسانه في إحباط، وتكوني عندها قد نجحت في مهمتك الأولى بتفوق..

وإليك الآن باقي المهام:

أولاً: اسمعي كلام أمك حبيبتك، وطبقي نصـائحها بـالقلم والمسطرة، خاصة فيما يتعلق بطرق ترويض الرجل وقيادته وضمان ولائه العاطفي والعائلي.

ثانيًا: إياك أن تتجملي في البيت، فكما تعلمين يا عزيزتـي الملابس الأنيقة "غالية نار" والمساحيق تفسد البشرة، ومعظـم وسائل التخسيس غير آمنة.

لذا فمن الأصلح توفير المال والوقت والجهد للظهور بأبهى صورك عند الخروجـات المهمـة، ومقابلـة

الغرباء أو لمنافسة السيدات الأخريات في مقر عملك والمناسبات الاجتماعية.

ثالثًا: داومي على إشعار زوجك، بأنك شخصية قوية مستقلة، تشعرين بالاستغناء الكامل عنه معظم الوقت، وكلما أمعنت التفكير تأكدت من أن تلك الزيجة لم تكن لك أبدًا، لولا "البخت المايل" والحظ القليل.

رابعًا: قارني دائمًا بين خيبة زوجك وفقره "وتلفان أمله" وبين تفوق أزواج صديقاتك وثرائهم الذي لا يوصف ونفوذهم الذي لا يحد.

خامسًا: كوني دائمة الذكر لعرسانك السابقين، وأبطال قصص حبك القديمة وتحدثي عن كل منهم بحسرة وندم، بما فيهم ابن الجيران وأخو زوج بنت عمتك!!

سادسًا: اجعلي يوم أجازتك الأسبوعية هو يوم الغسيل واقلبي فيه الشقة رأسًا على عقب.

مع لفت نظره أن وجوده في البيت يعطلك، ويزيد من صعوبة أداء واجباتك المنزلية الثقيلة.

سابعًا وأخيرًا: امنحيه دائمًا شـعورًا بالـدفء المنزلـي، فداومي على دعوة أقاربك والأصدقاء (خاصة الذين لا يحبهم) في ولائم عائلية متوالية، تستهلك معظم دخله الشهري.

ومع تناسيك المستمر لمناسباته الخاصة، احذري أن يمـر عيد أو مناسبة، دون أن تذكرية بتضحياتك من أجله ومن أجل بيته وأولاده، وعليك أن تطلبي منه المقابل، ولو فـي شـكل هدية رمزية، مثل سيارة جديدة أو بالطو فراء أو حتى سوار ذهبي مرصع!

ولحسن حظ السادة القراء، فإن للكتاب نفسه جزءًا ثانيًـا، مخصصًا لنصائح الرجال، وقد أوجزت لكم منه التالي:

١- عزيزي الرجل.. لا تمل ولا تكـل مـن اسـتعراض علاقاتك الغرامية القديمة، أو مغامراتك الأخيرة مـن النساء اللائي ما زلن يجرين وراءك بسبب جاذبيتـك الفتاكة و"السكس آبيل" المهول الذي يشع من عينيك.

٢- إذا طلبت منك زوجتك فستانًا، اشتر لها منديلاً.. وإن قالت لك "فسحني" خذها تزور والـدتك، وإذا قالـت نفسي أروح مكان جديد، نادرًا ما أراه، فخذها مـن يديها وأدخلها المطبخ.

٣- إياك والكلام الناعم.. فهو أكثر ما يفسد النساء، لذا كن صامتًا في حكمة "أبو الهول" ولا تلتفت إليها إبدًا طوال فترة مكوثك السعيد بالبيت.

٤- لا تحترم مشاعرها تجاهك.. أو قلقها عليك، فلا تكلف نفسك الاتصال بها إذا كنت ستتأخر عن العودة في المساء، أو حتى ستبيت في مكان آخر، فهذا أمر شخصي ليس لها شأن به.

٥- عامل أهلها بتجاهل وبرود، ولا تفكر في مجاملتهم مطلقًا حتى لا يأخذوا عليك أو يطمعوا فيك، وتعود تلوم نفسك.

لذا حبذا لو امتنعت عن زيارتهم أو تقديم أي خدمات لأولادهم، ولو منعتها هي شخصيًّا عن زيارتهم والاتصال بهم تكون قد فعلت خيرًا.

٦- وهي نصيحة اختيارية ولو أنها مجربة وممتازة: في عصر الخصخصة والسوق المفتوحة والمنافسة "زوجة واحدة لا تكفي".

فما المانع أن يكون لك زوجتان أو أكثر يتنافسان على حبك وخدمتك وتدليلك؟!

فلتكن الزوجة الأولى "أم العيال" للاستخدام المنزلي "طبيخ وغسيل وبيت عيلة مفتوح" أما الغندورة الجديدة، فهي سيدة المجتمعات والاستقبالات ودعوات السهر والمجاملات.

طبعًا للنصائح بقية"..

لولا أن "البقية في حياتكم"..

مات المؤلف مقتولاً في حادث غامض مريب قبل أن يكملها وعجزت أجهزة الأمن عن الإمساك بالقاتل، لكنها أمسكت بجميع نسخ الكتاب (الذي عرضنا نصائحه منذ قليل) ولولا الصدفة والحظ و"غلاوتكم عندي".. ما كنت استطعت الحصول على نسخة نادرة من هذا الكتاب الفريد وعنوانه:

"هدمت بيتي"!!

يا ناس يا شرّ. كفاية قرّ

يا ساتر يا رب.. فيه ناس عينها مدورة ومقورة.. على رأي المثل: "عضة أسد ولا نظرة حسد" و"العين فلقت الحجر" و "كتر الكلام والكركبة.. أمر من السحر والشبشبة".

أربعة وواحد في وش كل حاسد، و٧ يخسوا اتنين، و٦ يخسوا واحد، على إيه النق والقر، دي الناس مناظر، والدنيا مظاهر، والهدوم مدارية بلاوي"؟!

الأسبوع إللي فات واحدة شافتني وأنا داخلة مكتبي، وقبل ما أقعد واخد نفسي، فسرت في وشي، وهي تتصنع المودة والابتسام، وتجز على ضروسها الخلفية وتقول: يا ختي بتجيبي الأفكار دي منين؟

كل أسبوع موضوع.. بتكتبي حلو قوي.. لسه صغيرة بس واخدة فرصتك على الآخر.. و..و..

عاديكم وبعيد عن السامعين، من يومها وأنا لا على حامي ولا على بارد..

عيني مزغللة، ونفسيتي مدهولة، وأفكاري مشتتة، وحالي يصعب على الكتكوت اليتيم، عارفين "إسماعيل يس" لما دخل

مستشفى المجانين وقابل هناك رجلا له يومين وهو يحاول أن يكتب كلمة واحدة بسيطة، سهلة النطق باللسان، ولكنها تستحيل على التهجي والإملاء.

أنا الآن مثل هذا الرجل أمامي وحولي وتحت قدمي وفوق شعري، كمية مهولة من الورق الأبيض والمشطوب، والممزق والمكرمش والمفرود والمقلوب في محاولة مستميتة ومستعصية للكتابة، لكن دون جدوى..

وكأني أكتب لأول مرة في حياتي، أو كأني أعيد إبداع روائع الأدب الإغريقي القديم (الإلياذة والأوديسة)، شربت شاي، وسمعت مزيكا واتكلمت في التليفون، وأخذت استراحة، وأخذت "تعسيلة" ومع ذلك لا فائدة.

الأمر له ومنه لله إللي كان السبب، ولو إن هذه الحالة فكرتني بواقعة مماثلة وغريبة حدثت لي وأنا في الثانوية العامة، وكنت أيامها أمثل المدرسة في سباقات أوائل الطلبة، وأنافس بقلب جسور في دوري المدارس وتصفيات المحافظات على لقب الطالبة المثالية، وأشارك فيما يستجد من مسابقات الشعر والخطابة والكتابة الأدبية، وحتى الغناء الوطني والديني والرقص الشعبي والتوقيعي، لم أتورع عن

استعراض مواهبي الفذة فيه، سواء كان ذلك في حفلات المدرسة او على مسرح قصر الثقافة.

لكنني فجأة ودون مقدمات معقولة.. شعرت برغبة عارمة في التوقف عن كل شيء، وأولها المذاكرة، واجتاحتني حالة عجيبة من اللامبالاة، وأصبت بغباوة مستحكمة أمام كافة أسئلة التاريخ والجغرافيا التي كنت أصمها صما، وأكرها كرًّا. فيما قبل. فاستبعدوني من أوائل الطلبة، وبعدها استبعدت أنا نفسي بنفسي من جميع الأنشطة الثقافية والفنية التي كنت أحبها، لم يعد عندي حماس إلا للنوم المستديم العميق!!

وكانت لنا قريبة استطاعت إقناع أمي أنها "نفس" و"عين" وأني بالضرورة محسودة ومرصودة ونجمي خفيف، ومحتاجة بخور ساعة أذان الجمعة.

ورغم أن الست الوالدة متعلمة ومتنورة ومثقفة ثقافة رفيعة، إلا أنها في مثل تلك الأمور سيد مين يصدق ويآمن ويخاف.

لذلك لم تفت فرصة ولا جمعة ولا أذان، إلا وهي تطلق البخور، وتقص عروسة من الورق وتخرمها مباشرة فوق رأسي، بإبرة غليظة طويلة، من عين سنية وشادية وأم محمد

وأم حنان، ومن عين الجيران، ومن عين القرايب والأعــادي والحبايب، وأمك وأبوك وأختك وأخوك، وكل إللــي شــافك ونضرك ولا صلاش ع النبي..

ثم تحرق العروس الورق في نار البخــور وهــي تــردد المعوذتين وتستمر في قراءة القرآن، وهي تمسح بيدها مــن رأسي إلى قدمي مرة واثنين وثلاثــا، حتــى أشــعر بخــدر واسترخاء لذيذ، وقبل أن أستغرق في النوم تتوقــف فجــأة، وتقول لي بحسم: "خلاص.. قومي بقى".

وقد تصادف بعدها، أن زالت عني فعــلا، حالــة الــبلادة والغباوة إياها، وعدت لطبيعتي الأولى أحب المذاكرة، وأقدس التفوق، ولا أرضى عن كليات القمة بديلا. ربما كانت فتــرة ملل ومرت، أو كآبة مذاكرة خدت وقتها وراحت لحالها..

لكن أمي يومها، معتقدة ومتيقنة، أنهــا النتيجــة الأكيــدة والمباشرة والمنطقية، لرقوتها السحرية، ذات السر البــاتع.. خاصة أني في هذا العام نجحت بمجموع كبير جعلنــي مــن أوائل المحافظة وأدخلني كلية الأعلام التي كنت أحلم بها، وقد استغلت أمي الفرصة، وصارت تفاخر بي أمام بنات وسيدات

العائلة، وكأنها أنجبت سهير القلماوي أو هدى شعراوي أو نبوية موسى في زمانها وعصرها!

وقد سبق وجاءت أكثر من مناسبة وفرصة وفتحت باب النقاش بيني وبين الست الوالدة عن السحر والحسد ومثل تلك الأمور.. وكنت دائما أنحاز لفكرة أننا نواجه الفشل والألم أحيانا كثيرة في حياتنا، لأسباب منطقية واقعية ظاهرة، لكننا لا نريد أن نعترف بها أو نراها، فنستسهل التسليم بأننا محسودون.

وكانت هذه الفلسفة الفارغة لا تقنع أمي غالبا ولا تحرضها على مراجعة أي شيء من أفكارها أو طقوسها المعتادة، غير أنها تراجعت في الفترة الأخيرة عن أن ترقيني بالبخور أو تخرم فوق رأسي العروس الورقية، مؤكدة أن الرقوة لن تجوز في جنتي، لأني غير معتقدة فيها "والاعتقاد" شيء أساسي في هذه الأمور.

وها هي الأيام قد لفت، وأخيرًا ها أنا سلمت وتأكدت وبصمت بالعشرة.. سامحيني يا ماما:

النق والقر حقيقة، والحسد مذكور في القرآن والعين صابتني ورب العرش نجاني، ومن الحسد يا رب سلم،

وما تبصليش بعين رضية.. تعالى شـوف خيبتـي القويـة، و"الحلوة دي مش ورث.. دي جت بخلع الضرس".

(وبالمناسبة.. إمبارح كان "خميس" والنهاردة "خمسة فـي الشهر، وصلاة النبي أحسن!!!).

دعاني لبيته.. لحد باب بيته

مأزق كبير أن تكون مكاني.. مطالبًا كل أسبوع بكتابة ما يثير الابتسام ويشيع البهجة، ويخفف الآلام.. ومتوقعـا منـك مسح الدموع، وإضاءة الشموع ومقاومة الاكتئاب، مع التأكيد للسادة القراء الأحباب، أن الحياة حلوة بس نفهمهـا.. الحيـاة غنوة محلى أنغامها.. والحب جميل للي عايش فيه.. والقمـر من فرحنا هاينور أكتر.. ومصر اليوم في عيد..

وهي مهمة تبدو أحيانا مستحيلة، لسـبب بسـيط هـو أن الصحفي مثله مثل باقي مخاليق ربنا.. إنسان ضعيف، قابـل للكسر والحزن واليأس، وجائز جدا أن يصـاب هـو نفسـه بصدمة أو أزمة أو خيبة أمل راكبة جمل، تقلب مزاجه وتنكد عليه عيشته، وتغذي مراكز الإحباط النشيطة فـي خلايـاه، فتعطي إشارات قوية للمخيخ، بالدهولة والقندلة والاضـراب عن العمل، وتكرار سماع أغنية "بلاش عتاب"!!

ويحضرني في هذه الأيام المباركة من العشر الأواخر في رمضان، ذكرى رحلة العمرة والتي قمت بها العام الماضي، هربا من حالة انهيار كنت على وشكها، بسبب ظروف نفسية

قاسية افقدتني أيامها أي رغبة في مواصلة أي شيء خاصة العمل والكتابة.

(وبغض النظر عن كون ذلك من حسن حظ القراء) إلا أنها كانت مشكلة عويصة بالنسبة لي.

لكن عشمي في وجه الله كان كبيرًا، وأدركت أنه لن يخرجني من هذه الحالة السوداوية التعيسة أفضل من القيام بهذه العمرة الرمضانية التي أسرعت أنجز إجراءاتها، وأسدد رسومها وأشتري العباءات الفضفاضة، وأجهز الطرح البيضاء، وأتقمص روحانيات الموقف والمكان، وأدندن مع نفسي "دعاني لبيته لحد باب بيته".. وكان من الطبيعي والعادي، أن أسافر في اليوم المحدد للرحلة، مثلي مثل أي معتمر طبيعي.. عادي.. أَخَذَ التأشيرة، وسدد المبلغ المطلوب لشركة السياحة، وحزم حقائبه، وسلم على أصدقائه وأقاربه.. لكنني – وكثيرًا ما يحدث ذلك – أكتشف في اللحظة الأخيرة أنني خارج دائرة الطبيعي والعادي وتحدث معي الصدفة، التي لا تقع إلا مرة كل ١٣ سنة وبنسبة واحد في الألف!

"الباسبور ضاع.. معلهش.. مفيش نصيب".. هكذا قال لي مشرف الفوج، بكل هدوء وارتياح وامتثال لحكم القدر..

ثم ردا على دهشتي وفجعتي وسؤالي، أكمل بنفس الهدوء والرزانة يقول: مش عارفين جوازات السفر دخلت السفارة السعودية مع بعض، كلها رجعت إلا "جوازك" فص ملح وداب!

يا حول الله يا ربي.. أي حاجة فيها "جواز" بتعاكس معايا، حتى "جواز السفر"؟!

على أية حال، لم يعد للتعليق معنى، ولا للكلام فائدة..

سافر الفوج بالسلامة، وأنا جالسة في بيتي أمصمص شفتي، وأهز رأسي، وأردد الأمثال الشعبية "فرحة ما تمت".. "قلت لبختي أنا رايحة أتفسح.. قال وراكي ما نيش مكسح" وقليل البخت يلاقي العظم في الكرشة، "وقلت يا بخت ليه لبخت؟! قال هاتسكت، ولا أنزل حبتين تحت".

وقبل أن ينتهي رصيد الأمثال والولولة جاءني تليفون من مدير شركة السياحة المسئولة عن الرحلة، يخبرني بأن اتصالاته الواسعة، وعلاقاته الرهيبة، وجهوده الجبارة نجحت أخيرًا في إعادة "الباسبور" الضائع ويمكنني السفر غدًا باكرا، حبذا لو تنازلت قبلها عن البلاغ الذي قدمته ضده في أمن الدولة، وقسم شرطة الأزبكية!.

وهكذا سافرت متأخرة ثلاثة أيام، لكنني كنت سعيدة أشعر بلذة الكفاح والنجاح.. في مطار جدة، وقبل موعد الإفطار بنصف ساعة هبطت الطائرة بنا، وأنا وخالي العزيز، الذي يقوم معي بدور "المحرم".

الطبيعي والعادي أننا كنا سنتناول إفطارًا خفيفًا من التمر والعصائر والزبادي، على رصيف المطار، ثم نستقل أتوبيسا للمدينة المنورة، لكن صدفة أخرى غريبة كانت في انتظارنا: بعثة التليفزيون الألماني: تحمل الميكروفونات والكاميرات وتدور في أروقة المطار.

ويشاء العلي القدير أن يتوقف المخرج عندنا بالذات، ويخبرنا بأنه يصور فيلما تسجيليا عن شعائر المسلمين في عمرة رمضان، ويريدنا أن نتعاون معه، خاصة لو كنا نتحدث الإنجليزية!

المخرج كان ألمانيا مسلما من أصل عربي، لكنه لا يعرف عربي.. أعجبه جدًا أني طلعت صحفية، وخالي طلع رجل أعمال سابق وعمل سنوات طويلة في أمريكا.. عنها وأمطرنا بالأسئلة عن ابن لادن، ورأينا في أحداث ١١ سبتمبر،

والأمريكان في السعودية، وسبب تمسكنا بأداء الشعائر الإسلامية، وحقيقة مفهومنا للدين وفكرة الوحدة العربية..

والحقيقة لا أعرف ماذا في إجاباتنا بالضبط جعل الرجل يتمسك بصحبتنا.. ليسجل بالصوت والصورة، ماذا نأكل، وما الذي نردد وكيف ننتقل، وأين نبيت، وما إذا كنا نتسوق أو نتصل بالتليفون، ونبحث عن دواء في الصيدليات..

الرحلة كلها تم تسجيلها "فيديو" ووجدتني فجأة بطلة فيلم أجنبي، يذاع على قناة ألمانية شهيرة. ويمكن مشاهدته عبر الدش..

آرائي الحرة في أمريكا و١١ سبتمبر والسلام في المنطقة وجدت متنفسًا أخيرًا عبر الفضائيات، مصحوبة بالترجمة الفورية!

والأهم أني ظهرت ملء الشاشة بجلبابي الأنيق الذي اشتريته من الحسين، وليس بعيدا لو رشحوني "من أشيك ١٠ سيدات في ألمانيا".. كل هذا لأننا تأخرنا في الوصول ثلاثة أيام؟

تذكرت صديقتي العاقلة، ذات البال الطويل وقولها المأثور: "كل شيء مكتوب ومحسوب" وكنت – على كل –

قد تفاءلت خيرا بالرحلة من بدايتها، فلم ينقصني الحماس، ولا تخلت عني الذاكرة حتى دعوت لكل من حملني أمانة الدعاء، بنص أملاني: يااااارب.. سمير يتجوز، وشريف يتعين، وإسراء تنجح، ونشوى تكسب قضية الخلع، وجوزها يدفع نفقة العيال، وإيناس ربنا يشفيها، وإيمان ارزقها بعيل وعوض عليها، ومشروع رامي ينجح، وهالة عايزة تترقى وتكبر في شغلها سامحها يا رب.. دي هابلة ومش عارفة مصلحتها عدلها بابن الحلال، إللي بعقلها ويستتها ويريح قلبها، وإبراهيم اكتب له حسن الخواتيم، ومايسة ارزقها من وسع واغنيها عن الناس أجمعين.

"وشارون" يا رب تذله، وتشحططه، وأشوف فيه يوم.. "وبوش" يقعد له في عينه وعافيته، و"بلير" يجيله ويحط عليه، ويجعله مسخرة الاتحاد الأوروبي ومهزأة الأمم المتحدة..

يا رب انصر كتائب عز الدين القسام، وبارك في الانتفاضة الفلسطينية، واكفي أبو عمار شر الحصار وشر انقطاع التيار الكهربائي – عن القيادة – وتوقف الاتصالات التليفونية.

وأنا يااارب.. سايقة عليك النبي حبيبك تلهمني كل أسبوع الفكرة والقدرة، على كتابة تبدد الهم وتكافح الملـــل، وبغــض النظر عن حالتي النفسية أو مشكلاتي السيكوباتية، وساعدني دائمًا أبدا على تفجير الضحك وتجديد الأمل.. وإقناع النـــاس بأن الحياة حلوة، والحب جميل، ومصر اليوم في عيد.. أمـــا الحاجات التانية "إللي أنت عارفها فصرفها كيف تشاء يا سميع وقدر لها ما تريد يا مجيب.. لم يعد يقلقني شيء وقد أيقنت أن الرزق "مكتوب ومحسوب" وكل شيء نصيب.

وصفولي الصبر

غطت بالملاية اللف كتفها، واتجهت بدلال نحو محل العطارة الكبير في أول الشارع، أمام برطمانات الشبة واليانسون والحبهان والكمون، وقفت تتشدق باللبانة وتميل برأسها في دلع..

وبين أشولة الحنة السوداني والخِلة الشيطاني والشيح البلدي ورجل العفريت، وتمشت على مهل، تتفقد البضاعة بعينيها، وتمد إليها يديها، لتشمها أو تفركها بين أصابعها.. لكنها قبل أن تتخذ قرار الشراء النهائي، فوجئت بالسيد "أحمد عبد الجواد" يسألها:

بتعملي إيه هنا يا بنت؟

إخص عليك يا سي أحمد.. خضتني..

جاية هنا ليه يا زنوبة؟

يووه.. زنوبة.. جاية اشتري..

ما انتي "بعتي" قبل كده؟!

يقطعني يا سي أحمد هو.. أنا أتوصل..

أنت يا بت عبيطة ولا بتستعبطي؟

عبيطة.. هو أنا لو ما كنتش عبيطة كنت أسـيبك تخـرج آخر مرة زعلان..

قصر الكلام.. عايزة إيه دلوقت؟

عايزة مربة "خرز البقر".. عشان أتخن وأربـرب وأبقـى زي البطة.

بإيحاء من أفلام الثلاثية "قصر الشوق وبـين القصـرين والسكرية" قفز هذا المشهد نابضًا في عقلي، استدعته ذاكرتي مع كل خطوة لي داخل وكالة العطارة الشهيرة: التي قصدتها في منطقة باب الخلق الشعبية العتيقة، وقد ذهبت إليها أسـأل عن أسعار الياميش وأنواع التوابل ووصفات الأعشاب..

عسى أصيغ موضوعا صحفيًّا رمضانيًّا عن موسم العطارة والتجارة عند البسطاء الذين لا يبخلون بالفلوس على البخـور والزعتر والعرقسوس.

صاحب العطارة هذه المرة اسمة "الأستاذ أحمد" والـبعض يسمونه "الدكتور" حيث إنه يوصي بعشب "الماشطة" لمرضى السكر ويعالج فيروس "سي" بقلقاس الحمير ويصـف مربـة "الشيخ الشعراوي" لجلي الصدر ومقاومة ضيق النفس، و"شبط

الغول" لإزالة روائح الفم الكريهة• واللبان الدكر لتهدئة الأعصاب، و"ذخيرة نفيسة" خصيصا للرجال، لاستعادة الشباب والحيوية والذي منه.

كي تقابل "الدكتور" يجب أن تضرب موعدا مسبقًا.. وحين تذهب لمقابلته لا بد أن تمر على السكرتارية أولا..

سيعاملونك دون اكتراث.. مشغولين.. ثم يشيرون إليك أن تستريح في حجرة الانتظار. مثلما فعلوا معي.. وهناك ستجد حولك زبائن آخرين ينتظرون منذ ساعات، وفيهم من جاء من القرى والنجوع يطلب وصفة، أو لبخة تركيبة.

الدنيا إتقل خيرها وانشقلب حالها.. عطار الثلاثينة، كان يقوم لزبائن هَشًّا بَشًّا "عنده نظر" يقضي للحسناوات طلباتهن بنفسه، ويوصلهن إلى باب المحل وهو سعيد منفرج الأسارير حتى لو أنه لم يقبض شيئًا، وقيد الفاقد في الدفاتر "بضاعة أتلفها الهوى".. والشيخ سيد مكاوي عدم البصر، لكنه لم يعدم الذوق والتمييز، لذا ما صدق "غنى أغنية عطار وقاعد في دكاني" أن مرت عليه صبية وقالت "عواف" حتى انبرى ينشد بحماس وفرحة".

"قلت الله يعافيكي.. أهلا مرحب بيكي

كل الدكان ليكي.. عايزة يا حلوة بكاام؟

قالت: ١٠٠٠ وقية، صبر يكون هدية..

للنار إللي فيه.. بس السعر كاام؟

قلتلها: تمنه مش غالي.. وعشانك يرخص الغالي..

وقبل أن يتفقا على السعر، دخل سكرتير أول عطار باب الخلق، يبشرني أن "الدكتور" في انتظاري، فقطعت "الدندنة" وأغنية الشيخ سيد التي كنت أسلي بها نفسي، وقمت أقطع الممر الطويل الواصل بين حجرة الانتظار وصومعة الباشا الخبير، العطار الكبير، الدكتور أحمد، الذي رمقني سريعًا وهو يجلس إلى الكمبيوتر، يملي السكرتيرة المختصة بمراسلاته الإلكترونية، نصوص العقود والصفقات، وتفاصيل الطلبات، التي سيستوردون على أساسها المشروع، والرويال جيلي، والجنسنج من كوريا والصين وأستراليا، ويصدرون الجنزبيل وجوزة الطيب وبلحة جحا والكسبرة لأوروبا وبعض دول الخليج.

كان غارقا في "البيزنس" مثله مثل أي رجل أعمال ثقافته انفتاحية عالمية، وميوله اقتصادية شرق أوسطية، وأغنيته المفضلة "قوم أقف.. وأنت بتكلمني".. ولم يكن له أي علاقة

بصورة العطارين التقليدية في ذهني، من ذوي الثقافة الفطرية الميول الشعبية وأغنيتهم المفضلة "يا عطارين دلوني.. الصبر فين أراضيه".. لذا فقد كنت على أتم الاستعداد للانسحاب والتراجع عن الموضوع "وحدي.. بكرامتي" لكنه شجعني أكثر وهو يعتذر بكبرياء وأنفه، عن إجراء أي حوارات صحفية طوال رمضان "موسم شغل السوق المحلية والتجارة الخارجية". ثم أضاف بلهجة واثقة: "ممكن نتكلم بعد رمضان والعيد.. أنا مخصص يوم الحد للصحافة بس من ٩ لـ ١١ مش أكثر من كده عشان عندي شغل".

ساعتها شعرت بإحساس يتعذر على مثلي كبته دون أن يشرب سطل كركديه لخفض الضغط ويسف مسحوق الدوم لتهدئة الأعصاب، ويتناول زغازيغ حصا، ومغلي الهبووش المنكوش، مع ورق الجوافة وشنب البرغوت، للسيطرة على الميول العدوانية التخريبية والتحلي بالصبر الجميل.. وحيث إني كنت مصرة على ألا "أنفعهم" وألا أشتري بقرش صاغ عطارة من تلك الوكالة بالذات، خرجت للشارع سريعا، حيث منطقة "تحت الربع" الشهيرة بورش الفوانيس المعدنية

الفاطمية الملونة وصالحت نفسي بفانوس "فوشيا" ومكتوب عليه "الرضا لمن يرضى"..

في طريق العودة.. كان صوت الست أم كلثوم ينطلق مجلجلا من مقهى قريب، يجلس عليه من يتحدثون عن ارتفاع الأسعار، وأزمة "الأخضر واليابس" يقصدون أزمة الدولار والجنيه. ويتناوبون التعليق الحماسي والتحليل السياسي لمشكلة العراق واحتمالات ضرب سوريا وإيران وأسباب حالة "الإحباط للجميع" ، وعدد السنوات المتبقية في العصر الطويل للوزارة الحالية.

وكانت الست أم كلثوم ما زالت تغني:

وصفولي الصبر.. لقيته خيال وكلام في الحب..

يا دوب يا دوب ينقال(!!!)

الست دي مامي

في أغنيتها الشهيرة "أااااهلا.. أهلا بالعيد.. مااااراحــب.. مرحب بالعيد".

أكدت صفاء أبو السعود أكثر من مرة، أن "العيد فرحــة.. وأجمل فرحة".

ومع ذلك فالست والدتي لها دائمًا رأي آخــر، مــؤداه أن "العيد فتة.. وأطعم فتة".

خاصة لو قدمتيها يا سيدتي – صباح أول أيــام العيــد – ساخنة.. غارقة في شوربة البط، فوّاحــة.. برائحــة الثــوم والتقلية وإلى جوارها ما لذ وطاب من السلطات والمشــويات والمحشيات ، وطواجن الخضار والفراخ المحمرات.

ولا تنسي "المخلل" لفتح شهية أفراد أسرتك الأعزاء!

هكذا تفعل معنا ماما في كل عيد..

وقد اكتشفت مع السنوات وطوال مدة العشرة أن أمــي – ربنا يخليها – سيدة أفعال لا أقوال.. ما إن تــأتي علينــا أي مناسبة دينية أو قومية أو عائلية إلا ونجدها قد استيقظت مــن الصباح الباكر، وشمرت عن ســاعديها ودخلــت المطــبخ،

واندمجت في عمل دعوب متواصل، لا تكـل ولا تمـل، ولا تهدأ ولا تهنأ قبل أن تُنْهِي مهمتها المقدسة، وتضـع أمامنـا مأدبة الاحتفال الدسمة متطايرة الدخان، ثم تهم بحماس منقطع النظير، تفرق لنا الأطباق، وتوزع قطع اللحـم، وتقصـص الصدور والأوراك، ولا تمر دقيقة أو دقيقتان، إلا وهي تؤكد على كل واحد فينا – بالدور – أن يجرب هذا، أو يتذوق ذاك ثم تجلس تراقبه بعينيها في لهفة، كي تقرأ على ملامح وجهه، نتيجة مجهودها الطويل وعملها المتفاني العظيم.. وعن نفسي، لا أتورع أبدًا، عن إعلان، رأيي في شكل مسـرحي تمثيلـي – أعرف جيدًا أنه سيسعد قلب أمي الطيب – فـأتوقف بـين وقت وآخر، لأهز رأسي طربًا، وأرفع يدي إجـلالا، وأردد بصوت مسموع: "يا سلام.. الأكل يجنن يا مامي.. إيه الإبداع ده؟ الحلاوة دي؟ تسلم أيدك يا بطة"!

ويرمقني أبي بنظرة اندهاش معبرة، وتزغر لـي أختـي، زغرة اتهام واضحة وغالبًا ما يتبرع أحدهما، ويقول لها: ما تخديش على كلامها.. دي منافقة وبتضحك عليك! تبتسم أمي ابتسامة شك مرتابة وهي تنظر نحوي بحنان، فـأعود بكـل إصرار وإخلاص أقول لها: "أبدا يا مامي.. دول غيرانين من

حبنا، حاقدين على علاقتنا، الأكل فعلا يجنن.. المكرونة تهوس والملوخية ما حصلتش في الوجود الإنساني"!

ساعتها تتفرج أسارير الست والدتي، وتبرق سعادة الزهو والنجاح في عينيها، فتمد يدها الحانية "المربربة" تزيد لي طبقي بالبط والسلطة، وتقول: طب كلي من ده بقى السلطة مفيدة، وما بتخنش، أنا عارفة رجيم إيه إللي انتي عملاه ده؟ فيه حد يعمل رجيم في العيد؟!

تدخل أختي الصغرى لتمارس هوايتها الخبيثة في تصيد الفرص و "تهدئة النفوس": أصلها بتقول يا ماما، إنها خايفة تبقى زيك!

وأنا مالي يعني.. تخينة؟!

أنا ها عمل رجيم وألعب رياضة بس بعد العيد.. ثم إن في ناس كتير أتخن مني.. عندكم طنط فيفي وطنط سوسن وطنط دولت أتخن مني والله، بس أنا برضه لازم أخس شويه، عشان "التايير" الجديد لسه مفصلاه الشهر إللي فات، وضاق عليَّ!!

أتدخل أنا بسرعة يا ماما انتي كده زي القمر، برجيم من غير رجيم حلوة وزي العسل ومن أشيك ١٠ سيدات في المنصورة!

تضحك وهي قائمة تجمع الأطباق الفارغة من أمامنا.. وقبل أن تصل بها المطبخ تقول بصوت مرتفع: مش واخدة منكم غير الكلام والهزار والبكش.

مين يا حلوين إللي هاتغسل "المواعين" وترحم "مامي" وصحة "مامي"!

ينظر كل منا للآخر، فأبادر بشجاعة.. وأسأل أختي: وهي السهرة على فيلم إيه النهارده؟

لكنها تمط شفتيها وتومئ بعينها في غيظ: ما تحاوليش تغيري الموضوع.. أنت قلتي ها نلعب الكوتشينة بعد الأكل على طول!!

أنا عايزة أتجوز.. ميكانيكي

فجأة.. يشعر الإنسان أنه لا جدوى من أي شيء، ولا معنى لأي شيء، يشعر بالكآبة والملل و"القرف" من كل ما حوله وكل من حوله.. وساعتها يسأل نفسه "لماذا أعيش هذه الحياة؟".. "ما الهدف الذي يستحق أن أتحمل من أجله كل هذه المعاناة؟ إحساس قوي يسيطر عليه، بأنه لا يريد مطلقًا تكملة المشوار، وتكرار نفس السخافات التي يفعلها ويقولها كل يوم.

"الكل باطل.. "كل حلفائك باعوك يا رتشارد" هكذا كانت تحدثني نفسي دوما، في الفترة الأخيرة حتى جاءت الصدفة التي لم أتوقعها، وتعرفت على "أم أحمد".. من يومها تغير شكل الدنيا في عيوني، وانقلب حالي رأسا على عقب!.

"أم أحمد" جعلت لحياتي معنى ولونا وصوتا واتجاها!

كل يوم آخذها ونتجه لمكان شكل..

مرة عند الميكانيكي، مرة عند الكهربائي، وأحيانا أخرى في اتجاه "بتاع الدوكو"، أو وحدة مرور الجيزة لزوم الورق والفحص وتسديد المخالفات وتجديد الرخص..

منذ رأيتها لأول مرة، في سوق مدينة نصر للسيارات

المستعملة، وقعت في غرامها، وهي تقف بمنتهى الثقة والكبرياء، على قارعة الطريق المتكدس بجميع أنواع السيارات والبشر، تغازل شغاف قلبي بلونها الأحمر "الميتالك" وتلوح لي بأحلام الحرية والاستقلال التام، عن ركوب التاكسي أو مطاردة عربات "الميكروباص" الزؤام.

تخيلت شكلي المبهر الأنيق وأنا أسوقها بمنتهى السعادة والانطلاق• غير عابئة على الإطلاق بازدحام الشوارع أو معاكسات المعجبين!

وعلى هذا لم أتردد كثيرًا قبل شرائها، ولم أتوقف طويلا، عند تلك التفاصيل التقليدية الصغيرة التي نبهني لها بعض الأصدقاء، مثل حالة الموتور وسلامة الشاسيه، وحداثة الموديل، واعتدال القوائم، وصحة البوجيهات، وعدم وجود بارومة في الصاج، أو كسر في الكبالن، أو تآكل في الكتاوت.. كنت كعادتي أستمع بمنتهى الهدوء والاهتمام، وأهز راسي بما معناه "طبعا طبعا.. يا سلاااام بكل تأكيد" وبعدها.. ولا كأني سمعت حاجة!

مالي أنا والكتاوت والكبالن وأسطوانة الدبرياج وطقم الصبابات، ومثل هذه الكلمات الغريبة التي تلطخ بالشحم

والزيت، دون أن تترك أي معانٍ عاطفية تتناسب والأحـــلام الشفافة السعيدة التي كنت أرسمها ساعتها، لسيارتي العزيزة، التي أسميتها "أم أحمد" منذ لقائنا الأول، وكان هذا غالبا لفرط ما شعرت معها بود وعشم.

لكن "أم أحمد" والشهادة لله – كانت أكثر عشما وتباسـطا معي، فبادرت برفع الكلفة وحذف الألقـاب، بـل وأنسـتني اسمي، بعدما صار الكل يصرخ في وجهي كل يوم "إيــه يـا مدااام خديلك جنب.. جرى إيه يا مدااام.. فين الإشـارة.. لا يا مدااام مفيش ركنة هنا.. تاخدي مخالفة يا مدااام".

حتى سائق التاكسي الذي كاد يصدمني فوق الكوبري آخر مرة، أوقف سيارته بالعرض أمامي ونزل يجعر بعزم ما فيه "هاتعورينا يا مدااام".. ساعتها طاح الدم برأسي، وحرضـني الغيظ الشديد أن أصرخ في وجهه قائلـة: "مودموزيـل مـن فضلك"! لكني تراجعت في اللحظة الأخيرة، وآثرت الانسحاب سريعًا، كي لا يسرقني الوقت وأصل الشغل متأخرة، وهـي المصيبة الأكبر، والذنب الأعظم الذي لـو سـامحني عليـه رؤسائي، فلن أسامح نفسي عليه.. لأني وقتها، لن أجد مكانًـا خاليًا "للباركينج" أمام مبنى الأهرام العريق!

ألم أقل لكم إن "أم أحمد" غيرت حياتي.. حتى فارس أحلامي، تغير في خيالي شكله ومواصفاته القديمة.. بالأمس رأيته في منامي – خير اللهم أجعله خير – مرتديا "عفريتة" زرقاء، ويبدو ومن بعيد يلوح لي بلهفة المحبين واشتياق العشاق الوالهين، بيده اليمنى "فوطه صفراء" وفي اليد اليسرى (مفتاح ١٥)، ورأيت في الخلفية شكمانا كبيرا يطلق دخانا أبيض كثيفًا، ملأ المكان رهبة ورومانسية، وساعتها أسمعني حبيبي صوته الجميل، وهو يغني له أغنية شبابية عاطفية رقيقة، يقول مطلعها "الحلو لما يدَّلع بيخلي الأسفلت يولع".

في الصباح كان عليَّ زيارة المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالأمان، ورشة الأسطى عيد الميكانيكي.. حيث شكوت له الصوت الغريب، والبطء الشديد، والنفس المقطوع، والزمجرة المزمنة، والحرارة العالمية، والفرامل الخفيفة، والأنوار الخافتة، وجميع الأعراض التي اعترت "أم أحمد " في الفترة الأخيرة..

عندها دار الأسطى عيد حول "أم أحمد" مرتين وأخراج يده من بطنها المفتوح أمامه ثم قال بحسم لا يقبل المناقشة: "العربية عايزة عمرة يا مداااام"!

اِبعد عني.. يا فاشل

في نقابة الصحفيين، ناس ذوق.. ذوق.. ذوق.. صراحة. خاصة في اللجنة الاقتصادية التي لا تألو جهدا – والشهادة لله – في عمل كل ما من شأنه رفع مستوانا المادي وروحنا المعنوية، بجميع السبل والطرق والكباري.. يعني سلفة بضمان المرتب ممكن.. "وفيزا كارت" بضمان الوظيفة جايز.. وما يمنعش برضة: تقسيط.. تخفيض.. عروض مجانية. ربك بيرزقها.. ويجعل مقر النقابة عمار.

الغريب بقى، إن بتوع اللجنة الاقتصادية "الله يسترهم" لاحظوا بعد ذلك كله أننا معشر الصحفيين مصابون بتجهم واضح على ملامحنا، وإحباط عميق ظاهر في عملنا، وشيء من التعاسة بدأ ينضح في السطور.

"الفلوس مش كل حاجة".. كما يقولونها في الأفلام التراجيدي والمواقف المأساوية. لذلك قامت هذه اللجنة النشيطة – مشكورة – بتنظيم دورات نفسية، تثقيفية بمقر النقابة هدفها الرئيسي مساعدة الصحفيين الأعزاء على تجاوز إحباطاتهم النفسية، العاطفية أو العائلية أيا كانت.. ومع أني

مع مبدأ الست أم كلثوم "ما تصبرنيش بوعود.. وكلام معسول وعهود" تحمست أخيرًا لحضور إحدى هذه المحاضرات النفسية – من باب الالتزام النقابي ليس إلا – وكان د. عبدالرحمن توفيق رئيس مركز الخبرات المهنية للإدارة، هو المحاضر الذي جلسنا إليه، نتابع بالصوت والصورة والوسائل التوضيحية أهم النصائح في مواجهة القلق العميق ومقاومة الاكتئاب الشديد ومكافحة الإحباط الفادح.

النصيحة الأولى: "لا تحبط الآخرين.. حتى لا يحبطوك " حاولت تطبيقها على نفسي فوجدتها صعبة جدًّا، ولأول مرة اكتشف – أساسًا – أن حياتي قائمة على إحباط الآخرين!

في البيت محبطون مني، بدعوى أن الشغل يأخذ كل وقتي وتفكيري، لدرجة تعطل حياتي الخاصة وتعتدي على واجباتي الاجتماعية والعائلية.

وفي الشغل محبطون أكثر، لأني طوال الوقت أتحدث عن البيت والزوج والأولاد، والحياة الأسرية التي هي في نظري أهم من الشهرة الصحفية والمجد الأدبي، والنتيجة أني لا أنجز موضوعاتي إلا في الدقائق الأخيرة قبل النشر، وأحيانًا لا أسلمها نهائيًا، فتأتي النتيجة الأهم، والإحباط الأكبر،

وحينما أذهب بكل شجاعة وتفاؤل آخر الشهر، أسأل عن اسمي في كشف المكافآت، فيبتسم لي موظف الخزينة، ابتسامة أعرف معناها ، ويقول لي بمنتهى الذوق والتعاطف الإنساني: ياه.. غريبة اسمك مش موجود يا أستاذة!!

النصيحة الثانية: تذكر قول غاندي المأثور "لا تطمح في ثروة بدون عمل".

والله كلمة حكمة، لكنها في النهاية "فانتستيكا" إذا كان المطلوب، هو عدم التفكير في تكوين ثروة إلا من خلال العمل، فهذا يعني أن العمل هو الطريق إلى الثروة، وهذا بالطبع أمر مشكوك في صحته ما دمت سيادتك - مثلي - تعمل وتعيش في مصر، وليس في أمريكا أو أي دولة من دول الخليج.

الحل الوحيد في نظري، لتكوين ثروة وأنت في مصر أن تداوم على الاتصال بـ (٠٩٠٠) أو تدخل سحب "شهادة المليونير" أو تشترك في برنامج "من سيربح المليونين".

النصيحة الثالثة: "ابتعد عن سيرة الفشل، وتجنب الفاشلين"، النصيحة تبدو سهلة وممكنة إلى حد ما، لكنني إذا أردت تنفيذها فعلا فسأضطر لقطع علاقتي بمعظم أصدقائي.

فليس فيهم جميعًا، من لا يستعذب ذكر مآسيه النفسية، أو كبواته الحياتية، وتفاصيل تعقيدات عمله وتعسف رؤسائه ومقالب زملائه ومتاعبه اليومية.

وكي لا أظلم أحدا.. تذكرت أخيرًا أن لي صديقًا واحدًا، مبتسمًا متفائلا.. سعيدًا على الدوام، بمناسبة وبدون مناسبة، يتحدث عن إنجازاته وانفراداته وأسفاره للخارج وأصدقائه المخلصين في أنحاء العالم.. ولا يفوته فرصة ألا ويجلس معك يحكي عن عمله الناجح ورئيسه المشجع المتفاهم، والحسناوات اللائي يصادفهن هنا وهناك، فيقضي إلى جوارهن أمتع الأوقات وأحلى الأمسيات.

قلت في نفسي.. نعم هذا هو الشخص الذي أبحث عنه سأداوم على الجلوس والحديث معه بالذات، دون سواه، علّني أنجو من الإحباط والاكتئاب، أو ألتمس قبسا من بركاته.. "ومن جاور السعيد يسعد"..

في اليوم التالي للمحاضرة مباشرة، ذهبت إلى كافيتريا الدور الرابع بالأهرام، فوجدته أمامي.. مبتسمًا سعيدًا، مشرقا، كعادته..

توجهت نحوه بكل حماس وود، وقلت له: أنا عزماك على شاي.. بقالنا مدة متكلمناش، و.." قبل أن أكمل كلمـــاتي، رد بسرعة يقول بجفاء واضح: لا معهلش.. اعفيني.. بصـــراحة أنا أخذت قرارًا أغير طقم أصحابي القدام كلهم.. وانتي مـــن ضمنهم.

ليه كده بس.. إحنا عملنا لك إيه؟

من غير ما تعملوا.. الدكتور بتاعي نصحني بالبعد عـــن الفشل وتجنب الفاشلين.

ضحكت وقلت له: مع مَن ستجلس إذن؟!

فرد بحسم يقول: جبت عقد عمل في الخارج وهاسيب البلد كلها وأسافر، من الأسبوع الجاري (!)

اعترافات نملة..!

* كان الله في عون رؤسائي..

والله غلابة وبيصعبوا عليَّ.. إذا كنت أنا نفسي زهقت من عمايلي، وحطيت صوابعي في الشق من حركاتي "النص كم".

طب اشهدوا إنتو.. الأسبوع ٧ أيام، واليـــوم ٢٤ ســـاعة، ومع ذلك في كل مرة تتكرر نفس المأســـاة ويتكـــرر نفـــس السيناريو (وكل ما أقول التوبة يا بوي.. ترميني المجادير).

عاداتي المؤلمة أن أضيع الوقت، وأهدر الأيـــام، وألـــف حول نفسي دون أن أنجز شيئًا يذكر، وفي نهايـــة الأســـبوع أتذكر ذلك المقال الذي لا بد وأن أسلمه غدًا باكر، فأذهب في اللحظات الأخيرة "الأخيرة جدًّا" لأكتب وأنا في حالة مثاليـــة، من التوتر والقلق.

بين دقيقة وأخرى، أتطلع لساعة الحائط المعلقـــة أمـــامي "تذكرني بقول الشاعر: "أكتر من مرة عاتبتك واديتلك وقـــت تفكر".

يطرأ لبالي أن أخفف ذلك الضغط العصبي، بكوب شاي مظبوط "أصلي صاحبة مزاج"، ومعه أقضم بعض قطع الشيكولاته.. "أصلي أليطة قوي"..

وإمعانًا في التركيز أطفئ مروحة السقف، ليسود السكون التام، المحرض على الإبداع، والمنشط للعبقرية ومع ذلك "الحالة متعثرة"، والأفكار "معصلجة"!!

بجوار الورق الأبيض المنتشر أمامي الآن غلاف مُفَضَّض لآخر قطعة شيكولاته تناولتها• وعلى الفتافيت التي ما تزال في الثنايا ظهرت "نملة"..

نملة بيضاء صغيرة، لكنها تسعى بطمئنان وتتمشي بثقة، وتدور حول فتافيت الشيكولاته بمرح ولا كأنها تراني أو تخشاني أو تعمل لوجودي حسابًا.

أرجأت فكرة الكتابة جانبًا وجلست أتابعها.

للحظة فكرت أن أُجْهِز بإصبعي على تلك النملة البلهاء وأقتلها أنتقامًا من مرحها الجزافي وغرورها المستفز، لكنني تراجعت وأنا أتذكر أول تمرين في كتاب "اليوجا" الذي كنت أطالعه من يومين. وفيه يقول المؤلف: كن مسالمًا طول

الوقت، وتسلح بطاقة أخلاقية تمنعك من إيذاء أي كائن حـــي "نفسيًّا أو بدنيًّا أو فكريًّا" هكذا حرر غاندي نفسه وبلاده.

ما المانع إذن أن أكون في أخلاق المهاتما غاندي وأكسب ثوابًا في تلك النملة الخرقاء، فأدعها تلحس مـــا تريـــد مـــن الشيكولاتة، وتحمل منها ما تطيق وتعود لعيالها بسلام..

* ولو أن شكلك مش عاجبني.. لكن زي بعضه.. عشـــان خاطر عيالك بس.

نظرت النملة نحوي، وابتسمت هازئة ترد: طب إيه رأيك بقى أنا لا عندي عيال ولا أساسًا متجوزة.. أنا لسه "آنسة".

* تأملتها مليًّا، ثم سألتها: وما الذي أخرك عـــن الـــزواج حتى الآن؟ ذكور النمل عميوا ولا انتي إللي طالعة فيها ومش عاجبك حد؟!.

وضعت يدها في وسطها، ورفعت حاجبها الأيمـــن تقـــول وكأنها تردح: لا تعايرني ولا أعايرك الهم طايلني وطايلك..

* منطورة طحت فيها: هم لما يلهفك نملة قليلـــة الأدب.. عديمة الربابة..

لكن الحق عليا.. أنا اللي عبرتك واستعنيتك وعملت عقلي بعقل حشرة تافهة زيك..

يعني إيه تافهة؟ "سألت بكبرياء".

* أجبت بغيظ يا سلاااام .. ما سمعتيش عن التفاهة قبل كده؟

انتي فكراني إيه.. مذيعة في قناة المنوعات؟ مالي أنا والتفاهة.. أنا نملة، والنمل مثال الصبر والنظام والعمل..

لا أحد يجتاز الابتدائية، قبل أن يعرف تلك المعلومات عنا.

* أنت نملة "لمضة" ولسانك أطول منك.. غوري أجري من وشي قبل ما أتهور وأعمل فيك حاجة..

هو إللي يقول الحق في البلد دي يبقى كفر؟

"شوحت بيدها في الهواء، ثم واصلت الكلام لا تعبأ" الإنسان هو اللي اخترع نغمات الموبايل، ونشر أغاني الفيديو كليب، وعمل برنامج "ستار ميكر" سمعنا صوتك.

يعني إنتو اللي "جهابذة" في التفاهة، وغاية الإبداع في الهيافة والمصيبة لو النمل أتعلم منكم، وخاب خيبتكم، ساعتها مش هنلاقي ناكل ومش بعيد نستورد السكر من أمريكا..

* ما شاء الله.. أنت كمان تعرفي أمريكا؟!

أصلي بتابع نشرة الأخبار - من تحت السرير - وساعات أسمعك تجيبي سيرتها مع أصحابك في التليفون..

* وكمان بتتجسسي على مكالماتي؟!

صدفة والله. مش مقصودة.. ثــم أنــت صــوتك عــالي وبتتكلمي دايمًا بانفعال.. فاكرة لما كانت بتحكــي لصــاحبتك عن العريس الأخراني إياه..

* الله يفضحك.. حتى ده تعرفيه.

اسكتي.. كنت مخنوقة منه ومش طايقــاه، وكــان نفســي الموضوع ده يبوظ..

* على الله تكوني ارتاحتي.. ربنا مش مخللي في نفســك حاجة.

يا ختي متأثرة على إيه.. بلا نكد.. خد الشر وراح..

* واضح إنك "مش طايقاه" فعلاً..

قطيعة هو وسيرته وأيامه، كان مهدد جنس النمــل كلــه بالفناء..

* الفناء مرة واحدة.. يعني هاتنقرضوا من الكون؟

لأ وانتي الصادقة.. ها تتقرض من بيتك.. مش هو اللـــي كان مطلع في دماغك تهتمي بالطبيخ والمسح والكنس وتبقـــي ست بيت ممتازة.. من يومها ما شفناش يوم عدل، لا بقيتـــي تسيبي الأكل برة الثلاجة، ولا تنسي برطمان السكر مفتـــوح، ولا ترمي ورق الشيكولاته في أي مكان زي عادتك.

* طب يا ستي افرحي.. مصائب قوم عند قوم فوائد.

يا ختي لا مصيبة ولا حاجة.

يروح واحد ييجي عشرة، دول أكتر م الهـــم ع القلـــب.. ودلوقت بقى عن إذنك، أفوتك بعافية.

* مستعجلة.. رايحة فين؟

رايحة المطبخ.. أكيد رجعتي تنســـي برطمـــان الســـكر مفتوح!!!

يا عزيزي.. كلهم لصوص

في حفل للخريجين، بإحدى الجامعات الأمريكية، وقف السيد "ديك تشيني" نائب الرئيس الأمريكي ليشنف آذان الحاضرين، بخطبة عصماء في حب الوطن.. لكن المفاجأة التي أذهلت "الخريجين" ووسائل الإعلام التي تابعت الحفل، أن السيد "ديك" حين أراد أن "ينفش ريشه" ويمتدح أمريكا، لم يجد أمامه إلا وصفها بأنها بلد "الفرصة الثانية"!.

وقد أكمل كلمته موضحًا: أن أمريكا هي البلد الذي يعطي لمن يفشل "فرصة ثانية" ليصحح مساره في الحياة وينجح.

في حين أن هناك "بلدانا أخرى" الفشل فيها مرة واحدة، يعني نهاية المطاف، ويحدد مصير الشخص للأبد.

وبغض النظر عن أن نائب الرئيس الأمريكي أراد أن يظهر بمظهر الفيلسوف الفهامة، أو الحكيم العلامة، إلا أنه كلما أشار، أن يكون في كلمة "بلدانا أخرى" تلك التي ذكرها في خطابه – وهو يومئ بعينيه ويكز على أسنانه – أي تلميح أو تلقيح علينا لا سمح الله.. لأ بقى.. دا أحنا مش أي أي، ولا زي زي، ولا كل قط يتقال له يا مشمش!

يعني لو كان هو فخور قوي، وفكر أن أمريكا وحدها التي تحنو على الفاشلين، وتمنحهم فرصة ثانية فنحن ولا فخر نعطي الفاشل عندنا، بدل الفرصة ٢٠ و١٠٠ ، وحتى آخر العمر يا حبيبي..

ولا فخر أيضًا، نحن أجدع من يحتضن الفاشلين ويدللهم، ويكرمهم، ويضعهم في مناصب قيادية، ويمنحهم الجوائز التقديرية، والمكافآت التشجيعية، ويسلمهم كئوس الإنتاج، ويمد لهم في سنوات الخدمة الحكومية.

أما عن حكاية، أن أمريكا - دونا عن سائر بلاد الدنيا - هي التي تتسامح مع من يخطئ ، وتفتح باب الرحمة لعودة الابن الضال، فتلك مبالغة لا نقبلها، وظلم لجهودنا في هذا المجال، حيث إنه من الثابت عمليًّا وتاريخيًّا وواقعيًّا أننا أفضل من يتسامح مع اللصوص والمرتشين، وخير من فتح الأبواب لعودة رجال الأعمال المتعثرين.. لا عمرنا علقنا المشانق لمدير مختلس، ولا رفعنا الحصانة عن وزير - قبل أن يخرج من السلطة - نحن متفهمون للغاية، مع أخطاء النفس البشرية، ونحمل تعاطفًا جمًّا للضعف الإنساني، ونعمل حسابًا لضغوط الحياة العصرية..

وإذا كان العالم الإنجليزي "دارون" قد زعم أن "الإنسان أصله قرد" فنحن بعون الله عاكفون على أن نثبت أن "الإنسان أصله حرامي"!.

والحرامية أنواع ودرجات، ولهم فيما يسرقون مذاهب، وتخصصات.

والشهادة لله، عندنا حرامية "دمهم شربات" ابتداء من الذين يتنكرون في ملابس عمال البلدية، وينزعون أغطية البالوعات، ليبيعوها خردة.

أو الذين يرفعون التماثيل الأثرية من الميادين ويشحنوها للخارج على أنها بطاطس تصدير.

وصولاً لمن يسرق أتوبيس سوبر جيت مكيف، ويرفع لوحته المعدنية، ثم يشغلة أجره لحسابه الخاص من باب تحسين الدخل (!).

وإن كانت مباحث النقل العام، قد ألقت القبض على سارق الأتوبيس، وهو يعمل عليه بين المحافظات بعد عدة شهور من السرقة، فإن دورية مباحث المرور استطاعت في وقت أقل، أن تستوقف سيارة الإسعاف المسروقة، والتي كان اللصوص يستخدمونها كعربة "ميكروباص" بالنفر، والغريب أنهم حين

طلبوا من الركاب النزول، زمجر البعض وطالب باسـترداد الأجرة، غير أن أولئـك المزمجـرين، سـارعوا بـالفرار متشائمين، حين صارحهم الضابط، بـأنهم يركبـون سـيارة "تكريم الإنسان" التي تنقل الموتى!

ومن اللصوص من يعجبك نباهته ونزاهته وتميز ثقافتـه مثل عصابة الطلبة، التي تخصصت في السطو على الفيلات والبيوت الفخمة النائيـة بالمعـادي، وإمعانًـا فـي التحـدي والسخرية، كانت تترك خلف كل جريمة لها، توقيعًـا كبيـرًا على الحائط، مكتوبًا بالإنجليزية ومعناه "تأسف لارتكاب هذه الجريمة"!

وقد لا نختلف على أن السرقة فعل شائن، وجريمة مخلـة بالشرف، ومع ذلك فهناك من يتقمص شخصية اللص النبيـل "أرسين لوبين" ويسرق من باب الجدعنـة لـيس إلا.. مثـل أصدقاء العريس، الذي أصرت حماته ألا يتم زواجه بابنتهـا، قبل أن يتعهد بعمل فرح كبير وزفة تكون مفخرة العائلة، أمام الحبايب والأقارب والجيران، ولما كان العريس غلبـان، ولا حول له ولا قوة، تطوع أصدقاؤه المقربون لمسـاعدته فـي

الخروج من ورطته وقرروا أن يقوموا بدور الفرقة ويحيوا الفرح، ولا حوجة لسمير صبري وعمرو دياب.

المشكلة الوحيدة التي واجهتهم هي الآلات الموسيقية التي سيعزفون عليها، في مهمتهم الفنية الانتحارية.. وفي سبيل إنقاذ مشروع الزواج من الفشل، سطا الأصدقاء المخلصون على أحد محال بيع الآلات الموسيقية، وفي الميعاد المتفق عليه قامت الزفة ونصب الفرح وطال السهر والصهللة، حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، حين فوجئ الفريق الموسيقي الواعد بسارينة البوليس، تقطع إحدى وصلاتهم الغنائية، فألقوا بالآلات أرضًا، وفروا هاربين، معتقدين أن البوليس جاء ليقبض عليهم بعد أن كشف سرقتهم، في حين أنه قد جاء بناء على بلاغ أحد الجيران، الذين لم يستطيعوا النوم بسبب ميكروفونات الفرح الزاعقة!!

وإن كانت الحادثة سابقة الذكر، قد سجلتها ملفات مباحث مصر القديمة، قبل عدة سنوات، فقد سجلت الصحف ومعظم وكالات الأنباء العالمية، بالأسبوع الماضي قصة اللص المنحوس، الذي ذهب لسرقة منازل فر أصحابها منها خوفًا من الزلزال الذي ضرب الجزائر أخيرًا..

وأثناء وجود اللص النبيه في أحد المنازل، حــدثت هــزة ارتدادية، فإنهار المنزل فوقه، قبل أن يقبض عليــه رجــال الشرطة، الذين علموا بوجوده من شهود عيان في المنطقة..

هكذا الحياة: نشال خفيف اليد، ولص خفيف الظل.. لــص منحوس، ولص مجدع لا تهمه الفلــوس.. حرامــي يســرق الملايين، ويكنزها في البنوك السويسرية، وحرامــي بطنــي، مسكوه في المطبخ وهو يحتسي الملوخية!.

كل هذا الجاز؟!

مفيش فايدة.. كبرت في دماغه.. يتخيـــل الفلاحـــين فـــي الحقول، والحطابين في الجبال والعجائز حين يتسامرون عند نار المدفأة ويتحاكون بأمجاد "دبليو بوش – قلب الأسد" عائدًا من الشرق منتصرًا متوجًا بأكاليل الغـــار، حـــاملاً مفـــاتيح بغداد..

"بغداااد" مدينة البترول المقدسة!

هكذا حدث السيد "جورج – دبليو بوش" نفسه، وهو واقف يعقد رابطة عنقة أمام المرآة..

لكن صوتًا قويًّا حاسمًا صاح فجأة.

"دبليو.. احذر.. إنك تراهن على مجد شخصـــي.. احقـــن الدماء يا دبليو" احقن الدماء خير لك وللفلاحين في الحقـــول والحطابين في الجبال، وحـــين تعـــود للعجـــائز الجالســـين يتسامرون عند نار المدفأة، قل لهم إن بغداد أرض عربية".

* أجاب "المستر بريزيدنت""

بغداد لا بد أن تكون لي، وقلب أمريكا لن يطمئن وآبـــار البترول في يد عربية.

آبار البترول عندنا تُخدم وتُصان..

أما أنت، فمرحبًا بك في أي وقت ضيفًا عزيزًا علينا..

* بل صاحب بيت، يأمر فُيطاع ويملي الشروط ويوزع الأدوار، ويقسم الغنائم ويبني القواعد، وله جميع الحقوق الشرعية..

- لكن هذا لن يكون ، العراق أرض عربية.

* العراق.. أرض البترول.

- إذن.. فهي الحرب يا دبليو.

* لن تكون حربًا، ستكون نزهة عسكرية..

كل حلفائك خانوك يا صدام.

صدام نُزِع الحب من قلبه فهوى، وسقط قبل أن تسقط بغداد..

لكن العالم لن يسمح لك بسحق الأطفال وتجويع الأبرياء وحرق أغصان الزيتون..

* مالي أنا ومال الزيتون والليمون، قلت أنا ذاهب من أجل "البتروووول" الجاز.. GAZ ألا تتحدث الإنجليزية؟ ألا تعرف الفيلم الأمريكي الشهير "كل هذا الجاز؟".

الفيلم كان يعني قرع الطبول في موسيقى الجاز، لكنك تقرع طبول الحرب يا دبليو..

* "القرع" دائمًا من اختصاص العرب..

أما أنا "دبليو بوش – قلب الأسد" فالعالم كله يعرفني، رجل قوي وعملي، عندي صواريخ، وعندي فيتو، وليس عندي وقت "تايم إز موني.. ماي دير".

احذر نفسك يا دبليو..

احذر من غرورك.. العرب قد يفسحون لك المجال، أما في أوروبا والدول المتقدمة فمظاهرات الاحتجاج ضدك لا تتوقف، وقد تدور عليك الدوائر.

* أنا لا تهمني تلك المظاهرات "الكريزي" التي يقوم بها أولئك الشريرون الإرهابيون.. معظمهم من المتطرفين المغتربين من العرب والمسلمين، سأنتهي من ضرب العراق، ثم ألتفت إليهم، وسيكون لهم عندي مخطط آخر.

أي مخطط جديد تتحدث عنه؟!

إن غطرسة القوة تعميك عن رؤية أبسط الحقائق..

ألم تطالع الجرائد أيها الرجل الأحمق، وتقرأ تصـــريحات الكارهين لك، والساخطين عليك من نجوم الفكر والفن والأدب والسياسية في أوروبا؟

ألم تقرأ عن الممثل البلجيكي الذي قرر أن يحبس نفسه مع خنزير في قفص واحد، ويمضي معه ثلاثة أيام سويًّا، علـــه يكتشف كيف تفكر ويدرك الأسباب الحقيقيـــة وراء ضـــربك للعراق؟!

* تنحنح السيد "بوش الصغير" وضاقت عيناه أكثـــر ممـــا هي عليه، ثم هز كتفيه غير مكترث يقول: دعايـــة ممثلـــين، مجرد "بروباجاندا" للفت نظر وسائل الإعلام.. ســـنة ١٩٧٤ احتج فنان ألماني على حرب فيتنام فقضى أسبوعًا في قفـــص واحد مع أحد الذئاب، ماذا في ذلك؟ الفنون جنون..

لو صح ذلك أصبحت أنت أكبر فنان ظهـــر فـــي الألفيـــة الثالثة من عمر العالم.

* ثار غاضبًا: تقصد أني مجنون؟

ومالك غاضب ثائر هكذا..

أليس هذا رأي والدتك نفسها؟

* أمي لم تقل أبدا أني مجنون.. هي فقط قالت أني.. أغبى أبنائها، وأنني سأقود العالم حتمًا إلى كارثة محققة.. بتبالغ، أصلها يا سيدي خايفة عليَّ من الحرب، وأنت عارف قلب الأمهات.

لكن تعالى هنا.. أنت نازل فيَّ أسئلة ونصايح و"بستفة" أنت.. مين بالضبط؟

لمعت المرآة أمام عيون دبيلو – بوش وضحك الصوت الصادر عنها ضحكة عريضة معبرة..

* أووه.. عرفتك.. أنت ضميري.

يا "مستر برزيدنت" حرام عليك.. هو أنت أساسًا عندك ضمير؟

* آه صحيح.. نسيت.. بس خلاص: أنت "صلاح الدين" .

تصدق؟ الست والدتك كان عندها حق لما قالت إنك أغبى أولادها..

الناصر صلاح الدين لو عايش كان قطع خبرك من المنطقة كلها.. يعني أنت وجودك في حد ذاته، أكبر دليل على إن "صلاح الدين" خلاص.. تعيش أنت!

* لكن أنا متأكد أني أعرفتك.. أو سمعت صوتك قبل كده..

– أنا بابا نويل يا دبليو..

شفتني أكثر من ٥٠ مرة قبل كده..

قرب كل سنة جديدة، أطلع من شجرة عيد الميلاد وأكلمك في المرايا، وأقدم لك هدية، وأعمل فيك مقلب، واقول يمكن يحس.. يمكن يفهم.. مفيش فايدة أبدًا، العيال كلها في أمريكا بتكشفني من أول كلمة، اشمعنى أنت؟

* اعزرني يا بابا نويل.. مشاغل الحكم..

حرب وضرب وإرهاب وانتخابات وعالم كله "بروبلمز" .

يا ابني أنت حالة ميئوس منها..

ما تتمحكش في الحرب والإرهاب على أية حال هديتك عندك في العلبة الحمرة دي، فك الفيونكة تلاقي الحاجة اللي بتحبها ونفسك فيها.

ويختفي بابا نويل في ومضة ضوء سحرية سريعة، فيذهب "دبليو بوش" ويفتح العلبة الحمراء مخرجًا منها زجاجة داكنة

اللون ذات رائحة نفاذة، عليها ملصق مذهب، مكتوب فيه (٢٠٠٣ – هابي نيو يير).

يرفع السيد "دبليو بوش" الزجاجة إلى فمه ويشرب منها نخب السنة الجديدة..

بعد دقائق يسمع معاونو الرئيس صراخه يستغيث وحين يهرولون إليه ومعهم طبيب البيت الأبيض وطاقم الإسعاف الخاص، يكتشفون أنه يعاني من حالة تسمم حادة..

ويلتفت أحدهم ويسأل: من أين أتى الرئيس بهذه الزجاجة؟

..إنها زجاجة جاز!!

خللي بالك.. من عقلك

هما اختياران لا ثالث لهما: لو كنت قضيت ليلة رأس السنة في سهرة "من إياهم" فأنت حقًا تستحق ما سوف يحدث لك هذا العام، أما لو كنت قد قضيت الليلة في فراشك تتثاءب، وتستقبل العام الجديد ببراءة الأطفال في عينيك، فأنت في هذه الحالة تستحق من يقول لك "توتة.. توتة" ويحكي لك حدوتة! صلي على اللي هايشفع فيك، وخد عندك، حدوتة "القرد المضطهد"..

وهي للعلم حدوتة سياسية نفسية مأساوية، أعمق من "أمنا الغولة" وأفكس من "الأربعين حرامي" ، وأوقع من السندريلا والأقزام السبعة، وأكثر تسلية من مغامرات السندباد، على الأقل قد تلاحظ أنك تعرف عن حق أبطالها ومكان أحداثها، وربما تقول لنفسك في نهايتها (الفيلم ده.. أنا دخلته قبل كده).

ويروى في الحدوتة، أنه في يوم أغبر نحس لم تطلع له شمس، ذهب القرد الموكوس يطلب مقابلة ملك الغابة على وجه الخصوص.. وحين سمحوا له أخيرًا بالدخول، ترك وراءه الموز والفول، ودخل عرين الأسد شاكيًا باكيًا يتلوى،

ويتنطط، من ظلم واضطهاد النمر المنقط، وكعادته وبما يتناسب مع صيته وقوته، أظهر ملك الغابة أنه نصير المضهدين والغلابة، وأنه راعي السلام في المنطقة، ولن يسمح لكائن من كان بانتهاك حقوق الحيوان، وعندما صدقه القرد، واطمأن أنه وجد الأمن والحماية، جلس في "مجلس الأمن" يحكي الحكاية. قال: يا خلق غيثوني.. ارحموني، أنا غلبت وغلب حماري.. "نظر نحوه الحمار في شفقة وهز رأسه متأثرًا" فأكمل القرد: النمر هاريني ضرب وبهدلة، بيتلكك ويتمحك ويفتعل أي حجج، عشان يذلني، ويستغلني ويسوق عليَّ العوج.. يعني مثلاً كل يوم يشوفني يقوللي إنت مش لابس جزمة ليه؟ ويضربني لحد ما ورمت وجالي هلع وصرع وفصام في الشخصية، هز ملك الغابة رأسة مستنكرًا، وأظهر علامات الامتعاض والغضب، ووعد أنه سيتولى الأمر، ويجازي النمر قليل الأدب، وفي الحقيقة كان الأسد والنمر صديقين حميمين لكونهما من نفس الفصيلة، وتربطهما في الغابة مصالح مشتركة وصلات عائلية قديمة، لذلك أرسل الأسد للنمر يستدعيه ليلاً في جنح الظلام، وعندما جاء، عاتبه قائلاً: يا أخي بقى ده اسمه كلام.. في حد يقول للقرد "مش

لابس جزمة ليه؟" جتك نيلة في خيبتك القوية، خللـــي عنـــدك سياسة وحكمة ودبلوماسية، عايز تضـــرب القـــرد، اضـــربه واعدمه العافية، بس بشياكة.. بحنكة.. بسبب معقول، علـــى الأقل تحافظ على شكلك في الغابة، وتـــوفر علينـــا الكـــلام، والملام ووجع القلب.

يعني مثلاً نادي عليه وقول له "روح هات لي عنقود عنب" فإذا أحضر لك عنبًا أحمر، اضربه وقل إنك كنت تريد عنبًـــا أصفر، ولو أحضر لك عنبًا أصفر، اضربه بحجة أنك كنـــت تريد عنبًا أحمر، وهكذا.

اقتنع النمر الشرير بالفكرة، وفي اليوم التالي أرسل للقـــرد المسكين، فحضر مرتعدًا ووقـــف مرعوبًـــا يتوقـــع الســـوء كالعادة.. لكن النمر هذه المرة، أبدى له الاحتـــرام الواجـــب والتعاطف المناسب، وطلب منه بكل أدب وهدوء، أن يحضر له من العنب عنقودًا. سأله القرد: من العنب الأحمر أم العنب الأصفر؟ فاستشاط النمر غيظًا، وقال له: "إنت مـــش لابـــس جزمة ليه؟ ثم انهال على أم رأسه ضربًا!!!

قبل أن أسألكم عن كون الحدوتة "حلوة أم ملتوتة" يظهر أن للحكاية بقية أثبتها أخيرًا عدد من الدراســـات فـــي مراكـــز

البحوث العلمية العالمية، التي كشفت بالأرقام عن كم الضغوط والأمراض النفسية، التي صار يعانيها أبناء الشعوب العربية، بسبب الأوضاع السياسية والأمنية غير المستقرة في بلادهم، وعلى سبيل المثال نشر في إحدى الصحف القومية العربية، أن الخوف الهيستيري وعقدة الاضطهاد هي الأمراض الأكثر انتشارًا في فلسطين المحتلة، أما العراق فقد زاد فيها مرضى الصرع والوسواس القهري، بعد القصف الصاروخي وتوالي الهجمات الأمريكية المسلحة، والواضح أن المنطقة لا تخلو أيضًا من مرضى الفصام والحول الإدراكي خاصة في تلك الدول المنكوبة سياسيًّا، والمتخلفة علميًّا، والمنهارة اقتصاديًّا، ومع ذلك ليس لها قناة تليفزيونية، أرضية أو فضائية، إلا وتوالي بث وإذاعة الأغنيات الراقصة والحفلات الساهرة، وبرامج اكتشاف المواهب الفنية وكأنها شعوب أنجزت لنفسها وللمستقبل بما يكفي، وتفرغت للرقص من فرط السعادة، والغناء انتصارًا للمجد والرفاهية، وعن نفسي، فقد صرت في الفترة الأخيرة، أخشى الإصابة" بالاستبحس" المحرض على أكل بوز اللحاف وقرقضة وابتلاع مشابك الغسيل.. وهو مرض نفسي ينتشر الآن بين

العرب في أنحاء العالم، نتيجة الإحساس المتراكم بالكبت والإحباط والعجز عن إبداء رد الفعل المناسب في الوقت المناسب، تجاه من ينهالون على أم رأسنا ضربًا، ونحن أمامهم مسالمون ومتدهولون، نستغيث بمثبت العقل والدين، يكفينا شر المستخبي، وهياج القولون العصبي وجنون البقر الأمريكاني، والطفح الجلدي والحصبة الألمانية وإن كان على كرشة الفنس، والذبحة الصدرية فيمكنك تجنبها باتباع المقولة الشهيرة: "طنش تعيش.. تاكل قراقيش" أو أو اتباع الشعار الخالد: "عيش ندل.. تموت مستور". وضمانًا لحياة صحيحة، خالية من الأعراض الهيستيرية أو اللوثة العقلية: قف أمام المرآة في حجرة نومك كل صباح، وقل لنفسك في ثقة وكبرياء، معتزًا بعروبتك وتاريخك: "أنا مش قصير قزعة.. أنا طويييل واهبل" .. وما تنساش أن تردد وقت اللزوم "العقل زينة.. في التراسينة".

(بون جووووور..)

من أجمل المزايا التي يتمتع بها الكُتّاب الكبار، أنهم حين يغيبون عن قرائهم، ويتوقفون عن نشر مقالاتهم، يضعون صورهم الباسمة لدى المساحة التي تعودوا أن يخاطبوا منها الجماهير، ومعها اعتذار رقيق يبرر عدم كتابتهم هذا الأسبوع، لدواعي السفر خارج البلاد. وحيث إنني كنت قد اختفيت لعدة أسابيع مضت، ولكن دون تبرير أو اعتذار ولا حس ولا خبر.

(فأظنكم الآن تفهمون الفارق والمعنى)، لذا دعونا نتجاوز تلك التفاصيل. ودعوني أحاول تدارك الموقف بالكتابة عن كل ما رأيته وفعلته وحاولته هناك.. في باريس، مدينة الجن والملائكة، التي سافرت إليها قبل ٣ أسابيع مضت، ومن يومها وليس لي حديث مع أحد، إلا ويبدأ بكلمة "عندنا في باريس.."!

وبديهيا يبذل أصدقائي الطيبون جهدًا مشكورًا، في أن يحافظوا على "المود" وعلى أجواء السعادة والمتعة والاندماج

التي كنت أعيشها هناك، فلا يحدثني أحدهم قبل أن يحييني برقة قائلاً " "بونجور مودموازيل دي غرباووي"!

وبالمناسبة.. "عندنا في باريس" يقولون "بونجووور" وكأنها أغنية وليست مجرد كلمة لتحية الصباح، وهي كلمة أساسية جدًا في الحياة، لا بد أن تسمعها ١٣ مرة في اليوم - على الأقل - سواء من بائع الخبز أو من سائق الأتوبيس، أو من صاحب أي محل تدخ[illegible] مترو الأنفاق.. كل منهم هو الذي سيبادرك بكلمة "بونجور" قبل أن تسأله عن أي شيء ثم يقدم لك الخدمة المطلوبة بكل أدب وسعادة وسماحة، ثم يسبقك بابتسامة واسعة ويقول لك "ميرسي" قبل أن تتركه وتنصرف.

"ناس ذوق ذوق ذوق" .. حقيقي، حتى الشحاتين في الشوارع لهم شكل "وستايل" يهوس.

"أوريجينال خالص".

لا فيهم حد هدومه مقطعة، ولا سحنته مقلوبة، ولا جتته جربانة، ولا رائحته عفنة..

مطلقًا.. "أمبوسيبل".

"الأخ الشحات" هناك "ميسيو" محترم جدًا وهادئ ونظيف.

بهرني أحدهم مرة، بالجاكيت الأزرق القطيفة الذي كان يرتديه وهو جالس يحتضن ابنه فوق أحد الأرصفة، وأمامه كوب فارغ لجمع "الحسنة" باليورو.. وبالطبع تجاهلت الكوب، لكني لم أتجاهل النظر نحو حذائه الجلدي الجديد، وشرابه الكاروهات الإنجليزي، الذي كان له نفس درجة لون الجاكيت بالضبط!! حكمتك يا رب!

أما الشحات الذي قابلته عند جامعة السوربون، فقد كان يليق بالموقف والمكان، إذ بدى يتمشى بكل كبرياء وثقة، يعزف موسيقى الإرب، وكأنه يزف عروسة في فندق ٥ نجوم..

لا ينافسه في فنه غير ذلك الشحات "الهيبز" الذي جلس يعزف الجيتار على ناصية الحي اللاتيني "سان ميشيل" وقد فرد أمامة ملاءة رمادية، لتبرعات المعجبين.

وفي مترو الأنفاق كان التسول جماعيًّا، عندما دخلت نفس العربية التي كنت أستقلها يومها، فرقة موسيقية من ثلاثة عازفين للأوكرديون، يقدمون باقتدار بعض أجمل وأبهج المقطوعات الموسيقية العالمية، خاصة تلك التي تذكرك

بأجواء المقاهي الفنية، والموسيقى التصويرية في مسلسل "الأيام" وفيلم "قاهر الظلام" وهو في الغالب ما لمس أوتارًا رقيقة في أعماق أعماقي، ودفعني دفعًا لفتح حقيبتي، والتنقيب جديا عن حسنة، أملأ بها كوب الفرقة الفارغ، الذي حمله أحدهم ولف به على مقاعد الركوب، فما إن وصل عندي، حتى وضعت "اللي فيه النصيب" بسرعة، وكان قطعة فضية من فئة ال ١٠ قروش المصرية، أتمنى أن تحوز إعجابهم حين يكتشفونها، وأن يستطيعوا تقدير قيمتها النقدية والتذكارية النادرة.

الطريف حقًا أن الفرنسيين يقدرون جدًا، أشياء قد لا نشعر بأي قيمة لها عندنا في مصر، مثل "أم الخلول" التي يبيعونها في "لافاييت" أشهر المتاجر الباريسية على الإطلاق، والتين الشوكي الذين يشترون الواحدة منه بـ ٢ يورو يعني بـ ١٠ جنيهات• والحلبة الخضراء التي يقدمونها في أفخم المحلات بالشيء الفلاني، وجنبًا إلى جنب الجمبري والسمك والأناناس• والطعمية التي يخصصون لها ركنًا مميزًا في الحي اللاتيني، والساندوتش منها بـ ٥ يورو، يعني ٢٠ جنيهًا!

أما المسلات والآثار الفرعونية، فتحتـل مرتبـة شـديدة الاحترام والأهمية في قلوب الشعب الفرنسي، الـذي يفسـح للمسلة المصرية أهم وأجمل ميـادين العاصـمة ويحيطهـا بمظاهر الأبهة والتقديس والإجلال، لدرجة تجعلك تـدرك أن لتهريب الآثار فوائد عظيمة.

وقد لاحظت أن ملمحًا مصريًّا شـرقيًّا آخـر قـد انتقـل لعاصمة النور في الفترة الأخيرة، حين أصبحت الباريسـيات فجأة مغرمات لحد الجنون، بتحـزيم وسـطهن بإيشـاربات حمراء وخضراء وبمبي وصفراء، مشغولة بالخرز والترتـر ومربوطة بدلع واقتدار "على جنب".

فشر سهير زكي في عزها، ونجوى فؤاد أيـام مجـدها، وفيفي ودينا وصفوة، في آخـر تابلوهـاتهن الاستعراضـية الراقصة على "واحدة ونص"!

وإن كان أحد لا يعرف حتى اليوم، سر رواج هذه الصيحة الجديدة المستوحاه من خطوط "سنية شخلع" وأفكـار "نعيمـة سوست" وروح "شوشو كهربا" إلا أن الذي صار مؤكدًا لـي بعد التجوال الطويل في الشـانزليزيه هـو صـدق الحكمـة السينمائية القديمة القائلة: "صحيح يا ولاد.. الفقر حشمة"!

شوف العقد.. شوف الشراشيب

من فساتين الغجر وقبعات الهنود الحمر، استوحت كبـــرى بيوت الأزياء أحداث خطوطها لموضة الشتاء القادم، فامتلأت واجهات العرض الزجاجية في أشهر وأفخم محلات بـــاريس بموديلات ساخنة الألـــوان منســدلة الكـــرانيش. الأطـــراف والأكمام تبدو ممزقة وطاقية الشعر الصـــوف يخـــرج منهـــا الريش!

ومثل أي قروي ساذج بهرته أضواء المدينة، كنت أخـــرج يوميًّا. من صباحية ربنا – ألف على هذه المحلات وأتجـــول بسعادة وانبهار بين الفساتين والإكسســـوارات، والجواكـــت، والبلوفرات..

أتفقدها بعيون مندهشة، وفم واسع الابتسام، ثـــم أقتـــرب وأضع يدي على أي شيء يعجبني – بغض النظر تمامًا عـــن ثمنه. وأخرجه بالشماعة التي تحمله لأضـــعه فـــوقي أمـــام المرآة، وأنا أقترب وأبتعد وبكل ثقة وثبات أعطي لصـــورتي في المرآة كتفا يمين، وكتفا شمال، وبعد أن أتأكد أن الموديل "تري جولي" والألوان "تري شيك" والخامة "تري ديســـتانجي"

أعيد ما في يدي إلى مكانه بهدوء واستسلام، وأمضي أمصمص شفتي وأتنهد، وأحاول إقناع نفسي إن "اللي ما يشتري يتفرج" لكنني أعود ألتفت خلفي وأردد بإعجاب وانسجام "يا سلاام .. شوف الوبر.. شوف العقد.. شوف الشراشيب"!!

وقبل أن يتطور الموضوع، ويصبح "عقدة نفسية" قلت في عقل بالي، هذه هي زيارتك الأولى لباريس.. ومحتمل برضه تكون الأخيرة "ما حدش عارف"؟! ما تحرميش روحك من حاجة يا جي جي، اشتري وانبسطي و "ياالله.. إن شاء الله ما حد حوش!".

وقتها كنت قد أخرجت في يدي، جيب طويل واسع له ذيل ممزق، وشراشيب عشوائية تخرج من كل اتجاه خامته "شمواه" ولونه "هافان" وشكله أقرب ما يكون لملابس رعاة البقر.

تصورت نفسي حين أعود وأرتديه أمام صديقاتي في مصر وتراني "إللي بالي بالك" فتجز على أسنانها وتسألني وهي "مفروسة" وتصطنع الابتسام.. منين الجيب الغريب ده؟! فأرد عليها بدلع و"تناكه": آه ه ه .. دي آخر موضة في

"باري" أصل الموضة السنة دي "العقد".. والشراشيب والألوان هافان.. أوراج.. أو أحمر هندي، لون "الفلفل"، و"الشطة"!.

وحيث إنني سعدت جدًّا بهذا الخيالات و"التوقعات المرئية" التي واتتني ساعتها وأنا أقيس "جيبتي الأنيقة الباريسية"، أخذتها في يدي بكل شجاعة وإقدام، وتقدمت أدفع ثمنها بكل جسارة (٥٠ يورو) يورو ينطح يورو، يعني حوالي ٢٥٠ جنيهًا مصريًّا (زي بعضه.. خليها عليَّ المرة دي).

لكن ربك رب قلوب، والظاهر والله أعلم إن ربنا "وقف لي إللي في نيتي".. فما لبث الرجل أن أخذ مني "الفيزا كارت" وأدخلها الماكينة وأخرج لي الفاتورة لأوقع عليها، حتى اكتشفت أني زي الشاطرة مضيت على فاتورة بـ ١٥٠ يورو، ثمن "الجيب" الحقيقي الذي لم أقرأ غير نصفه الأول. بدافع من أمنيات عقلي الباطن.

وقد لاحظ البائع الفرنسي الأشقر، علامات المفاجأة والهلع على وجهي، وأنا أقرأ السعر الحقيقي، فسألني: "هل في السعر مفاجأة يا مودموازيل؟" أجبته بهز رأسي، ففهم أنني على وشك الإغماء من الصدمة، وأسرع يقول: لا عليك

(بالفرنساوي طبعًا) ثم سحب الجيب بكل أدب وأعاده مكانه، وفتح درجه ليخرج لي المبلغ المسحوب بالفيزا، ويعطيه لي "كاش" باليورو، وهو يبتسم!

صحيح تسلمت فلوسي، وأنا ممتنة وأتنفس الصعداء، لكن مفاجأة أخرى كبيرة كانت قد أصابتني بالذهول، وعقدت لساني عن الكلام، وهي تلك السهولة والسماحة والليونة واللباقة التي تعامل بها البائع معي.. رغم أن الخطأ خطئي ، وهو لا ذنب له إطلاقًا، وليست له أي مسئولية عن "الحول الإدراكي" الذي أصابني وأنا أقرأ السعر.

لكنها قاعدة البيع والشراء في كل مكان في باريس: "الزبون دائمًا على حق". ما إن يراك أحد تعبر الطريق، حتى يهدئ من سرعة سيارته، ثم يقف وخلفه طابور من السيارات المتراصة في هدوء، دون أي قلق أو انزعاج أو احتجاج، في انتظار "سعادتك" أن تعبر بكل أمان واطمئنان و"على مهلك خاااالص"، و "ربنا يوفقك".

ناس مرتاحة، وأعصابها هادية، و"مستحمية" و"حاطة كلونيا"... لا حد دمه محروق، ولا حد واكل فول الصبح.

أكلهم كله مربة وزبدة و "بـــاتي بـــان" و "كيرواســـون"، و"ساليزون" و "بون بون"...، وهي أطعمة رائعة، أناشد كـــل السادة المسئولين، بتوفيرها وتدعيمها ونشـــرها بـــين جميـــع طبقات الشعب العامل عندنا في مصر. حيث ثبـــت بالـــدليل القاطع، مدى عمق تأثيرها على توجيـــه وضـــباط الســـلوك البشري، واستقرار الحالة النفســـية وزيـــادة نســـبة الانتبـــاه والتركيز الذهني والعقلي.

وبعيدًا عن أي مبالغات عفوية، أو انطباعات شخصية فقد أثبتت الدراسات العلمية فعلاً، أن الطالب الفرنسي من أكثـــر الطلاب في العالم قدرة على التحصـــيل العلمـــي والتركيـــز والتفوق.

والمعروف أن الفرنسيين طلبة علم مجتهـــدون، عقـــدتهم الوحيدة الألمان الذين يعملون مثل المكن، ويتفوقـــون علـــيهم بالطاقة والقوة والنظام.

أما الألمان فعقدتهم الأمريكـــان، الـــذين تفوقـــوا علـــيهم بالابتكار والتجديد وتنوع وسائل الترفيـــه.. أمـــا الأمريكـــان فعقدتهم اليابان التي تنافسهم في النمـــو الاقتصـــادي والتقـــدم التكنولوجي.. أما نحن فعقدتنا هؤلاء جميعًا!!!

حكايات أم حسن

الدنيا مقلوبة على استنساخ البشر..

البعض مؤيد مشجع، والبعض ساخر، ثائر، محتج بشدة على آخر تجارب الاستنساخ البشري التي تمت بنجاح في الأسابيع الماضية، ويصفها بأنها خطوة واسعة نحو "الجنون" وليس نحو "الخلود" كما يدعي فريق من علماء الاستنساخ المهاويس "الخلل".

وعلى هذا لم تحسم معارك الخلاف حتى الآن، بين الذين يعتبرون "استنساخ الإنسان" انتصارًا علميًّا عظيمًا وإنجازًا معمليًّا جبارًا. وبين أولئك الذين يؤكدون أنه انهيار ديني وأخلاقي وعبث كوني ولوثة عقلية، وبينما الجدل دائر في أنحاء العالم، بين مؤيد ومعارض، ومتخوف ومتشجع، ومتحرر ومحافظ، جاء على ذهني فكرة التحقيق الصحفي، الذي كلفوني بعمله منذ عدة سنوات، بمناسبة نجاح تجربة استنساخ "النعجة دوللي" وكن تحقيقا "فانتازيا" أقرب ما يكون لأفلام الخيال العلمي، تقوم فكرته على سؤال بعض نجوم

الأدب والفن والسياسة عن الشخصيات التي يودون استنساخها إذا ما نجح العلم في استنساخ البشر؟

ووجدتني أعيد على نفسي نفس السؤال - مين يا تـــرى.. يا هل ترى.. من تودين استنساخه، في حالة نجاح التجربـــة، وإمكانية إنتاج عدة نسخ كربونية متكررة من شخص واحـــد، بجودة فائقة، وبسعر المصنع؟

اسم واحد يفرض نفسه على عقلي وإحساســـي وذاكرتـــي وكياني، كلما فكرت في إجابة لهذا السؤال.. "أم حسن".. نعم هي، وليس غيرها.. أريد استنساخ "أم حسن" بالذات.

ليس اعتزازًا بها، أو حبا في سواد عيونها ولكن نكاية فيها وانتقاما منها.

أريد أن أقهرها، ويسرني غاية السرور لـــو يستنســـخونها عشرات، بل مئات وآلاف النسخ البشـــرية. المتطابقـــة لحـــد الملل، وبذلك يصبح "العشرة منها بقرش" وتضيع عليها ميزة الانفراد والندرة، التي تتعالى بها عليَّ وعلى غيري من عباد الله المساكين، المحتـــاجين لخـــدماتها التنمويـــة الجليلـــة، أو مساعدتها الإنسانية البناءة.

"وأم حسن" لمن لا يعرفها: سيدة في منتصف الثلاثينيــات من عمرها.. بدانتها لم تنل من ليقاتها البدنية العالمية، وعيالها الثلاثة الصغار، لم ينجحوا بعد، في قطع نفســها الطويــل أو وقف جهدها المشكور إبان عمليات المسح والكنس والغسيل، ونفض السجاجيد وهبد المراتب وتلميــع النوافــذ وترتيــب الأثاث، وسائر أعمال الخدمات في البيوت.

ربنا يبارك لها في صحتها، ست مكافحة، ومسلية للغاية.

في كل أسبوع تزورني فيه، تحكي لي حكاية جديدة.. مرة عن غرامياتها مع الشاب الوسيم الذي كانت تحبه، ثم أجبرها والدها على الزواج من غيره• ومرة على الست "المهبوشة في مخها" التي تهوى تربية القطط والعصــافير، وتنفــق علــيهم الشيء الفلاني، ثم تقول لها: "يا أم حسن.. أكل العصافير أهم من أكل عيالي.. وحاجة القطط تخلص الأول وبعدين تعملــي حاجة البيت"!

وهكذا تتواصل نوادر وحكايات أم حسن، وأنــا أتابعهــا باهتمام بالغ، وابتسام دائم؛ عل ذلك يشــجعها علــى العمــل والإنجاز، ونخلص وننتهي في يومنا الذي بدأ فــي المطــبخ وهي تغسل الأطباق وتحكي لي عن سبوع بنت أختها، وأنتهى

في البلكونة وهي تنشر الغسيل وأنا إلـي جوارهـا أناولها المشابك وأستمع للتفاصيل النهائية والأسباب الأساسية في فسخ خطوبة ابن عمتها.

وكنت أحسب أن شيئًا من طولة البال هو هامش من المجاملة، ونفحة من البشاشة، وافتعال الاندماج والانسجام، هو كل المطلوب مني أداؤه تجاه حكايات أم حسن، كي تتم مهمتها الأسبوعية المقدسة في تنظيف شقتنا المتواضعة، لكن شيئا آخر استجد على قائمة الواجبات في الفترة الأخيرة بالذات.. فقد أصبحت (أم حسن) بحكم قوانين السوق والعرض والطلب، تُطلب بالحجز، وتعمل بالساعة تمامًا مثل أساتذة الدروس الخصوصية، وصار على أمثالي من الراغبين في خدماتها المنزلية والآملين في زيارتها الأسبوعية، الاتصال بها تليفونيًّا لتحديد اليوم والميعاد مسبقًا.

وأذكر أن هذا نص آخر مكالماتنا التليفونية:

بلهفة وحرارة: آلووه.. أم حسن؟

بثبات وإمارة: أيوه.. مين بيتكلم

أنا جيهان.. الصحفية.. شارع فيصل..

آه.. آه.. افتكرتك.

والنبي يا أم حسن، عايزاك الجمعة الجاية.. أنا كنت مسافرة والشقة تضرب تقلب.. أوعي تتأخري..

لأ.. الجمعة مش ممكن.. إلا يوم الجمعة محجوز ٣ أسابيع ورا بعض.

أسألها متوسلة: طب يوم السبت؟

محجوز برضه.

اعملي معروف يا أم حسن.. الله يخليك..

ما ينفعش والله.. أعملك إيه.. حد قالك ما تحجزيش قبلها؟

زي بعضه تعالي الأربع؟

الأربع.. الأربع.. استنى كدة أشوف.. حظك حلو، الصبح محجوز، بس ممكن آجي بعد الساعة تلاتة..

يا أم حسن بقولك كنت مسافرة.. يعني عايزين نستغل الشمس ونهوي البيت ونطلع المراتب في نور ربنا..

أيوه.. سافري أنت وأنا يطلع عيني.. على كده الشقة متوسخة؟

في الواقع.. في الحقيقة.. أيوه..

"هو حضرتك ما بتنضفيش غير الشقق النضيفة؟".

أنا وسطى بينقطم، والعيال بترجع من المدرسة بدري عايزة تاكل.. اسمعي.. يوم الاثنين، الأسبوع اللي بعد اللي جاي.. ده اليوم الوحيد الفاضي، هآخد ٢٥ جنيه، وأمشي الساعة ٢، وافتكري دوا الكحة والقطرة بتاعة الواد ابني الصغير، وبلوفرات الواد حسن، وملايات السرير اللي وعدتيني بيها، وتكلميني قبلها بيوم تأكدي الميعاد عليّ..

حاااا ضر يا أم حسن.. أي أوامر تانية؟

لأ خلاص روحي انتي الباب بيخبط، والعيال قدام التليفزيون، الصوت مسمع الجيران يا مراري يا اني..

وتنتهي المكالمة على صوت أم حسن وهي واقفة تشتم العيال، وتنهر من عند الباب وتنعي حظها وتلعن خدمة البيوت..

ما لها خدمة البيوت "يا أم حسن".. بالساعة والتليفون والحجز، وبأكثر من دخل أساتذة الجامعة، ومرتب ١٠ دكاترة امتياز في قصر العيني؟! بكره يستنسخوكي يا مستبدة، وأشوف فيك يوم..!

اركب الكاريته

عنده مشكلة كبيرة..

أخذ يفكر ويفكر.. وظل يفكر ويفكر.. وفي النهاية شعر بصداع عنيف في رأسه و"حس أنه مخنوق" فخرج يقصد الحلاق القريب من بيتهم في الحوامدية ودخل يلقي السلام ويتصنع الابتسام وجلس على كرسي الحلاقة، لا يعبأ بالنظر في المرآة، لكنه أطرق تحت ضربات المقص في شعره، ساهمًا بائسًا، "لا يرى.. لا يسمع.. لا يتكلم:!

"صلاح الحلاق" لم يعجبه الحال.. فهو ليس من أنصار "العمل في الصمت" بل هو على العكس مؤمن بمبدأ "خد وهات" إرسال واستقبال وتفاعل و "إيد لوحدها.. ما تحلقش".

ومن ثم أخذ يمطر "الزبون" بالأسئلة ما هي أخبار الصحة والأحوال، والوالد والست الحاجة، والشغل والمزاج.. بينما صاحبنا يرد فقط بثلاث كلمات: الحمد لله.. ماشي الحال.. ربنا يسهل..

أخيرًا سأله صلاح بلهجة الأصدقاء "العشمانين".

وأنت متجوزتش ليه لحد دلوقت؟!.

انتبه الزبون ورفع رأسه وشرع يرد بحماس لأول مرة:

أنت شايف يعني الجواز سهل قوي؟!

تهلل صاحبنا الحلاق، وابتهج من أعماقه.. فقد وجد أخيرًا المدخل فأكمل يقول له:

"أنت مصعبها ليه يا عمنا.. هو أنت ما عندكش شقة؟.

رد الزبون:

"لأ.. ما عنديش".

وما له.. مفيش مشكلة.. أنا عارف بيتكم ورا المحل.. بيت قديم، وشقة واسعة من بتاعة زمان.. اقنع بس أم العروسة وتيجي تعيش معاك وسط العيلة، ولا مؤاخذة بكره ولا بعده ربنا يفتكر الحاج والحاجة، والشقة تبقى بتاعتكم.. "سنة الحياة"!

تطلع الزبون بعينيه، وكأنه يحاور نفسه.

يقول: بس الشبكة والـ ... (؟)

قبل أن يكمل قاطعه صلاح بحماس:

عادل بتاع الدهب، اللي على أول الشارع، صاحبنا الروح بالروح، آخدك ونروح عليه، نقي الشبكة وادفع له اللي معاك

دلوقت.. وبعد كده أبقى فوت عليه، كل أول شهر، وارميلــه أي حاجة، وهاتعدي..

وإن كان على الجهاز، العروسة عليها شيء، وأنت شيء، والناس كلها ماشية بالتقسيط، وربك يسهلها..

فرك الزبون راسه وقال في هدوء:

بس فيه مصاريف تانية..

يا عم، لا تانية ولا تالته..

كابتن "علاء ميهوب" م الحوامدية عندنا، زبوني، وحبيبي، وعمره ما أخر علي طلب.. لك عليَّ أقصده في بدلـــة حلـــوة على مقاسك، وفستان العروسة نأجره، دي ليلة.. كام ســـاعة، وسحر الكوافيرة صاحبتي.. بت جدعة وتخدم، ولو كلمتها لك مش هاتاخد ٣٠ جنيها!

قبل أن ينطق الزبون، أكمل "الحلاق المخلص" وقد تعالت نبرات الحماسة والسعادة في صوته:

الزفة بقى.. نقوط من أخوك "صلاح".. أصلي كنت معزوم من يومين، في فرح ناس أصحابي في القلعة، وشفتهم زافين العريس والعروسة في "كاريته" ملوكي.. نأجرها،، والحساب عندي..

ونأجر كام رق وطبلة ودرابكة، والواد إبــراهيم العــايق وعزت باكتة، وفاروق والدياسطي وحنكش، يغنوا ويهللــوا، ويبقى أحلى فرح وأشيك عروسين، وتبقى أنت أول عــريس في الحوامدية، يتزف على "كاريته".

قبل أن ينتهي الكلام..

كان زبون جديد واقفًا عند الباب.. سمع كلمة "الكاريتــه" فتسمر مكانه،، وكأن أحدًا غمد في قلبه سكينًا!

لكنه تجاوز الصدمة، وأكمل خطواته داخل المحل متوجهًا نحو الزبون "العريس" الذي لم يكن غادر مقعده بعد، ثم قــال له مبتسمًا يهز رأسه: هو أنت كمان "ركبت الكاريته؟".

٣ سنوات مضت على هذه القصة التي حدثت بالفعل، مع أحد أصدقائي المقربين.. ومن يومهــا وهــو لا ينســاها ولا يتوقف عن روايتها في كل مناسبة، وهو غارق في الضحك..

فقد اكتشف "الزبون العريس" الذي هو صديقنا، أنه لم يكن الزبون الأول ولا الأخير، الذي "ركب الكاريته" بــين يــدي صلاح الحلاق، ولف الحوامدية ٧ مرات!!

والأهم أنه ليس الزبون الوحيد، الذي حل له هذا "الحـــلاق المعجزة" جميع مشاكل حياته، في منتهى البساطة، وفي ساعة زمن "مسافة السكة" شعر ودقن!

من يومها أيضًا و"ركوب الكاريته" رمز وشـــعار و"ســـيم" متبادل بيني وبين الأصدقاء، كناية عن "تكبير الدماغ" وتبسيط المشاكل، ومواجهة أعتى المصاعب بابتسامة كبرياء واسعة، تسرج خيول الأحلام الوردية، في كل اتجاه للبعـــد البـــؤري السرمدي، اللامتناهي، اللامترائي.. المهم أن ينتهي التفكير.. وتبقى الابتسامة ويحلها من لا يغفل ولا ينام..

جرب أن تفعل مثلنا:

حين تجد رأسك منهكًا في مشكلة بلا حل، أو أسئلة صعبة بلا إجابات، أسرع بغلق ورشة الفكر في دماغـــك، واعتمـــد على اللاوعي، و"اركب الكاريته"!

روح العب بعيد

تيجي نلعبها؟

إنها لعبة مسلية جدًّا، جربها بنفسك وستصعق من النتائج..

مثل كل الاكتشافات العظيمة في التاريخ، اكتشفتها صدفة - مجرد صدفة - في ليلة قارسة البرودة، دافعت فيها عن نفسي بالبطانية السميكة "أم وشين" وقد تكلفت تحتها بملابسي الثقيلة "متعددة الطوابق" ووضعت قدمي في الشراب الصوف، ومضيت دقائق غير قليلة أنفخ في يدي، استدر الدفء لفرائصي المرتعدة، وأطرافي المتجمدة، وأسناني التي تصطدم. لاإراديا - بعضها ببعض، وكأنني من سكان الجزر المتجمدة في القطب الشمالي!

"الله يكون في عون بابا نويل".. هكذا قلت لنفسي وأنا أتذكر ذلك الرجل المسن المسكين، الذي تجبره طبيعة عمله الخاصة على أن يخرج كل عام في عز البرد، تحت رذاذ العواصف الثلجية، أو متزحلقًا على الجليد، خلف أسراب الغزال البري السريع.

محملاً بالهدايا الملونة والمفاجآت المذهلة، علّه يسعد الأطفال أو يحث الناس على التفاؤل بالعام الجديد..

وحيث إن السنة الجديدة على الأبواب، وحيث إن أول أيام السنة يأتي كل مرة موافقًا ليوم عيد ميلادي السعيد، خطر لي أن آخذ بنصيحة علماء النفس وبعض كبار المفكرين، وأفعل مثلما يفعل المشاهير المرفهون، خاصة في مثل تلك المناسبات الكرنفالية المجيدة.. وهنا بدأت اللعبة!

فقد قررت أن أعمل "وقفة مع النفس" لأحاسبها وأعاتبها، وأستعرض إنجازاتي على مدى ١٢ شهرًا مضت من حياتي..

في البداية، بدت الفكرة هزلية، لكني بالتدريج اكتشفت كم هي مثيرة ومدهشة، بل وعلى جانب لا يستهان به من الخطورة.

مثلاً.. وبحسبة بسيطة، إذا افترضت أنني أنام في اليوم ٨ ساعات فقط - وهذا أقل ما فيها - فذلك معناه أني قضيت ٤ أشهر كاملة من العام الماضي "آكل رز مع الملايكة ولا أنا هنا.." خاصة أن نومي تقيل ويستحيل إيقاظي، ولو شغلوا فوق رأسي مراجيح المولد، أو أطلقوا بجوار أذني جرس إنذار المطافي..

ويرجح أن ذلك "جين" وراثي عائلي ورثناه جميعًا عن جدنا الحاج "تومو" الكبير، وقد كان – الله يرحمه – رجلاً وقورًا فيلسوفًا، يرجع إليه الفضل في تأسيس جمهورية "تينه هوه" العظمى!

أما عن الوقت الذي أقضيه مستيقظة، فمنه ساعتان يوميًّا على الأقل، يستهلكان في قيادة سيارتي العزيزة (النص عمر) ذهابًا وايابًا من العمل. حيث إن المسافة الواقعة بين جريدة الأهرام بشارع الجلاء وبين منزلنا المحترم في حي الهرم، لا تقل عادة عن هذه المدة الزمنية، وذلك معناه أني قضيت ٣٠ يومًا – بلياليها – على الأسفلت سواء فوق الكباري أو داخل الأنفاق أو أمام إشارات المرور.

هذا بخلاف الوقت المستقطع للبحث عن "ركنة" وهو ما لا يقل في الغالب عن نصف ساعة صباحًا ومثلها عند العودة مساء.. ومعانا أيام الأجازة الأسبوعية والأعياد والعطلات الرسمية.. الحسبة كبرت واللعبة سخنت، فنسيت مسألة البرد و "التكتكة"، وقمت من تحت البطانية، أبحث بهمة عن الآلة الحاسبة، الملتصقة بوجه أجندة جلدية أنيقة – كانت أهدتها لي صديقة عملية تهتم بشئون الاقتصاد، والبيزنس والأمور

التجارية، وأشياء أخرى كثيرة ليس لي بها أدنـــى علاقـــة أو اهتمام – وطالما تعاملت مع هذه الآلة على أنها مجرد قطعة ديكور اليكترونية، منظرة ونزاهة لـــيس إلا، حتـــى جـــاءت الليلة.. والليلة فقط عرفت معناها وقيمتها، وأنا أجمع عليهـــا الساعات وكسورها، وأضربها في عدد الأيام وأقسمها علـــى عدد الشهور، فتفاجئني الأرقام أنني – من جملة ٣٦٥ يومًـــا في العام الماضي قضيت ٣٦ يومًا على الأقل أصلح سيارتي وأداوي حركاتها "النص كم" يعني ٨٦٤ ساعة ما بـــين ورش الميكانيكا ومحلات السمكرية وبتاع الدوكو وبتاع العفشة، إلى جانب تجوالها الروتيني علـــى محطـــات البنـــزين ومراكـــز الصيانة وتوكيلات قطع الغيار ووكالة البلح.

وفيما يخص الأكل والشراب على مدى العام فقـــد أنفقـــت فيهما حوالي ١٤٤٠ ساعة، يعني شهرين، ثـــم شـــهرًا أمـــام التليفزيون ومثله مع صديقاتي على التليفون، يضاف إلى ذلك ١٥ يومًا أمام المرآة، و٢٥ آخرين في المولات والبوتيكـــات، وأمام فتارين المحلات لمطالعة آخر صيحات الموضة و "اللي ما يشتري يتفرج".

وهكذا مرت السنة نوم وأكل ودردشة، وتسوق وفيديو كليب وأغاني F.M ومشاوير وإشارات مرور ونضال في سبيل البحث عن "ركنة"..

وأخيرًا و"بعد مسألة طرح تقليدية" لم يتبق غير حسبة شهر، أو شهر ونص هو كل الوقت الذي كان مخصصًا للعمل والإنتاج والقراءة والإبداع أولاً عن آخر.

ورغم أن المدة تبدو محدودة للغاية، إلا أن ربك كريم ويبارك في القليل..

فقد اكتشفت أني أنجزت في هذه الفترة الزمنية المتواضعة، عددًا لا بأس به أبدًا من التحقيقات الشائقة والحوارات الفذة، والمقالات الناجحة وكان أنجحها على الإطلاق مقالين: الأول يؤكد على فضيلة الالتزام والاجتهاد في العمل، والثاني يسخر من أولئك المتخلفين الذي لا يعفرون قيمة الوقت (!).

وحيث إن الوقت من ذهب.. والوقت كالسيف•• و

"دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان"

فأذنوا لي الآن.. لا بد أن أذهب حالاً للعمل لأعوض ما فاتني، وأستثمر ما تبقى من السنة الحالية في الكتابة ولا شيء إلا الكتابة..

وسوف أبدأ بكتابة جواب مستعجل لبرنـــامج "مـــا يطلبـــه المستمعون"، أهنئ أصدقائي وزملائي وأفراد أسرتي الكريمة بمناسبة العام الجديد، وأهدي لنفسي - بمناسبة عيد ميلادي - أغنية الأستاذ محمد عبد الوهاب:

"أنا من ضيع في الأوهام.. في الأوهام.. في الأوهـــااام عمره".

العمدة الآلي.. شرفنا يا خالي

أمام التليفزيون جلست "أم عبده" تقطف الملوخية وتتابع على الدش قناة الأغاني الفيديو كليب.. وحيث إن عبده يثق ثقة مطلقة في ثقافة الست والدته سألها بفضول عن اسم تلك المغنية التي ترقص وتتلوى على الشاشة وقتها؟!

فإذا بها تترك أعواد الملوخية من يدها، لتبدي دهشتها واستياءها وتقول:

أنا عارفة يا بني بيجيبوا لنا الناس دي منين؟

أي حد بقى يغني والسلام..

والنبي أنا عايزة أعمل فيديو كليب!

أجابها مبتسمًا: وما له يا "أم عبده".. غني انتي بس، وأنا عليَّ الدعاية وكتابة الكلمات.

من يومها وكبرت في دماغ المهندس عبد الشكور معذور، أن يحول الهزلَ جدًّا، وتصبح النكتة حقيقية..

له سنوات وهو يعمل في الكمبيوتر وهندسة الاتصالات والبرمجيات وتكنولوجيا المعلومات.. ماذا أخذ؟ إنه زمن

التفاهة وهز البطن، فلماذا لا يأخذها من قصيرها، ويتعامل مع الحياة بأسلوب عملي، ويسيبه من الهندسة والتربسة وسكة الشقى اللي لا تأكل عيش ولا تفتح بيت ولا تستر عريان؟ مالها كتابة الأغاني في الخفافة والهيافة والسريع المستعجل بالقوي، وانجز تظبيت، وفلوس بالعبيط، ورزق الهبل ع المجانين..

هكذا تحدث إلى نفسه واتخذ قراره، ثم جلس إلى مكتبه في حماس وجدية، يكتب مذهب أول أغنياته العاطفية، وقد بدأها كالتالي:

"يا للي وريت الفؤاد أيام أليمة..

أنت والفؤاد يا حبيبي ع الجزمة القديمة"!

وعبثًا حاول "عبد الشكور" أن يكمل الأغنية، أو يزيد على الكلمات السابقة ولو حرفًا واحدًا، فقد عانده الوحي وتمنع عليه الإلهام، لكنه لم ييأس أو يتراجع، وفكر أنه قد يكون من الأوفق لو كتب قصيدة رصينة تليق به ويغنيها مطرب رومانسي رقيق في حفل ساهر بهيج.

عنها وأخذ في الكتابة مرة ثانية، وكانت الكلمات هذه المرة تقول:

"يا حياة القلب كم اشتقت إليك

لتعود بعد غياب.. وتدفع ما عليك".

توقف "عبد الشكور" للحظات، يتمعن في معاني الكلمات فوجدها مادية بعض الشيء، فليس من اللائق أبدًا أن ينتظر الحبيب حبيبه سنوات طويلة وعندما يقابله بدلاً من أن يفتح له يديه بالأحضان، يفتح له كشف حساب، ويخرج له النوتة، ويذكره بديونه والمبالغ التي استلفها منه قبل السفر لزوم الفيزا والإقامة وتذاكر الطيران وخلافه..

صحيح ده حال الدنيا، لكنها في النهاية أغنية شاعرية برضه، لا.. لا.. بلاش قصائد، خلينا في الأغاني الشعبية فيها حرية وماشية في الكاسيت حريقة.

جلس عبد الشكور من جديد، ليكتب مطلع الأغنية الحريقة وبعد دقائق كان يقرؤه على نفسه بصوت عال وإنسجام يقول: "حبيبي اللي أحبه قلتله اتنيل.. جربتك في الحرب زمان.. طلعت أكبر عيل"!

أيوه.. هي دي..

أخيرًا.. شعر "عبد الشكور" بالارتياح والرضا عن النفس، فقرر أن يخرج ويكمل الكتابة على القهوة بين النـــاس وفـــي الهواء الطلق، كعادة مؤلفي الأغاني المحترفين.

على القهوة لعبت الصدفة دورها، فما كانت دقائق تمر، إلا وصديقه "حسن شيت" يرمقه من بعيد، فيقترب ويســلم عليــه بحرارة..

عبد الشكووور.. والله زمان يا عبد الشكور..

أهلا اااا.. أبو علي.. اتفضل..

مش عايز أعطلك، شكلك مشغول وملخوم..

يا عم لا مشغول ولا ملخوم.. دي أغنية من تأليفي وكنت جاي أشد نفسين، وأكملها..

دي لازم أغنية للجو يا عبده

طول عمرك "حبيب" وصاحب مشاعر مرهفة.

يا عم لا مرهفة ولا مغرفة اقعــد.. تشــرب إيــه.. "دي سبوبة".. لقمة عيش يعني لقيت التكنولوجيا مش جايبة همهــا قلت خلينا في الأغاني، وشغل "الهس بس"..

وإيه "الهس بس" ده كماك؟

دي أغنية أطفال كنت باكتبها لسه وأنت داخل.

اسمع كده، وقوللي رأيك؟

"الهس بس هس..

النونو طلع له حس

ماما عمالة تتخن..

بابا عمال يخس"

يا راجل عيب عليك.. بقى تسيب الهندسة.. عشان "الهسهسة والبسبسة؟!

المهندس راجل عملي وواقعي، ولا مؤاخذة بقى "الهسهسة والبسبسة والأنتكة والهشتكة" هم اللي بيأكلوا عيش اليومين دول ولا أنت مش معايا يا هندسة؟

مش للدرجة دي يا أخي.. العلم أساسي مهما كان، والمستقبل لثورة المعلومات، والحكومة الإليكترونية "والقرية الذكية".

والله ابن حلال.. إمبارح قريت عن "القرية الذكية" في الجرايد، قلت واجب أعمل لها أغنية احتياطي حاجة عظيمة كده زي "العمدة الآلي.. شرفنا يا خالي".

ومؤقتا سأكتب مسلسلاً عن "قرية ذكية" كل أهلها من الأذكياء، وكل ما فيها يعمل أوتوماتيكيًّا بالكمبيوتر، وعن بعد، وبالريموت كنترول، وبصمة الصوت.. "هاي هاي تكنولوجي"..

يعني مثلاً يقف الواحد تحت عمود النور، يقوله نور.. فينور، ثم يسأله: "إلا ما تعرفش والنبي الشارع الفلاني فين؟".

وهكذا.. الثلاجة تنبه ست البيت أن الطبيخ هايحمض بعد ٣ أيام. والغسالة تعترض على المساحيق الرخيصة وتعطي إشارات تحذير على بقع "الروج" بالذات على القمصان الرجالي، ولعب الأطفال سيكون بها إشارات مقروءة تفسر سبب بكاء الطفل إن كان مللاً أم جوعًا أم بللاً أم خوفًا أم رغبة في تغيير أحد الوالدين أو كليهما.. حتى سخان الحمام سيضبط حرارته تلقائيًا حسب ما يناسب كل فرد من أفراد الأسرة ووفق معايير صحية ومزاجية سابقة الحفظ داخله..

ومع انسدال الماء الدافئ من الدش، ينطلق السخان بمختلف الأغاني، حتى لا يتكبد "الشخص المستحم" عناء الغناء بنفسه!

سأله حسن: وطبعًا أغاني المسلسل كلها أنت اللي هاتكتبها؟

مطلقًا، نهائيًا، "أبسليوتلي.. نوت" المسلسل عن قرية ذكية، وكل أهلها أذكياء، يعني لا يتعاطون "الفيديو كليب" بتاتا، ولا حتى عندهم وقت لإذاعة الـ F. M .

مفيش في المسلسل غير أغاني السخان إياه.

يعني مثلاً: حبيب كان زهقان وكان عنده أرق، نصحته يستحمى ويحط مزيل عرق..

أغمض المهندس حسن عينيه، ومط شفتيه، شاعرًا بيأس كامل من حال صديقه "عبده" الذي تركه يؤلف على القهوة، بينما قام هو عائدًا لبيته.. لكنه لسبب مجهول حتى الآن.. كان يدندن طول الطريق:

"الهس .. بس هس".

الهس بس هس!!!

حبيبي دونجوان

ما تتعبيش نفسك، كلهم صنف واحد، عينيهم زايغة ويندب فيها رصاصة، الخيانة في دمهم والكدب طبعهم، وخيبة أملنا معاهم عايزة معددة وندابة، "والريس متقال" ييجي يقولها ع الربابة.

حسك عينك تآمني لجنس راجل.. على رأي المثل "يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال"• وأمل وهبي قالت: "ما تمرش فيه الشيكولاته جاب لي الحكاية على بلاطة".

وسعد قال " مفيش فايدة"!!

لذلك لزم التنويه

لا توجعي قلبك ولا تحرقي أعصابك.. الرجال نوعان: الأول كالقرش المخروم "يلف.. يلف وفي الآخر يرجع لصاحبه".

والثاني فرحان بشبابه وفاكر نفسه دونجوان وعامل فيها روميو، مع أنه في الحقيقة خايب ونايب ومضحوك عليه، وبيعرف عليكي واحدة، "معصعصة وزرقا وعرقوب رجلها يدبح رقبة الوزة"!!

الأسبوع الماضي وقع في يدي كتاب غريب عنوانه: "كيف تخون زوجتك.. وتعيش سعيدًا في حياتك؟!"، وقد وجدت أنه قد يكون مفيدًا لو تصفحته باهتمام وتفهمته باعتدال ربما فهمت منه شيئًا لا أعرفه في علم نفس الرجل الملول، الذي يستحيل عليه "الإخلاص" لامرأة واحدة (خاصة لو كان مرتبطًا بها).

في البداية يقول مؤلف الكتاب مخاطبًا قارئه العزيز: أعرفك دون أن تتكلم وأصدقك بلا حلفان، أنت رجل محترم على خلق، وقد تكون زوجًا مثاليًّا أو أبًا عطوفًا•• داؤك وداء الكذب والغدر والتلفيق، لكن ماذا ستفعل يا صديقي أنت معذور، بل ومضطر فالحياة صارت مملة وأحيانًا لا غنى عن بعض "التجديد" أو "التليين" و"الشحن" لبطاريات قلبك ومشاعرك، على الأقل لتستطيع إكمال المسيرة ما بين ضغوط العمل وصراع المصالح وكثرة الواجبات.

والحقيقة أن الدمعة تكاد تفر من عيني وقلبي يكاد ينفطر لحالك. الذي هو حالي.

لكني أتماسك لأكمل الكتابة وأدلك من واقع تجربتي العملية: كيف تخون زوجتك وتعيش سعيدًا في حياتك مرتاح الضمير.. فخورًا بأدائك؟

أولاً: قد تكون زوجًا ممتازًا لكن لماذا لا تكون رجلاً ممتازًا في نفس الوقت؟

لا بد أن تكون "شهمًا" و "متعاونًا" حين تلاحظ مثلاً أن زميلتك الجميلة بالعمل معجبة بك أو تميل نحوك.

فهل يصح أن تتجاهل جمالها وإعجابها وأنت رجل ذكي "جنتلمان" تتذوق الجمال، وتقدر أصحاب المواهب؟!

ما المانع إذن من كلمتين غزل حلوين أو ابتسامة تشجيع واسعة، أليست البشاشة في وجه الناس صدقة، والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة.

حتى لو امتد الأمر ودعوتها إلى "فنجان شاي" في مكان هادئ أو للعشاء في مكان أكثر هدوءًا، ماذا سيجري؟

هل ستخرب الدنيا؟ أبدًا.. على العكس.. ستشعر بأنك في حالة انتشاء نادرة التكرار، حالة رائعة من التصالح ومتعة اكتشاف ما حولك من جديد..

إنها الحياة في أبهى معانيها تأتيك مفتوحة القلب والذراعين فتتقدم ولا تقاوم واتبع الحكمة القائلة: "إن طرق الحظ بابك قدم له مقعدًا"!

ثانيًا: بعض الرجال يتجنبون الخيانة الزوجية اتقاء لوخز الضمير أو عقدة الذنب• ويفوت عليهم أن هذا الوخز ومثل تلك الأحاسيس إيجابية للغاية تفيد الحياة الزوجية ولا تضرها على عكس الاعتقاد السائد.

فعندما تعود لبيتك بعد لقاء غرامي حميم ستلاحظ - ويا للعجب - أنك تحمل لزوجتك مشاعر أكثر رقة وتعاطفًا على الأقل مع سذاجتها التي سمحت لك بارتكاب كل هذه الحماقات اللذيذة، والتي تجعلها تصدق أعذار تأخر عودتك كل يوم، معتقدة أن إرهاق العمل وشقاء الجري وراء لقمة العيش هما السبب في انسداد نفسك عن العشاء، الذي سهرت تنتظرك إلى جواره.

وقد تتعاطف أكثر وتشفق على تفكير زوجتك المحدود فتتحفز أن تقدم لها هدية أو تقوم معها "بدور واجب" فتوصلها بسيارتك إلى بيت أمها ولا تتركها تعتمد على وسائل النقل العام مثل كل مرة.

ليس بعيدًا حتى أن تتذكر إصلاح التليفزيون والفيديو وميعاد تقديم أوراق ابنتك الصغرى في المدرسة، ولا تدعها تعتمد في ذلك على ابن عمك وزوج بنت خالك وأخيك الأصغر والجيران كما هي العادة حين تيأس من جدوى توسلاتها إليك.

إذن من المستفيد من الخيانة الآن؟

لست وحدك، بل زوجتك وحماتك والأولاد والأقارب والجيران، فلماذا تبخل على نفسك وعلى المجتمع بمثل هذه "الخدمة" الجليلة؟

ثالثًا: الحياة بحر واسع من التجارب.

ومعرفة أكثر من امرأة في وقت واحد تجربة تستحق أن تعاش إن لم يكن لأجلك فمن أجل الإبداع الذي تتطلبه طبيعة عملك، خاصة لو كنت شاعرًا أو فنانًا تشكيليًّا أو مؤلفًا مسرحيًّا.

حتى لو أنك مهندس أو طبيب أو مرشد سياحي، أيًّا كانت مهنتك فلا بد أنك في احتياج لتجربة تجدد طاقتك الإبداعية وتلهب قدرتك على الابتكار والخيال بهدف تطوير مستواك المهني، والحفاظ على مستقبلك الوظيفي.

إذن "أكل العيش عايز كده" و"الظروف بتحكم" أنت قلبك أبيض ونيتك سليمة، لكن ماذا ستفعل في جاذبية رجولتك وتأثير وسامتك، و" السكس آبيل" الذي يشع من عينك فَتَّاكًا ببنات حواء، يا محطم قلوب العذارى!

رابعًا: المرأة بطبعها مخلوق نكدي شكاك ميال للسيطرة والتملك.

وأغلب الظن أن زوجتك من هذا النوع، فبدلاً من أن تقضي عمرك معها كسيرًا مهضوم الحق، تحت وطأة الاستبداد والظلم، فكر في أن تأخذ حقك كاملاً غير منقوص طالما أنك في الحالتين معاقب.

وإن كانت هي سيئة الظن بك، فلماذا لا تكون عند سوء ظنها؟

يعني مثلاً تقول لك "يا عديم الأخلاق يا أبو عين زايغة" فتبتسم في سرك وأنت تعرف أنها أصابت كبد الحقيقة.

وتغني لك: "يا خاين مالكش أمان.. وريتني العذاب ألوان" فتصفق بانسجام لها وتصيح قائلاً: "من تاني يا ست" .

حتى لو صرخت ولطمت وشدت شعرها، ونادت أهلها وجمعت عليك أهل الشارع وجيران الجيران قائلة: "يا بختي

المايل يا جوازة الشوم واللوم والحظ الهباب، فتستقبل أنت الموقف بشجاعة وسعادة وتلتمس لها العذر، وأنت تمني نفسك بقرب زوالها من وجهك نزيلة مستديمة في مستشفي الخانكة قسم الحالات الحرجة.

* قبل أن ننتقل لـ "خامسًا" دعوني أصارحكم - بكل أسف - أن كتاب "كيف تخون زوجتك وتعيش سعيدًا في حياتك؟" حصل على جائزة الكتاب الأكثر توزيعًا وانتشارًا بين الرجال في جميع معارض الكتب المحلية والدولية على مدى ثلاثة أعوام متتالية. وقد جنى مؤلفه من ورائه أرباحًا طائلة، وصلت لملايين الجنيهات، لكنه مات قبل أن يقبضها، فتحصلت عليها زوجته التي ورثت بوفاته ثروة مهولة أنفقتها على رحلاتها الترفيهية حول العالم• ومن بعدها تفرغت لتأليف كتابها الشهير" النهاية القطران.. للزوج الدونجوان"!!

كيف تكسب مديرك؟

لقد قضيت زهرة حياتي أتحف الناس بما يسري عنهم ويسعد أوقات فراغهم، فكان جزائي أن رجال الشرطة يطلبون رأسي!

من تظنه قال هذا؟

إنه "آل كابوني" زعيم أعتى عصابة إجرامية ظهرت في شيكاغو، والذي لقبه الأمريكيون بعدو الشعب رقم (١)

لكنه مع ذلك لم يلم نفسه البتة، وكان يعتقد دائمًا أنه مصلح اجتماعي لم يقدره الناس، ولم يحسنوا فهمه.. وكذلك غالبًا يعتقد مديرك في العمل!!

فبقدر ما تؤمن أنت بأنك أكثر من مديرك ذكاء وفهمًا، وقدرة على إدارة الأمور وتقييم الأشخاص.. يؤمن هو كذلك بأنه أفضل من جلس على مقعد القيادة - الذي يعتليه الآن - وبأنه يفني زهرة شبابه ونور عينيه، ويضيع وقته وجهده يوميًّا في التعامل مع المرءوسين المشاغبين والبلداء (لا مؤاخذة أمثالك)، لكنها التضحية الفظيعة وروح الفداء المريعة، التي قرر أن يبذلها (سيادته) لتحقيق أعلى معدلات

العمل والإنجاز، والوصول لأقصى مكسب (بغض النظر عن أن المؤسسة التي يرأسك فيها تخسر الملايين سنويًّا).

من هذا الخلاف "الأيديولوجي" بينك وبين السيد مديرك، تنشأ المشاكل والصعوبات التي لا يكف البعض أحيانًا عن اجترارها – أمام زوجته والأولاد – أو الشكوى منها على المقهى مع الأصدقاء أو حتى استرجاعها في صلاته وهو يدعو على مديره "الظالم المفتري" ويتمنى انتقاله للقطب الجنوبي، ليخلو الطريق أمامه، وأمام فرص النجاح العريضة، وتنفيذ أفكار عبقريته الفذة!

في أمريكا وأوروبا والدول المتقدمة، حاولوا أن يضعوا حلولاً سلمية لمثل هذه المعضلات النفسية، وفي سلسلة الكتب الأمريكاني من نوعية "كيف تكسب مليون جنيه؟".. "كيف تقود الطائرة؟" وكيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟".. وضعوا أخيرًا هذا الكتاب المثير، بعنوان "كيف تدير مديرك؟".

وليس المقصود طبعًا أن تديره تحت تأثير السلاح، وتجبره على رفع مكافأتك الشهرية أو مضاعفة أرباحك السنوية..

كل المقصود هو اتباع بعض النصائح العلمية التي تعينك على فهم نفسية مديرك، وكسب مساحة أكبر في مجال عملك.

فإن كنت ترضى عما أنت فيه الآن، لا تضيع وقتك في مزيد من القراءة، أما إن كنت مهتمًا بإحراز قدر أكبر من التقدم والنجاح وكسب ود ورضاء السيد المدير، فلا بأس.. تعالى نجرب:

١- الذهاب إلى عملك مبكرًا، يشعر مديرك بالاهتمام والجدية، فاتبع نصيحة برامج الأطفال، واشرب اللبن، ونم مبكرًا، أو تذكر القول العسكري المأثور "من يستيقظ أولاً.. يستولي على السلطة"!

٢- وقت المدير دائمًا مشغول، فلا تضطره لأن يكرر الجملة مرتين، ولا تلاحقه بالأسئلة والاستفسارات الفارغة• على العكس اعرض أفكارك بأسلوب تمثيلي جذاب، وأنصت إليه طويلاً باهتمام ومتعة..

٣- هناك حكمة تقول: "إن لدى كل إنسان شيئًا واحدًا على الأقل يتفوق عليك فيه ويمكن أن تتعلمه منه، فمهما كانت شخصية مديرك أو طباعه، فهو بالتأكيد لا يخلو من حسنة أو

ميزة يمكن أن تمدحها فيه على مسامعه دون إسراف أو تملق ونفاق.

٤- دعم كلامك بانطباعات وجه بشوشة سعيدة وأنت تتحدث معه، وكن كالزوجة الواعية، إذا أرادت شيئًا، أشارت إليه من طرف خفي، وقدمته مع عدة بدائل، حتى يستقر رأي الرجل عليه ويختاره وكأنه اقتراحه هو، من بنات أفكاره!

٥- تجنب الزوايا الحادة، ولا تدخل مع مديرك في جدال ولا تحاول أن تنتصر عليه في حوار فالانتصار سيكون أجوف وستكون على كل الحالات خاسرًا!

٦- لنفترض أنك تحب الفراخ المقلية، وذهبت يومًا لتصطاد، فهل ستجعل طعم سنارتك قطعة من "الكنتاكي" أم ستضع دودة من التي تحبها أسماك البحر؟

إجابتك عن هذا السؤال، ستقودك لأن تجعل نفسك في مكان مديرك، وتتعامل مع الأحداث بالمنظور الذي يعجبه هو، وليس الذي يعجبك أنت، وتذكر أنه هو صاحب القرار النهائي، وليس "حضرتك"..

وأخيرًا..

قد تكون أنت وأعمالك الجليلة في المؤسسة التي تعمل بها موضع نقد دائم من المدير وكبار معاونيه.. ولا يهمك!

المهم ألا تستريح لفكرة أنــك "مســتر نخلــة" المحــارب المضطهد بغير ذنب أو جرم إلا عبقريته الفذة، ونشاطه الذي يثير الأحقاد والحساد..

والآن عليك أن تختار..

إن كنت قد اقتنعت بنصائح الكتاب وعزمت على تنفيــذها فهنيئًا لك، وتفاءل.. أنت قريب جدًّا من النجاح وربمــا جــاء اليوم الذي تصل فيه أنت شخصيًّا لمقعد المدير وتجلس عليــه (أقصد المقعد وليس المدير)، أما لاسمح الله.. ولا قــدر ولا كان.. ولم تستطع اتباع النصائح إياها فالأسهل والأفضــل أن تفعل مثلي وتقرأ كتاب "كيف تقود الطائرة؟".

هات راسك أبوسها..

قبل قيام القطار بخمس دقائق، انطلقت نحوه على الرصيف المخصص لركاب "السبنسة" نبهني الموظف ذو البدلة الزرقاء الذي يقف حاملاً التذاكر عند بوابة الرصيف:

هذه عربات الدرجة الثالثة يا مدام..

ابتسمت وهززت له رأسي وأجبته "أعرف" ثم أكملت خطواتي السريعة نحو أكثر عربات القطار تهالكًا وغلبًا ، حيث الصدأ و"البارومة" طبقة عازلة تغلف العربة من الخارج، والناس المكدسة فوق المقاعد تبدو كالخبز البايت، ورائحة فظيعة "لإيسانس إف" تفوح في الزوايا والأركان.

ويبين كم مهول من البشر المتزاحم والمحشور ناضلت كي أجد لخطواتي منفذًا، ونسيت تمامًا مسألة الاكتشاف الصحفي، ولذة المغامرة التي أغريت بها نفسي، كي أقوم بتلك "الرحلة الفدائية الاستشهادية" من القاهرة للإسكندرية في قطار الدرجة الثالثة.. أصبح كل همي أن أجد مقعدًا وهو هنا أمل بعيد المنال، ورغبة غير منطقية واحتمال غير وارد، ولكن ربك كريم مع الغلابة.

بعد فترة لوح لي رجل يرتدي ملابس الشرطة العسكرية فأسرعت أجلس على المقعد الخالي بجواره وأتنفس الصعداء، وكانت الأنفاس ما تزال معبأة "بإسانس إف" النفاذ!! الناس هنا تستوعب طبيعة المكان تمامًا، ويعتاد بعضهم البعض وكأنهم جميعًا "أولاد خالة"!

في تصوري أنا الوحيدة التي تشعر بالغربة والدهشة مما يجري هنا.. خاصة كلما نظرت فوقي نحو النائمين على الأرفف العلوية بجوار القفف والحقائب القديمة التي يبدو بعضها مرقعًا ومخيطًا بخيط التنجيد الغليظ، ومعظمها مشدود بشرائط من القماش البالي، وجميعها مكتوب عليها أسماء وعناوين أصحابها الذين يخشون عليها من الضياع، وهم لا يملكون تعويضها بسهولة على بساطة وزهد مظهرها وما يمكن أن تحمله أو تخفيه!

تتوالى المحطات ومعها نداءات الباعة الجائلين في القطار: حاجة ساقعة.. حد عطشان..

فلاية وتسريحة هدية يا عالم.•• ٧ ألوانات بجنيه هدية يا عالم.. ملبس وحب العزيز.. حزام ومقص وجلدة للمحفظة.. سعيد ومسعد واللي يصلي ع النبي يسعد..

كاكاو وسحلب.. شماعات وشرابات ودبابيس مشبك..

تدور الأحاديث الجانبية عن الشاي المغشوش والبطاطس المسممة بالكيماوي والتي لا تصلح للتصدير فباعوها للغلابة عندنا بدلاً من أن يعدموها.

وتتشابك معها تعليقات أخرى عن نتائج الثانوية العامة والرغيف المحروق، والحشيش، والطبع المنوفي، والكورة، وأغاني من هب ودب، والسواق الذي يجمع تذاكر الأتوبيس ويعيد بيعها لحسابه، وترزي العتبة الرخيص، والواسطة والسرقة والدنيا صغيرة.

تقاطعنا خناقة على الكنبة الخشبية المجاورة.. رجل عجوز يرتدي طاقية عالية وجلبابًا واسعًا يصرخ في شاب يجلس في مواجهته ويوسعه سبًّا ومعايرة وتهديدًا بلهجة صعيدية مميزة (والسبب مجهول).

لأكثر من ربع ساعة والصعيدي العنيد لا يهدأ ولا يكل أو يمل من الخناق بالصوت الجهوري والشاب مستفز منه يرد عليه بحدة، والناس تتدخل "حصل خير".. "حقك علينا يا حاج.. خلاص بقى صلوا ع النبي وصباح الخير

يا مصر.. وأخيرًا تتدخل إحدى السيدات وتصـــيح بعصـــبية: "ما تسكت بقى يا رجل أنت" هم وصفولك خناقة في القطر؟!!

فجأة يظهر على مسرح الأحداث رجل ظننته في البدايـــة "فيلسوف متجول" وهو يقول بصوت عـــال: المجـــد لله فـــي العالي.. ماذا تكسب لو ربحت الدنيا وخسرت نفسك.. وأخيرًا أفصح عن حقيقة رسالته، وطبيعة شخصيته وهو يكمل: محمد نبي، عيس نبي، كلنا إخوة.. ثم وزع على الجالســين آيـــات القرآن (جزء عم) وهو يقـــول: أخـــوكم مســيحي ومحتـــاج المساعدة.. يا تشتري (جزء عم) بـــ ٥٠ قرش، يا تشـــتري نتيجة بربع جنيه• يا تدعي ربنا يشفيني.. أنا مريض وماشي بقسطرة!!

التفت بوجهي نحو الشباك وكلما قابلنا في الاتجاه العكسي قطار سريع على خط السكة الحديد الموازي صفعتني لطمـــة قوية من الهواء، تجدد داخلي شعور الأسف والاضطهاد الذي تعاظم داخلي في هذا المكان بالذات، حيث الأحاديث موصولة لا تنقطع عن تزوير الانتخابات والتحايل لكسب العيش وحال الدنيا الماشي بالمقلوب، وخليك في حالك أحسن، اتفرج وانت

ساكت، (مالكش صالح) شاطرين بس على الغلابة، واللي لـــه ضهر ما ينضربش على بطنه.

لكن حوارًا أمتع كان يدور علـــى أريكـــة نســـائية فـــي مواجهتي، حيث سيدة بيضاء بدينة تتحدث عن مشاكلها مـــع حماتها، فترد عليها جارتها في المقعد، وتنصحها كيف تتعامل معها وتتقي شرها مع سرد تفصيلي لتجاربها المشـــابهة مـــع المرحومة حماتها "السماوية" منها لله مطرح ما راحت!

هكذا وبكل بساطة يحكي ركاب الدرجة الثالثـــة تجـــاربهم ويفضفضون عن أوجاعهم بصدق وود وعشم (عادي جدًّا) ألم أقل لكم إنهم "أولاد خالة".

في محطة الوصول ينزل الجميع منهكًا، لكنـــه يحمـــد الله على السلامة، حتى العجوز الصعيدي تصالح مع الشاب الذي سبق وأوسعة تعنيفًا وتهديدًا وسبًّا..

وعلى رصيف المحطة سأله من أين أنت؟ أحسن نـــاس.. شكرًا يا عم الحاج.. لسه زعلان؟ العفو يا سيدي أنت في مقام والدي وعلى رأسي.. أنا عندي عيال من دورك.. ربنا يديك الصحة.. طيب هات رأسك أبوسها!

٣ أيام في الأسبوع

* في تقرير رسمي أخير "للجمعية العالمية لمكافحة الفساد" تم نشر قائمة بالدول الأكثر فسادًا في العالم، من حيث شيوع الرشاوى ونهب المال العام، وتسهيل الأعمال المخالفة للقانون، بتقديم الإتاوات والهدايا، لبعض كبار المسئولين.

وقد جاءت روسيا في صدر تلك القائمة، يليها عدد من دول أمريكا اللاتينية، ثم بعض الدول الإفريقية السمراء، وكان المدهش أن دولاً أخرى – نعرفها حق المعرفة – لم يرد ذكرها في القائمة على الإطلاق.

وهو ما جعلني أستنتج أن الدولة التي لا يرد ذكرها في تقرير "الجمعية العالمية لمكافحة الفساد" ليست تلك التي تخلو تمامًا من الفساد، أو تمتنع نهائيًا عن الرشوة.

لكنها الدولة التي تستطيع أن "تلاغي" مندوب الجمعية، و"تبشبشه بقرشين" كي يرفع اسمها من القائمة إياها!!

ويروي في ذلك، ما حدث ذات يوم في دولة "هيصة" ذات المشاكل العويصة، حيث شاعت الرشاوى، وعمت الفوضى،

وانتشرت حوادث الاعتداء على المال وزاد الهروب بقروض البنوك، في وضح النهار وجنح الظلام.

وقد ضج الناس بالحال، لدرجة اضطرت الحكومة أن تقف مع نفسها، وتراجع حساباتها، وفي لحظة نادرة من لحظات الصدق مع الذات، وقف السيد رئيس الوزراء، وصارح شعب "هيصة" العظيم بإنه بعد مراجعة الوضع المتدني على الصعيد الداخلي والصعيد الجواني والوجه البحري، رأت الحكومة أن الموقف متدهور للغاية، لذلك ليس هناك بد من شن الحرب على الفساد والالتزام بسياسة الإصلاح، ولكن كي نكون واقعيين مع أنفسنا – والحديث ما زال للسيد رئيس الوزراء – لا بد أن نصارحكم يا شعب "هيصة" العظيم، أنني والسادة أعضاء مجلس الشعب ومجلس الوزراء، قررنا بالإجماع، أن يكون الإصلاح قدر المستطاع، لذا رأينا أن نعطي لأنفسنا وللمواطنين "أجازة من الفساد" مدتها ٣ أيام في الأسبوع، وهي فترة كافية جدًّا حتى تنفد الميزانية، ولا نموت من الجوع.

الغريب حقًّا أن الفكرة نجحت فعلاً..

وبعد الالتزام بتلك الأجازة، رصدت الأجهـزة الرقابيـة عشرات النتائج والتغيرات الممتازة.

* في الشهر الأول:

تضاعف أداء الموظفين في الهيئات والمؤسسات الحكومية ١٣ مرة عن معدله المعتاد وأصبح الجميع يعمـل بحمـاس وإخلاص، لأنه يعلم يقيناً أنه سيأخذ حقه المـادي والمعنـوي وكل ما هو جدير به من مكافآت وفـرص للترقـي، دون أن يكون لذلك أي دخل بعلاقته الشخصية مع رئيسه المباشر، أو خفة دمه على قلب المدير العام.

* في الشهر الثاني:

أصبحت الشوارع نظيفة جدًّا، والمرور منضبطاً للغايـة، وظهرت ابتسامة واسعة جميلة علـى وجـوه النـاس فـي الشوارع.

فقد أصبح الجميع أمام القانون سـواء، واختفـت نهائيًـا ظاهرة "التشريفة" وغلق الشوارع لـدواعي أمـن وحراسـة موكب السيد الوزير.

وقد تصادف مرة في إحدى إشارات المرور أن التفت أحد المواطنين إلى السيارة "الفيات" التي كانت تنتظر إلى جـوار

سيارته، فوجد السيد محافظ العاصمة، يطل منها، ويخرج إليه رأسه، ليسأله بشغف عن الصحة والأحوال والأولاد، وما إذا كانت لديه أي شكوى أو اقتراح تنموي بنَّاء.

فما كان من الباشا المواطن، إلا أنه هز رأسه وابتسم بثقة، ثم شكره بكبرياء، يتناسب مع نفوذ دافعي الضرائب. في دولة "هيصة" الديمقراطية المتحضرة.

* في الشهر الثالث:

صدرت صحف الصباح، تحمل تلك العناوين:

أسعار "الفياجرا" في انخفاض مستمر، وإفلاس مصنعين لإنتاج الفياجرا المحلية

تراجع الطلب ٥٠% على الأنسولين، وأدوية الضغط والصداع المزمن والوساوس القهرية.

مسئول كبير يقطع شرايين يديه، حتى لا يواجه الرأي العام بفضيحة تعيين ابنه في الهيئة التي يرأسها.

وظائف خالية وشقق خاوية، بسبب إلغاء الاستثناءات وتجاهل كروت التوصية.

محلات الكوارع والملوخية، تكتسح محلات الوجبات السريعة الأمريكية.

توقف حملات التبرع لمستشفى سرطان الأطفال بعدما أصبحت البيئة خالية من تلوث الماء والهواء.

* ٥ أعوام مرّوا على تجربة دولة "هيصة" في اعتزال الفساد، والعمل باجتهاد، ٣ أيام في الأسبوع ليس أكثر.

بعدها أذاعت وكالات الأنباء أن "هيصة" استطاعت باقتدار، أن تصدر القمح لأمريكا، وأن تبيع التكنولوجيا لليابان والأسلحة للهند وباكستان.

وحتى الصين استطاعت أن تصدر إليها الدراجات والبدل الزرقاء والعصي التي يأكلون بها الأرز المعجن وأجهزة الإنذار المبكر، لاكتشاف وباء "سارس" وذلك انتقامًا لسنوات قاسية غابرة حين كان كل ما يباع ويشترى في أسواق "هيصة" من صنع الصين، بما في ذلك السبح والجلاليب والهدايا السياحية، وفوانيس رمضان.

جمهورية كلوا.. ناموا..

* أوعى تكون منهم..

سكان جمهورية "كلوا ناموا" طيبون.. مسالمون، يتميزون بالصبر والقناعة، وقوة التحمل والطاعة..

وهم أبرياء للغاية، متسامحون في العادة، يدينون بالولاء لقيادتهم السياسية الحاكمة، ولا يخرجون عن الدستور العام للبلاد: كلوا.. يعني كلوا، وناموا.. يعني ناموا..

فالأكل والنوم في هذه الجمهورية هو كل همها، والشغل الشاغل لشعبها، ومع الأيام والسنوات، صار الأكل والنوم هو الهدف والطموح ومنبع السعادة وغاية الحياة.

الشرط الوحيد للتمتع بحق المواطنة واكتساب الجنسية في هذه الجمهورية، أن تكون حمارًا.

وبغير هذا الشرط الأساسي، يستحيل على أحد كائن من كان، العيش أو الاستمرار في "كلوا ناموا" أمل حمير العالم في غد أفضل، ومقصد البهائم الحالمين بمستقبل مشرق بسام.

* وحيث إن شعبًا من الحمير، يتعذر عليه الإحساس بالخطر، لأسباب هامشية تافهة، مثل تخلف التعليم أو انتشار

الفساد والرشوة، وارتفاع أسعار السلع الأساسية، مع انهيار قيمة العملة المحلية، عاش "شعب كلوا ناموا" ينعم بالأمن والسعادة، في فردوس رائع خلاب، لا تفسده روح الثورة، ولا تشوبه شائبة التمرد والاحتجاج.

إلا أنه فجأة وعلى غير انتظار، طقت في دماغ أحد الحمير الحكماء، أن ينشئ جمعية "يا حمير العالم اتحدوا" ويقيم مؤتمرًا لمناقشة المشاكل والتحديات، التي تواجه الحمار في زمن العولمة والفضائيات..

* وقد بدأ المؤتمر بكلمة لحمار شاب، من حزب الحصاوي الثوري التقدمي الواعد، قال فيها: إن جمهورية "كلوا ناموا" أصبحت مهددة بمجاعة مؤكدة، بعد وقف القوانين الرادعة المانعة، للبناء فوق الأراضي الزراعية.

الأمر الذي يشكل خطرًا جسيمًا على البرسيم كغذاء أساسي واستراتيجي مهم، وينذر باختفاء الدريس من الأسواق، ويؤدي إلى استيراد الفول بالعملة الصعبة من "كاليفورنيا" الأمريكية، التي تخصصت مؤخرًا في تدميس وتعليب الفول بالذات لكل محبيه من حمير الدول النامية!!

* انتقلت الكلمة لحمار زميل في نفس المؤتمر فقال:

إن الدراسات تشير إلى احتمال اختفاء الأرض الزراعية من "كلوا ناموا" نهائيًا بعد ٣٠ عامًا على الأكثر.

لذا لا بد من تحرك سريع، قبل أن يلحق الفناء بالقرى والحقول وتنتشر البطالة بين الحمير، التي تعمل في نقل الفلاحين أو حمل التبن والكيماوي والمحاصيل.

في الصف الأخير، هز أحد الحمير رأسه هازئًا وقال: لا يعم.. إحنا فين وكمان ٣٠ سنة فين.. "موت يا حمار".

* وفي جانب من قاعة الاجتماعات: مال حمار آخر على زميله وهمس بصوته الأجش في أذنه الطويلة، ما رأيك لو نؤسس شركة تحصل على تأشيرات السفر والهجرة للخارج؟

أجابه زميله مستنكرًا: وإذا سافروا.. من سيعمر الصحراء يا حمار؟

* زمجر الأول وعاد يقول: تعمير الصحراء ليس مهما.. بناقص الكنتالوب والفراولة.

يتدخل حمار جديد ويقول: إنتم ناسيين مشكلة اللحمة.. لو اختفت الأرض الزراعية، وانتهت شغلة الفلاحة، سينقرض البقر والجاموس من البلد، وسعر الدقيق والضاني هايزيد على الـ ٧٠ جنيهًا في الكيلو.

والخوف لو أحب الجزارون أن يلتزموا بالأسعار الاسترشادية بناء على توجيهات السيد المحافظ، ساعتها ستنتشر حوادث اختطاف الحمير وقتلها في ظروف غامضة لاستغلال لحومها في محلات الكباب والكفتة أو عربات السجق والحواوشي!!

* حمار كبير ينهق، ويرفس في الهواء برجليه، لقد وجد - أخيرًا - اختفاء الأرض الزراعية هو انتهاء المرحلة من الشقاء ووجع القلب وقلة القيمة.. سينعدم الفلاحون من "كلوا ناموا" ويصبح شعبها كله بهوات "الافرانكا" يأكلون "الكرواسون" و "الساليزون" ويشربون النسكافيه، ويتشدقون باللبان ويلعقون "الآيس كريم"..

رد زميله بابتسامة واسعة، كشفت عن أسنانه العريضة وأوحت بمفهومية فذة، عبر عنها قائلاً: الأفضل إذن أن نفتح مكتبًا للاستيراد والتصدير، نستورد الكرواسون والساليزون والنسكافية ونستورد "فول وبرسيم ولحمه، وقمح وقطن ورز" وحتى قش الرز نستورده احتياطيا، يمكن نحب نحرقه بالليل ونعمل "السحابة السودة".

حمار وطني غيور سأل في حيــرة: كــل هــذا ســوف نستورده.. ماذا سنصدر إذن؟

* رد عليه بهدوء يقول: لا تشغل نفسك يا صديقي..

فالحمار الحقيقي لا يهتم أبدًا بالإجابة عن هذا السؤال!

دلع نفسك

في غمرة حالة اكتئاب عنيفة، قضيتها أخيرًا ساهمة بائسة، أشكو للناس ظلم الناس.. وأكرر سماع أغنية "بعيد عنك.. حياتي عذاب".. تطوع أحد أصدقائي النابهين بلهجة أهل الخبرة والموعظة الحسنة، وثقة أصحاب الوصفات المجربة المضمونة، ونصحني بحماس: "دلعي نفسك وانتي تقضي على الاكتئاب ده نهائي.. جربي وشوفي.. وهاتدعيلي!!

سألته "أدلع نفسي إزاي يعني؟!".

أجابني مبتسمًا وهو ما زال على حماسه: "اشتري شريط كاسيت مفرحا.. اعزمي نفسك على عشا مفتخر.. فسحة لذيذة.. فستان جديد.. اصرفي ولا يهمك.. المهم تعملي الشيء اللي يسعدك، وبعدها.. أراهنك هاتدعيلي".

عنها، ولم أكذب خبرًا..

على أكبر وأغلى سوبر ماركت في الحي الراقي القريب ودخلت بقلب جامد.. لم أتراجع هذه المرة، أمام الأسعار السياحية المكتوبة بالإنجليزية على المعروضات الملونة، البراقة، وأكثر من ذلك، قررت ألا أتجنب أقسام السلع

الاستفزازية، تلك التي كانت ترفع ضغطي، وتوتر أعصابي، وتنشط داخلي خلايا الخطابة السياسية، وأنزيمات الحقد الطبقي المنحاز للفقراء والمساكين وضحايا الزلزال.

تناسيت كل هذا تمامًا، ومضيت قدمًا، أبحث عن علاج مضمون لاكتئابي السوداوي الذي لا نجاة منه الآن إلا بشراء سلعة استفزازية "أدلع بها نفسي"، و"أروش المسائل" وأصالح جناب مزاجي العالي ثم ليكن بعدها ما يكون..

وفعلا.. بخطوات لها جرأة الفضول، وزهو السعداء – بلا مناسبة – تمشيت بين الأرفف العريضة للسلع المستوردة الفاخرة وعيني تسبق يدي في فرز وتقليب المشتريات المقترحة:

شاي بالياسمين

"كورن فلكس" بالشيكولاتة

بسكويت بالفواكة

صوص بنكهة الجمبري.. معجون كافيار سويسري.. عصير كريز إنجليزي.

وفجأة.. تعثرت عيناي بقسم أطعمة القطط!

عشرات من معلبات اللحم والسمك مكدسة على الأرفف، من كل صنف وشكل ولون.. أسماك فرنساوي وإيطالي وألماني.. ولحوم من أمريكا وأخرى من نيوزيلاندا وغيرها من إنجلترا واليونان.

لكل صنف تخصص في تغذية القطة، وعدد معين من الملاعق والمرات التي ينصح الخبراء باتباعها في إطار النظام الغذائي اليومي للقطة - كما هو مكتوب على غلاف كل علبة – على غلاف العلبة أيضًا قائمة المكونات وتاريخ الإنتاج ومدة الصلاحية، والمرحلة العمرية المخصص لها هذا الصنف من الطعام المعلب الفاخر، الغني بالبروتين والفيتامينات والخالي من مكسبات الطعم واللون والمواد الحافظة الضارة!

أسعار تلك المعلبات المستوردة التي تبدأ من ١٧ جنيهًا وتصل إلى ٤٥، ذكرتني بحيرتي أمام علب التونة التي أشتريها أحيانًا كثيرة لغذائي وعشائي، فأقف أفكر - حوالي ربع ساعة - اشتري العلبة الغالية "أم ٤ جنيهات" ولا كفاية العلبة العادة ذات الجنيهين ونصف الجنيه!!

بيني وبينكم.. النظر للأطعمة والمعروضات الباقيـة فـي القسم، أنساني الوقت وأنساني اكتئابي والمشاغل التـي تمـلأ راسي، أشياء تافهة جدًّا، لا تستحق الالتفات أو الذكر..

فأين أنا من تلك "القطاقيط الحلوين" التي يبيعون لها هنـا وسائد للنوم، وبسكويتًا ملونًا على شكل عظـام وفيونكـات: لتقوية الأسنان وفرشة تنظيف الأسنان بـ ٢٠ جنيهًا، وكيس حبوب لعلاج عسر الهضم بـ ٦٠ جنيهًا، ولعب بلاسـتيكية للترفيه ومقاومة الاكتئاب بـ ٧٠ جنيهًـا، وكـريم العنايـة بالشعر بـ ٥٥ جنيهًا.

خرجت من "السوبر ماركت" بعد مدة، وقد حضرتني أغنية عبد الوهاب الخالدة، "أنا من ضيع في الأوهـام.. عمـره".. وخطر لي يومها ألا أنام، قبل أن أتحدث تليفونيا إلى الدكتور "رفيق حلمي" – وهو الطبيب المعالج لقطة إحدى صـديقاتي المرفهات – وكان بيننا الحوار التالي:

صحيح يا دكتور إن القطط تصاب بالاكتئاب مثلنا؟

أجاب بلهجة لا تخلو من الشفقة على مستوى ذكائي: بـل نحن الذين نصاب بالاكتئاب مثلها! الطبيعة وقصة الخلق تؤكد

أن كل شيء في الحيوان هو الأصل، ونحن الذين جئنا فيما بعد، فأخذنا عنها الصفات والأحاسيس وردود الأفعال.

ولكن ما الذي يمكن أن يسبب اكتئابًا لقطة؟

القطة مخلوق حساس وعنده كبرياء لا يحب "الإمارة" و"الشخط والنطر" حتى لو من صاحبه الذي يطعمه ويأويه.. لذا يقولون "زي القطط تأكل وتنكر" لأن القطط في الحقيقة تقبل الطعام، لكنها في الوقت نفسه لا تراه مبررًا لتحمل الإهانة أو سوء المعاملة أو أي تصرف يخدش كرامتها واعتزازها بنفسها.

قبل أن يختنق حلقي بالبكاء - على حالي أنا طبعًا وليس على القطط - سألته: هل طعام المعلبات المستورد يروق القطط البلدي، أم أنه فقط للقطط السيامي المدللة التي يصل ثمن بعضها إلى ٦٠٠ جنيه؟

علميًّا القطط البلدي تربية الشوارع، أكثر ذكاء وأقوى احتمالاً وتكيفًا مع الطعام المتاح ولو كان رديئًا.

ومع ذلك فلكل قطة مزاج خاص في الطعام..

وقد بلغ من اهتمام العالم الآن بطعام القطط، أنهم في أمريكا مثلاً حين يعلنون عن طعامهم المعلب، يضعون مع

صوت الإعلان العادي في التليفزيون، موجات فوق صوتية لا يدركها إلا القطط، فينتبهون نحو الشاشة، والإعلان الذي يقول بدوره: "انظر لقطتك الآن.. لِتَرَ أنها الأخرى معجبة بطعامنا المميز اللذيذ!"

لكن هل تظن أن انتقال هذا "الاهتمام القططي" من أمريكا إلى مصر، أمر مقبول أو منطقي؟

ولم لا.. القطة مخلوق ضعيف حساس، وديننا يحثنا على الرفق بالحيوان.

عفوًا يا دكتور.. صوتك يبدو متأثرًا بمضغ الطعام، هل أعطلك عن عشائك؟

رد بود : "اتفضلي معايا"..

ماذا تأكل؟

أجاب وهو يضحك: "ساندوتش فول"!!

جمعية يا رب خدني

ملعون أبو العيشة واللي عايشينها.. الواحد اتخنق وزهق وقرف.. المشاكل لا تنتهي والناس بقت "زي الزفت" ومفيش فايدة من أي شيء ولا معنى لأي شيء..

أنا مش عارف أنا عايش ليه؟

يا رب خدني وريحني..

بهذه الروح الوثابة يخرج العشرات من بيوتهم كل يوم، يمشون في الطريق العام وعلى وجه الواحد منهم "غضب الله" بعضهم يعبر الشارع بظهره، وبعضهم عيناه في المدى إلى ما لانهاية، وهو في الحقيقة غائب عن الوعي، لا يرى ما أمامه.. ومن بين أولئك "الجماعة" من تجده هادئًا مسالمًا، ينتظر واقفاً فوق الرصيف، بكل عقل وحكمة ورزانة، حتى إذا فتحت الإشارة، وانطلقت السيارات مسرعة رمى بنفسه فجأة أمام سيارة مارقة، عل وعسى تدهسه عجلاتها، فيلقى حتفه قضاءً وقدرًا ويستريح للأبد.

وهكذا هم أعضاء جمعية "يارب خدني" التي اكتشفتها، واكتشفتهم، منذ عام واحد تقريبًا، رغم أن وجودهم ونشاطهم

يسبق ذلك بكثير، ولكن.. كيف كان يمكن اكتشافهم أو التعرف عليهم، قبل أن أتعلم القيادة، وأرى كل يوم في الطريق العام، عملياتهم الانتحارية الجريئة، تتجدد بهمة أمام عيني، وأمام سيارتي أيضًا بالذات؟!

صحيح أن الحياة باهتة وسخيفة، ولا شيء يأتي من الشرق أو الغرب، يفرح العين أو يسر القلب، لكنني من المتفائلين بالدنيا، وجماعة المقبلين على الحياة، لذا قررت أن أقاوم موجة الكآبة الحارة التي جثمت على صدري في الفترة الأخيرة، بكل ما أوتيت من قوة وبمختلف الطرق والكباري، قبل أن تتطور الحالة وتكبر أو يتأزم الموقف أكثر، وأجد نفسي عضوًا عاملاً جديدًا، في جمعية "يارب خدني" أصحاب المبدأ الفلسفي المعروف "الموت هو الحل".

كتر خيرها "دوللي" صديقتي اللارج التي دلتني على الطريق الصحيح، طريق "لايف ستايل" وهو المركز الصحي الذي نقاوم بمعونته أسباب الملل ومشاعر الإحباط، ودوافع الألم والشجن والتقوقع حول الذات، وذلك بممارسة "الأيروبكس" وتمرينات "الجيم" والاشتراك في "السونا" و"الشاكوزي" مع جلسات "المساج" التي من شأنها تفتيح

المسام، وتنشيط الدورة الدموية ومساعدة الجسم على الاسترخاء، في منتهى "الريلاكس..".

"يا صباح الشاكوزي"، "ومساء الريلاكس".. هكذا يكون الدلع وإلا فلا.. وقال على رأي المثل "اللي يلاقي دلع وما يتدلعش عيشته تحرم عليّ"!

بعد التعاقد، ودفع المعلوم مقدمًا – وهو ما يوازي تقريبًا مرتب مدير إدارة شبرا التعليمية – استلمت تصريح الدخول بمواعيد حصص "الأيروبكس" وحمامات البخار "والشاكوزي" والذي منه.. وكانت جميع المعلومات والبيانات مدونة باللغة الإنجليزية، وهي اللغة الأكثر شعبية وتداولاً بين غالبية المتعاملين والمترددين على هذا المكان، الذي يعتبر اللغة العربية، لغة دون المستوى واللياقة "أوه ذو.. ستروو" ومن يتحدثها هنا بمثابة شخص بلدي "ياااي" من العامة والسوقة والدهماء، وحيث إن الأمر كذلك، قررت أن أضع لساني في فمي وأرقب ما حولي ومن حولي، دون تعليق أو مناقشة تورطني في الكلام باللغة العربية "الستروو": "البلدي".. يا ااااي.. فاكتفيت مثلاً بالابتسام وهز الرأس، حين دار حديث أمامي عن إنقاص الوزن "بالدايت، وضرورة السفر للخارج

بين فترة وأخرى، لأن الجو هنا صحي، ولا يساعد على زيادة الوزن وترهل الجسم، ولو أمضيت طول اليوم تأكل "الشيكولا"!

في غرفة تغيير الملابس، دار الحديث عن المركز الصحي المنافس في مدينة نصر، وهو ذو اشتراك شهري أقل، لكنه ذو طابع ديني متطرف، يمنع الموسيقى حتى في حصص الأيروبكس الراقصة.

على جانب آخر كانت هناك جلسة تعارف بين بعض الفتيات.

ماريان مرشدة سياحية في شركة أجنبية، و"هايدي" تعمل في شركة كمبيوتر، وياسمين تعمل في أحد مشروعات الأمم المتحدة - فرع القاهرة - والأخيرة واسمها "شرويت" خريجة جامعة أمريكية، وتسأل على حصص اليوجا وفصول الرقص الشرقي، في مركز "إنجي الصالح" بالمهندسين.

بعد تغيير الملابس، انتظمنا في صفوف داخل حجرة الأيروبكس، وبمجرد بدء موسيقى البوب الأجنبية الصاخبة، بدأنا وصلة من الحركات السريعة العنيفة والرقص ذي الإيقاع القوي المنتظم، وتعالت صيحات التشجيع من المدربة،

وصرخات الإرهاق من المتدربات حتى صرنا وكأننا تمامًا في حلقة ذكر، أو دقة زار، ساعة كاملة دون توقف نترنح يمينًا ويسارًا، على إيقاع "الله حي.. الله حي.. الله حي"!

بين فترة وأخرى كنت أتوقف قبل أن تتوقف للأبد دقات قلبي.. آخذ نفسًا، أو شربة ماء، أو أدعو على المدربة "روحي يا شيخة ربنا يهدك.. وأشوف فيكي يوم" ثم أعاود التمرين مع العد والموسيقى، وقد أيقنت أن هذا جزاء من مثلي.. فأعود أحدث نفسي وأزجرها: "عيشوا عيشة أهاليكو بقى.. بلا أيروبكس بلا مسخرة، بلا دلع بنات فاضي"!

ثم يأتي ميعاد تغيير الملابس للمرة الثانية، بما يليق وحمام البخار وبانيو الماء البارد الذي كان في الانتظار، كنت أشعر وكأن عصابة من الفتوات قد أعطتني لتوها "علقة موت" تكسرت لها ضلوعي، "وتفشفشت" أعظمي، ولكن رغم ذلك واصلت المسيرة وفي قلبي هتاف "نموت نموت وتحيا السونا"

على الباب الزجاجي الجرار، المغطى بقطرات البخار، كانت هناك مفاجأة أخرى، حيث إني ما إن دخلت، حتى وجدت أمامي السيد "........" عضو مجلس الشعب الموقر، يتحدث بحماس كعادته، ويسكت بأسلوبه القوي الذي لا يقبل

المناقشة، من كل من يطرأ على باله مقاطعته بالاعتراض أو التعليق.. وقد هالني أن أرى هذا الرجل، وقد ظهر يتحدث في هذا المكان بالذات، حيث كنت أرقبه بدهشة، وحولي مجموعة من الفتيات الممشوقات يتجمعن بملابس البحر المبتلة، ويرمقنه باستغراب، إلى أن صاحت إحداهن بصوت رقيق ونادت المشرفة المختصة، وقالت: مش معقول كده.. مشغلين القناة الأولى وبتفرجونا جلسات مجلس الشعب في "الشاكوزي"؟!

فين قناة الأغاني الفيديو كليب؟!

ولم تكذب المشرفة خبرًا فضغطت على زر الريموت كنترول ليختفي ذلك الرجل الشرس البدين، ونرى بدلاً منه على الشاشة آخر أغنيات "جينفر لوبيز" تملأ المكان بهجة وانطلاقًا، ورقص أسرع من فقعات الهواء في بانيو الماء المضيء، المتمركز تمامًا أمام شاشة التليفزيون في النادي الصحي المدعو "لايف ستايل" وهو اسم معناه بالعربي "طريقة حياة". ومع ذلك فكل ما أخشاه أن أجد نهايتي ونهاية الحياة على يد هذا المكان بالذات، وأموت فطسانة، وأنا أستمع

لأحدث أغنيات مادونا وشاكيرا، وأتابع الدش، وأشرب الشاي المثلج بنكهة الخوخ.

صحيح أن الموتة قد تبدو شاعرية "وشـيك" لكـن مـاذا سيكون موقفي أمام جمهور قرائي الأعـزاء مـن المثقفـين والمكافحين أو أمام أبناء طبقتي الوسطى الغلابة المطحونين، الذين ستستفزهم حتمًا تلك المِيتَة "الكلاس" والنهاية المكلفـة، وينعتونني بالسفه والتفاهة والتبذير بلا داعي.

حيث إن الموت واحد والمصير مشترك.. كلـه بيحصـل بعضه بتوع الشاكوزي.. وبتوع "يا رب خدني" سواء بسواء.. "اييه.. دنيا.. ولا دايم إلا وجه الله.. وحدوووه".

الموظف الذي قال لا..

احتفظ بالإجابات لنفسك.. خاصة لو كانت محرجة:

كم يبلغ عمرك الآن؟

ما مدى النجاح الذي أحرزته في عملك؟

هل تشعر بالتميز أو تتمتع بالشهرة في مجال تخصصك؟

بكم يقدر نشاطك - اقتصاديًّا - وكم يبلغ دخلك السنوي؟ عفوًا، لم أكن أقصد..

(جفف دموعك يا صديقي، ولا تبتئس ولا تتكد على روحك، كانت مجرد دردشة، ولنغير الموضوع الآن).

"ألفونس كابوني" الشهير بآل كابوني حقق من النجاح في عمله والشهرة في مجال تخصصه ما يصعب وصفه، ويتعذر تكراره، ويندر أن يناله أحد سواه..

فلك أن تتخيل شابًا لم يتعد عمره ٢٨ عامًا، وهو القائد الأوحد لأعتى عصابة في شيكاغو، والزعيم المتوج لتجارة المخدرات وتهريب الخمور في نيويورك ويحتكر إدارة جميع صالات القمار وبيوت الدعارة في أمريكا؟

وفي حين فشل البوليس في الإمساك به، وفشل زعماء العصابات المنافسة من تقويض نفوذه أو اغتياله.. نجحت وزارة العدل الأمريكية أن تقدر حجم نشاطه الاقتصادي وميزانية إمبراطوريته الإجرامية (عام ١٩٣١) بأكثر من ١٠٠ مليون دولار (كم يساوي هذا المبلغ الآن).

الطريف أن المباحث أقامت ضده أكثر من ٢٠٠٠ تهمة أقلها القتل العمد، ومع ذلك لم يتم إثبات أي اتهام عليه!!

وعلى هذا تمادى آل كابوني في توسيع سيادته وتصفية خصومه، وإرهاق المحققين وراءه دون فائدة، حتى أصبح أسطورة، وجابت سمعته أنحاء العالم..

لكن موظفًا حكوميًّا واحدًا (مجرد موظف ضرائب بسيط) نجح فيما عجز عنه الجميع، وذلك عندما استطاع بشكل روتيني بحت أن يثبت تهمة التهرب الضريبي عليه، الأمر الذي اقتضى تقديمه لمحاكمة قصيرة غرمته ٥٠ ألف دولار، مع دفع ٣٠ ألف دولار أخرى ضرائب (حق الدولة) والمبلغ كإجمالي شيء تافه لا يذكر بالنسبة لآل كابوني، لكن المفاجأة المذهلة أن هذه التهمة وحدها كانت كافية لسجنه مدة ١١ سنة!

وهي الضربة القاضية التي أذهلت إمبراطور الجريمة، حتى أنه أدمن في السجن تعاطي الكوكايين، وأصيب بعدة أمراض خطيرة ثم جاءته لوثة عقلية، فخرج من السجن مجنونًا، ليموت وحيدًا في غرفة مظلمة مغلقة حقيرة لا تتناسب أبدًا مع سمعته الدولية واسمه المعروف•• ومع ذلك بقي لنا درسًا مستفادًا:

موظف حكومي واحد، تكفل بآل كابوني وانتصر عليه، لذا إياك أن تستهين بالموظفين!! الواحد فيهم يبان ساهي وهادي ومسالم، وهو واع ومدوحر وفاهم الكفت.

يقولك: يا عم.. خلينا في حالنا.. عايزين نربي العيال.. اربط الحمار مطرح ما يقول صاحبه.. الساعة كام عايزين نروح.. على قد فلوسهم، ويتظاهر أنه مقهور ومعذور وعبد الروتين وعبد المأمور..

وهو فاهم الفولة، ومفوتها بمزاجه، ولئيم.. لو شاء خلصت الأوراق وتيسرت الأمور وإن "قفلت معاه" يسدد المسالك، ويجمرك الديناصور!!!

وقد لا يخفى على أحد قصة الديناصور الأثري الذي يبلغ من العمر ملايين السنين، وقد خرج من مصر " في رحلة

علاجية" ليتم ترميم عظامه في أمريكا – بمبلغ وقدره – ثم يعود بالسلامة إلى حيث ينتظره موقع بارز ومرموق في متحف الحفريات.

وبرغم أن الديناصور أنتيكة وعهدة، والمهمة رسمية إلا أن موظف الجمارك – فيما يبدو – عجب لهذا الزمن وعز عليه علاج الحيوانات المحنطة على نفقة الدولة في الخارج، والبني آدمين في نفس ذات البلد مرضى ومضحضحون، لا يجدون ثمن الدواء ولا العملية ولا يسترعي حالهم انتباه السادة المسئولين..

عنها وزمجر وكبرت في دماغة يستحيل أن يدخل الديناصور للبلاد، قبل تسديد الخانات وإنهاء الإجراءات ودفع الرسوم والمصروفات (وكله بالقانون) يهديك.. يرضيك..

أبدًا ولا يمكن وأصر الموظف على موقفه وحجز الديناصور لحين دفع الجمارك المستحقة، حتى تخلخلت أوصاله وتكسرت عظامه وصار فتافيت فاطمأن قلب الموظف وارتاح ضميره، وشعر أنه أخذ بثأر الأغلبية الصامتة والغلابة المسحوقين، وبناقص ديناصور..

الغريب أن نفس الحادث تجدد بعدها حين أصر موظف

آخر بجمارك المطار، عدم دخول تمثال توت عنخ آمون – العائد من ألمانيا – قبل أن تدفع وزارة الثقافة رسوما قدرها ٤٥ مليون جنيه وكسورًا!

وكالعادة فشلت المفاوضات وعجز المنطق عن إقناع الموظف المختص بأنه لا يصح معاملة "توت عنخ آمون" كغسالة مستوردة من الخارج ولها بديل في السوق المحلي، وعبثًا يحاول علماء التاريخ وخبراء الآثار حتى الآن أن يجدو مخرجًا من هذا المأزق الحكومي البيروقراطي، فالقانون لا يعرف "توت عنخ آمون"..

لو كنت من وزير الثقافة، لدفعت "الفدية" وأنقذت ذلك التمثال الثمين من قبضة الموظفين..

وإمعانًا في الاعتراف بالأمر الواقع، وتخليدًا لهذا الحادث التاريخي النادر، أعيد التمثال لمكانه في المتحف المصري، ووضع، إلى جواره يافطة مكتوب عليها بحروف مذهبة محفورة:

"كله عند العرب صابون واسأل عنا توت عنخ آمون؛

لا تندهش ولا تحتار إحنا اللي بدعنا ختم النسر، واحنا اللي جمركنا الآثار"!!!

زعيمة بالصدفة

قال "جبتك أكيد العوازل.. كدت أنـا روحـي".. قطيعـة العربيات، وسيرة الكبالن والكتاوت ووش السـلندر، وطقـم البوجيهات..

فلوس ضاعت وبقى عندي عقدة من صوت "الكربراتيـر" وخرم "الردرياتير" وتيل الفرامل، ولامؤاخذة – المسـاعدين والمقصات..

كنت أفكر الواحد بيتشري عربية، عشان يتدلع ويتفسـح، ويطلع أمريكاني، ويتعنطز على خلق الله.. أتـاري اللـي ع الشط عوام، واللي إيده في المية مش زي اللي أيده في النار.. ولو توافرت قطع الغيار"!

وعلى رأي الأوسطى عباس الميكانيكي:

"إيه يدلك على حال الحزين؟

قالوا عربية بتاكل بنزين"!

لكن الشهادة لله، عربيتي فيها اللي مكفيها، ومع ذلك برضه لها ميزة، أهم من كل الكماليات الشكلية، ووسـائل الرفاهيـة

الوهمية، في السيارات الحديثة المكيفة، أم "سنترلوك" وإنـــذار عن بعد، وأزاز بالكهربا..

والميزة أنها عربية "تربوية" يعني - لا مؤاخـــذة - كلهـــا دروس وحكم واستوعاظ!

فبخلاف ما علمتني أن "الصبر مفتـــاح الفـــرج" والســـتار موجود".. و "ما حدش عارف حاجة.. وقول يارب"..

تعلمت - أيضًا - أن الإنسان لا بد أن يتحلـــى بفضـــيلة التواضع وما ينساش أصله، النهارده العربية معايـــا وعاملـــة "هانم" وأستاذة ومشكلتي ألاقي مكان فاضي "للباركينج".. بكرة العربية "بح" مفيش.. وحلني بقى إلى حين ما ربنا ياخد بإيدها وتتصلح، أكون ركبت الميكروباص ٣٠ مرة، ورجعت لأيام تاكسي.. تاكسي..

فاضي يا اسطى؟

هاتدفعي كام؟

٧ جنيه.

لأ.. مش سكتي (!).

أول إمبارح ركبت ميكروباص - أو بلهجة العامة ميكروباز - والحقيقة كان مسليًّا للغاية.. بعضهم يتحدث في السياسة، وأحدهم ينتقد الماتش الأخير ويسب المدرب ويسخر من فكرة تنظيم كأس العالم في ٢٠١٠، وآخر ينظر شذرًا لاثنين من الحبيبة المتسكعين فوق الكوبري، ثم ينتفض قائلاً: "أعوذ بالله.. شباب ضايع منحل" ويستدير على السائق، يطلب منه بلهجة آمرة أن يغير محطة الأغاني، ويشغل قرآن..

خلفي مباشرة كانت تجلس سيدة طيبة، عالية الصوت لدرجة جعلتني أتابع رغم أنفي، ودون أي قصد أو جهد قصة خطيب ابنتها "الموكوس" الذي كان دائمًا ما يفتعل الغضب والخناق، لأنهم لا يوافقون على أن يخرج مع خطيبته للفسحة والسينما وخلافه..

وتحكي الأم أن ابنتها "العبيطة" كانت تصدقه، إلى أن أخذت أخيرًا بنصيحتها، وأخبرته أن أباها قد وافق على الخروج، وأنها نفسها تشوف الأهرامات وتدخل فيلم العيد، وتتغدى معاه في محل كباب وكفتة..

فإذا به يعتذر، متحججًا بمرض أمه، ومن يومها نسى تمامًا قصة الخروج والفسح والسينما، وانكتم واتلهى على عينه!

صديقة الأم التي كانت تنصت للقصة باهتمام، مصت شفتيها بحرقة، ثم علقت هي الأخرى بصوت مسموع: بخيل، وخايف على فلوسه.. خليه ينقرص في ٥٠ - ٦٠ جنيه عشان يعرف إن الله حق.. عامل فيها راجل وابن بارم ديله، وهو على رأيك موكوس وساعة الجد "يكسكس" ويرجع ورا، لا يصد ولا يرد!

حكايات "الميكروباز" مثيرة ومفيدة - كما ترون - ومع ذلك حرمت نفسي منها نهار أمس، وفضلت أن أستقل التاكسي، من باب السرعة وتوفير الوقت لكن.. "يا متسعجل.. عطلك الله".

المشوار الذي يقطعة "الميكروباز" في نصف ساعة والأتوبيس المكيف في ساعة ونصف، استغرق بالتاكسي قرابة الساعتين.. (حكمتك يا رب)!!

في صف انتظار طويل لا يتحرك، وزحام متجمد ومتكدس على مرمى البصر، سألت السائق:

هو فيه إيه؟

بيقولوا فيه مظاهرات في الجامعـــة، وعربيـــات الأمـــن المركزي قافلة الطريق..

مظاهرات على إيه؟

رد بزهق: أنا عارف؟! خليهم يولعوها..

(ثم التفت يدير مؤشر الراديو على أغنيـــة مـــا شـــربش الشاي.. أشرب أزوزة أنا)..

وقد كان الجو الذي أشاعته حولي كلمات الأغنية ولحنهـــا "الوقور" كفيلاً بأن يعيد لذاكرتي، خيالات المظاهرة الوحيدة، التي اشتركت فيها أيام الجامعة..

كنت بالسنة النهائية في كلية الإعلام جامعـــة القـــاهرة.. وأيامها كنت أتدرب في إحدى المجلات الأسبوعية القوميـــة، وأضع كل جهدي وحماسي في الصحافة.. لا عمري مشـــيت في مظاهرة، ولا وزعت منشورات، ولا حتى اشتركت فـــي مسيرة سلمية.

إلى أن جاء يوم سمعت فيه، عن أن الطالبات من مختلف كليات الجامعة، سينظمن مظاهرة احتجاج حاشدة يهتفن فيهـــا ضد التسيب في مواجهة جرائم اغتصاب الفتيات – بمناســـبة

اغتصاب فتاة العتبة - وكان هذا الحادث وقتها يهــز الــرأي العام ويثير ذعر البنات ومخاوف أولياء الأمور فــي أنحــاء مصر..

لهذا استجمعت شجاعتي، وأسرعت أتصل تليفونيًّا برئيس التحرير، لأخبره بالموقف المتأجج في الجامعة، واستأذنه في تغطية أحداث المظاهرة وتصويرها، لصــالح المجلــة التــي يرأسها، وأتدرب أنا فيها..

ووافق رئيس التحرير يومها بكلمات جافة مقتضبة لكنهــا كانت كافية جدًا، لأشعر بغاية النصر والإنجاز وكأني علــى أبواب عكا..

إلا أنه في اللحظات الأخيرة، تراجعت الفتيات عن فكــرة المظاهرة أساسًا، وكان هذا بالنسبة لي كارثة محققة، وتهديدًا أكيدًا يقطع أي صلة لي بالمجلة ورئيس التحرير الذي أخبرته لتوي أني سآتي له بما لم يأت به "الأوائل"!!

ووجدتني دون ترتيب أو تفكير، أتزعم الموقف، وأحشــد الصفوف وأجمع الزميلات، وأخطب فيهن خطبــة حماســية ساخنة، حتى كبر الموضوع في دماغي أنا شخصيًا، وخرجت إلى ساحة الجامعة أتزعم المظاهرة وأهتف وهن من ورائــي

بمنتهى الشجاعة والإقدام "يا وزير الداخلية.. القضية مش عادية"..!

"البداية في المعادي.. والداخلية قالت عادي"!

ونداءات وهتافات أخرى لا أذكرها الآن، لكنني أتذكر شكلي وأنا أتصبب عرقًا، وأنتفض غضبًا ومن يراني لايشك للحظة أني "زعيمة بالصدفة".

"ثورجية أونطة" أو لغرض في نفس يعقوب!

الذي حز في نفسي حقًّا، أن رئيس التحرير – بعد هذا كله – خلف وعده لي، ولم ينشر شيئًا مما كتبت.

بينما خرجت صحف الصباح ومجلات الشباب في نفس الأسبوع، تنشر التفاصيل الكاملة، عن تلك المظاهرة الطلابية النسوية، وقد أضحكتني جدًّا صورتي، التي احتلت مكانًا بارزًا في معظم المجلات المنافسة (!!!).

أقرع.. ونزهي

طول عمري فاكرة نفسي دلوعة ومرفهة وبنت ناس، وأهلي صارفين عليَّ شيء وشويات، ومش مخليين في نفسي حاجة.. وقد ظل هذا الاعتقاد غير الصحيح يسيطر على رأسي طوال سنوات حياتي، و "لن أقول كم سنة".. لكنكم لستم أغرابًا: ١٩ سنة (!).

تصوروا بقى تسعتاالشر سنة، وأنا مخدوعة ومضحوك عليَّ، وفاكرة نفسي الحيلة المدللة، لمجرد أنهم كانوا في طفولتي يحتفلون بعيد ميلادي، حول تورتة بيتي معدة في فرن البوتاجاز المنزلي "أطلس ٣ شعلة" وحين يبالغون في التعبير عن كم البهجة والانشراح الذي يعم البيت في هذه المناسبة العائلية المجيدة، يشترون لي تورتة جاهزة " من أم ٣٠ جنيه".

ويشاء العلي القدير، أن أدرك أخيرًا الحقيقة المرة، وأعرف على وجه الدقة والموضوعية قدر حجمي وغلاوتي عند أهلي، وأنا أقرأ قصة الرجل الألماني، الذي أراد أن يعبر

عن مدى سعادته بميلاد ابنته، فاشترى لها خط إنتاج كامــل، من سيارات "ديلمر" ذات الجودة الألمانية الممتازة!

وقد كانت هذه الواقعة الفريدة من نوعها، مبعــث ســعادة كبير، لأصحاب مصانع "ديملر" كانوا بالمصادفة يعانون فــي هذه الفترة أزمة مادية وتسويقية رهيبة، لهذا تفــاءلوا باســم المولودة الصغيرة "مرسيدس" وأطلقوه على جميع إنتاجهم من السيارات، ويبدو أن رأيهم كان في محله فعلاً، فــذاعت مــن يومها شهرة سيارات "مرسيدس" الألمانية فــي كــل العــالم، خاصة في مصر التي ما زلنا نعتز بها أيما اعتزاز بالتمساحة والخنزيرة، ونباهي أيما مباهاة بالشبح والبــودرة، و"عيــون صفية"!

الله يسامحك يا بابا.. يعني لو كنت جيت على نفسك شوية، وكلفت خاطرك حبتين، واشتريت لي خط إنتاج كاملا من أي مصنع محترم – إن شاالله مصنع بمب – مش كــان زمــاني دلوقت دخلت التاريخ، وبقى اسمي "مفرقع" في أرجاء الدنيا، خاصة في الأعياد والمناسبات ولو أن شركة "مرســيدس" – ديملر – تعرضت مجددًا لأزمة تسويقية مؤسفة، وكادت تهدد بوقف إنتاجها لأحدث موديلاتها من "المرسيدس العيون" ولــم

يسعفها الحظ هذه المرة برجل ألماني يضاهي "أبو مرسيدس" في ثرائه وسخائه، وأفكاره اللوذعية المجنونة، لكن دولة نامية فقيرة إلى ربها - وإلى الناس - فاجأت الجميع وأقدمت على شراء معظم خط الإنتاج في هـذا العـام، حتـى أصـبحت المرسيدس العيون في شوارعها أكثر رواجًا وانتشـارًا مـن نسبة وجودها وبيعها في ألمانيا نفسها.. وقد دفع ذلك الشركة المنتجة إلى أن تبعث بخطاب شكر رسمي لرئيس حكومة هذه الدولة الذي اشترى نسبة مهولة من سـيارات المرسـيدس - السوداء على وجه الخصوص - ووزعهـا علـى الـوزراء والكبراء والمحاسيب والأصدقاء وسائر القيـادات الحكوميـة والمحلية والبرلمانية - المسئولة وغير المسئولة - مؤكدًا مبدأ "ملعون أبو القرش إللي ما يمـتعش صـاحبه".. "واحيينـي النهاردة وموتني بكرة" و"اصرف ما في الجيب.. يأتيك ما في الغيب"، سلك أمورك تبقى حلاوة، وأديها ميه.. تديك طراوة!! وفي المقابل قام السـادة الكبـراء والـوزراء، والمحاسـيب الوجهاء، من راكبي المرسيدس العيـون، بإرسـال برقيـات الشكر الخالص والعرفان العميق، للسـيد رئـيس الـوزراء، متمنين له دوام الصحة والعافية، وداعين الله أن يصون عزه

ويعلي شأنه، وينصره على من يعاديه قادر يا كـــريم، وقـــد طمأنوا سيادته في نفس ذات البرقيات، ألا يعـــول أي هـــم، لأولئك المارقين الحاقدين، مـــن الـــذين ينتقـــدون سياســـاته الطموحة في الصحافة أو من الذين يستهدفونه بالاســـتجوابات والتساؤلات في مجلس الشعب، وإن كان على الشـــعب ذاتـــه فهم – بعون الله – قادرون على أن يجنبوه مشـــاكل أولئـــك الغوغاء الغجر، الذين يستمرئون الشكوى، وهم "أس البلاوي" وسبب الفقر، ووش النحس، بوزهم يقطع الخميرة م البيـــت، وهمه إللي جايبين البلد ورا، لا مـــنهم ولا كفايـــة شـــرهم.. داهية.. تقطع خلفهم، شعب معاك معاك.. عليك عليك.

انسجم رئيس الوزراء أيما انسجام، وهـــو يطـــوي تلـــك البرقيات الشاكرة المطمئنة، وهم واقفًـــا يســـتقبل المبعـــوث الرسمي لهيئة الطاقة الذرية، الذي دخل عليه المكتـــب فـــي ميعاده، لكنه كان على ما يبدو غاضبًا مزمجرًا، ممتقع الوجه قرفان..

سأله رئيس الوزراء خير يا مستر "جورج".. فيه حاجـــة كفاالله الشر؟ أجابه متأزمًا:

بعثة التفتيش على أسلحة الدمار الشامل فتشت في كل شبر من أرضكم..

قاطعه في لهفة يقول: نحن شعب مسالم، ودولة متعاونة، وليست لدينا أية أسلحة للدمار الشامل.

رد المبعوث: وهذا ما يجنني.. على أي حال سأكتب تقريرًا بالذي رأيته، وأرسله لأمريكا.

سأله مرعوبًا: وماذا ستكتب؟

أجاب: سأكتب أنكم الدولة الوحيدة التي فتشنا فيها فلم نجد الأسلحة، ومع ذلك وجدنا "الدمار الشامل؟!!

بِعْ هدومك.. وابتسمْ للحياة

من أجل المتوترين عصبيًّا، والمأزومين نفسيًّا، كتبت في الأسبوع الماضي، عن الوصفات الأكيدة والمشروبات المثلجة المفيدة، التي ينصح بها "الطب البديل" لعلاج قرحة المعدة، وهياج القولون، والصداع المزمن والاكتئاب.. وكنت أحسب أنني بذلك، قد أسديت خدمة جليلة، وعملت "واجبًا كبيرًا" مع إخواننا "المستضعفين في الأرض".. "المقهورين في البيت"، و"المظلومين في الشغل"، و"المنسحقين في المواصلات". فإذا بإحدى صديقاتي، تطلبني على التليفون وتقول لي:

ما هذا الهراء الذي تكتبينه؟!

ما لي أنا ووصفات الزعتر والعرقسوس، ومشاكل المعدة والقولون؟ الناس تحتاج وصفة حقيقية وجادة لعلاج المشكلات المادية الحادة.

وأضافت صديقتي بانفعال: ألا تشعرين بالمعاناة الاقتصادية.. ألا تسمعين عن أزمة الدولار ونقص السيولة وضريبة المبيعات، وارتفاع أسعار السلع الأساسية؟

أجبتها على الفور واثقة مبتسمة: وهل تعتقدين أن شيئًا مثل هذا يفوت على عبقريتي الصحفية أو يستعصي على قريحتي اللوذعية؟

الأسبوع القادم يا ست هانم، أكتب عن وصفة مجربة وأكيدة، تريحك من أزماتك المادية، مهما كانت شنيعة أو فظيعة أو مريعة.. وقد اخترت لهذا الموضوع عنوانًا جميلاً، كله تفاؤل ومرح "بع هدومك وابتسم للحياة".. ما رأيك؟

قالت: وما الجديد في ذلك.. كلنا سنبيع هدومنا قريبًا دون أن ينصحنا بذلك أحد!

* لا يا أستاذة.. المسألة ليست سهلة هكذا.. "جهجهون" الدنيا اتقدمت، وبيع الهدوم بقى علم.. وفن وهندسة!

وفي أوروبا والدول المتقدمة، يبيعون هدومهم "بحرفنة" ويعرضون ملابسهم الداخلية في مزادات لها أساليب دعائية مدروسة، وأسس وقواعد تسويقية محسوبة تجعلهم يجنون من ورائها آلاف الدولارات واليورو والإسترليني.

بدا على صديقتي الاهتمام بالفكرة، فهمهمت وأنصتت، تريد مزيدًا من التفاصيل، علها تلجأ لهذه الطريقة فعلاً..

* وعن نفسي لم أفوت الفرصة، فانطلقت بحماس أقول:

عندك مثلاً "داستن هوفمان".. ممثل أمريكي عالمي، ورغم ذلك لم يتورع أن يعرض سرواله للبيع في مزاد• الأسبوع الماضي• مقابل ٧٨٠٠ دولار.

وعندما سألوه، قال سروالي يستحق.. فهو أعز الأشياء على قلبي!

و"تيكي ويبستر" نجمة حفلة افتتاح الدورة الأوليمبية في سيدني، باعت سروالها هي الأخرى بـ ١١ ألف دولار، وهو رقم قياسي لم تصل إليه الملكة البريطانية فيكتوريا "بشخص ذاتها" التي بيعت ملابسها الداخلية كلها بـ ٢١٠ جنيهات إسترلينية لا غير. بينما قميص نوم "مارلين مونرو" في فيلم "موقف الأتوبيس" لم يزد ثمنه عندما بيع في لندن عام ١٩٨٨ على ٧ آلاف جنيه إسترليني وكسور..

الهدوم بتغلى، وأساليب البيع بتتطور، وهذا ما يجب أن نلتفت له الآن باهتمام، حتى نلاحق المنافسة وسعر السوق العالمية.

قالت صديقتي: لكن كل الأسماء التي ذكرتيها من المشاهير والأثرياء؟!

* نعم..

لذلك بيعت ملابسهم في مزادات خيرية، خصص جزء كبير من دخلها للفقراء والمرضى والمعدومين. فتصوري بقى لو انتقلت الفكرة إلينا، وتبرع المشاهير والأثرياء عندنا بقطعة أو قطعتين من ملابسهم - لا مؤاخذة - "الجوانية" لصالح أبناء الشعب الكادح من المكافحين والمطحونين أمثالنا؟

ضحكت صديقتي طويلاً وقالت:

انتي بتحلمي.. ده لو (...) شخصيًّا، عمل مزاد علني مفتوح لمدة أسبوع، على قمصانه وشرباته وجزمه وفانلاته، لن يجد من يشتريها منه بأكثر من ٣٠ جنيهًا!

قلت وأنا أشاركها الضحك: وماله.. خلي كل واحد يعرف قيمته على حقيقتها.. والمسألة عرض وطلب!

شوف الشاري مين؟

كل يوم يمر من شارعنا.. ينتظر تحت شـباكي، وينـادي بأعلى صوت. لكني لا أجيب.. صوته مليء بالثقة والنفـوذ، وباله طويل، لكني لا أبالي..

أعرف أنه دائمًا في انتظار "إشارة" أو كلمة.. بعدها بدقائق يكون عند عتبة بابي، محملاً بما أتوقع وما لا أتوقع من تحف وهدايا ومفاجآت.. عند قدمي يلقى بأغلى وأحلى ما عنـده.. ويتعشم أن أعطيه المقابل المناسب..

لكني أبدًا لا أحقق له أمله، وفي كل مرة أقـرر التراجـع والسكوت والصمود أمام إغراء نداءاتـه المنغمـة، وتكـرار عروضه السخية، فيمضي بعيدًا عن شرفتي..

أتخيل أن الإحباط سيسكت حماسه، أو ينال من ثقته بنفسه، وزهوه بالنفائس التي تتكدس في عربته.. لكنه يفاجئني واقفًـا عند المفارق ينظر نحو شرفات أخرى، وينادي مـن جديـد: "بيكيا!!!!! روبابيكيا!!!!!"!!

إنه بائع "خَرْج البيت" والملابـس المسـتعملة والتماثيـل النحاس، وأطقم الصيني الناقصـة، والزجاجـات الفارغـة،

والأواني البلاستيك، والتحف الصدئة، والكتب النادرة والساعات القديمة، والأجهزة الخربة، والسجاجيد الأثرية، والمرايا الباهتة، والبراويز المتآكلة، والصور المطموسة.. "كل شيء للبيع".. هذه شعاره، "وبيكيااا روبابيكيااا"، صيحته ونداؤه.. من قديم الأزل، وحتى اليوم، لم يفقد حماسه وهو ينادي على بضاعته في الشوارع، محاولاً لفت انتباه الزبائن، متيقنًا - في أعماق أعماقه - أن عند كل منا شيئًا يود أن يستغني عنه، وشيئًا آخر يود لو يجدده ويقتنيه.. والشيء التافه الذي يعدم قيمته عند شخص ما في وقت ما، قد يكون هو نفسه أغلى ما يعتز ويفخر بحيازته شخص آخر في زمن غير الزمن!

وقد تكفلت الأيام بتطوير "فلسفة الروبابيكيا" وجعلتها "بيزنس" على أعلى مستوى من الشهرة والاتساع والخطورة.

"نحن نشتري كل شيء" لم تعد يافطة معلقة على مخزن تاجر "الروبابيكيا" وحده.. لكنها أصبحت شعار عصر يتاجر ويزايد ويعرض للبيع كل شيء تتوقعه أولا يمكن أن تتوقعه.

في أمريكا الآن مثلاً.. يعرضون جسم الإنسان للبيع "جملة"، و"قطاعي" مشفي وبعضمه".. "فيليه وعكاوي" وكله بالتسعيرة المعلنة، تجنبًا لجشع تجار السوق السوداء!

فأي شخص لا تلزمه إحدى كليتيه يستطيع بيعها بـ ٩١ ألف دولار، وإن كان يود الاستغناء عن إحدى رئتيه فالسعر يرتفع إلى ١١٦ ألف دولار.. أما لو أحب أن يجرب نصيحة عبد الحليم حافظ " بيع قلبك بيع ودك.. شوف الشاري مين"، فوقتها سيتحصل - أو بالأحرى سيتحصل ورثته - على مبلغ ٥٧ ألف دولار فقط، فالقلب في سوق الأعضاء البشرية حاليًا، ليس هو أغلى الأعضاء، بل يتفوق عليه - ويا للعجب - سعر نخاع العظام وثمنه ٢٣ مليون دولار، بسبب أن الجسم لا يحتوي منه إلا على ١٠٠٠ جرام فقط.

وقد وصف الأطباء المزايدون والخبراء المثمنون هذه التجارة، بأنها عمليات بيع غير أخلاقية، ومع ذلك "بيزنس إز بيزنس"، وحيث إن الأمر جاد لا هزار فيه، فقد تحدد سعر الجسم كله "جملة" بدون تفكيك بما يقدر بـ ٤٥ مليون دولار، وهي ثروة "كاش" خالصة الضرائب، يتحصل عليها أي شخص يريد أن ينهي حياته، في هذا العالم المادي القذر،

ولتبدأ بعدها حياة الورثة في عالم المرح والرومانسية والانطلاق!

ومع ذلك فالرومانسية غير مضمونة هذه الأيام، وهي أيضًا للبيع.. بيكيا!!! ١٠ بلايين إسترليني يا بلاش.. ٦٠ رسالة غرامية ملتهبة بالمشاعر، ومبتلة بالدموع، وفواحة بعطر الأميرة ديانا.. باعها الضابط الندل "جيمس هيويث" أخيرًا في لندن بعد قصة حب عنيفة دامت ٥ سنوات، مع الليدي ديانا التعيسة التي سيذكر لها تاريخ البيكيا أنها أفضل من مول المزادات العالمية، بالصور والأزياء والفضائح وقصص العشق والحوادث المفجعة.

أهمها حادث موتها في النفق مع دودي الفايد، الذي تسبب في تحول حطام السيارة المرسيدس السوداء التي كانا بها في تلك الليلة المشئومة إلى قطعة روبابيكيا تذكارية كبيرة، يتنافس على شرائها مجانين اقتناء أشياء المشاهير ويبلغ ثمنها نحو ١٥ مليون دولار (!!)

وبعيدًا عن مادية لندن وأمريكا، فما نزال في مصر نحترم التقاليد والمشاعر الإنسانية.. وهو من سوء حظ أصحاب صالات المزاد، الذين باعوا رسائل وملابس ومقتنيات

ومجوهرات ومكتبات وسيارات أهم الزعماء وأشهر النجوم والشخصيات دون ملايين تذكر.

حتى في عهد الملكية كان من سوء حظ تجار الكانتو والمستعمل أن الملكة نازلي كانت تكن للملك فؤاد كراهية عميقة وعريضة ونادرة، دفعتها لبيع ملابسه – عقب موته – لتجار الروبابيكيا، دون ثمن تنكيلاً به.. فكانوا بدورهم يجوبون بها الشوارع ويعرضونها للبيع، وهم ينادون عليها "بدلة الملك فؤاد بجنيه" .. "بيكيااااا".. بجنيه.. بدلة فؤاد بجنيه!!

أشوفك في المحكمة

* لو دكتور.. "طنشي"

ولو مهندس.. "ادلقي"

ولو صحفي – وعايزة نصيحتي – "سيبك وكبري".

حتى لو لعيب كرة أو مطرب شبابي، تريثي واتقلي..

ولو جاءك بحار تجاري أو سمسار عقاري، تمهلي وفكري..

المحامي "هو العريس الوحيد" الذي يستحق موافقتك دون تفكير أو "تأجيل" أو "مداولة" وبصراحة تبقى "عبيطة" ومش عارفة مصلحتها أي بنت يتقدم لها "محامي" وتسيبه يفلت من إيديها.. حد يرفض العز وأكل الوز، ويرفس النعمة ويتبطر على الهنا؟!

على رأي المثل "البطران آخرته قطران" وأنا نصحتك وأنت حرة.. عقلك في راسك ومجلس الشورى مش بعيد..

روحي اسألي وطقسي، فقد اكتشفوا في مجلس الشوري أخيرًا أن المحامين في مصر بالذات ينتظرهم مستقبل باهر،

وغد مشرق بسام.. وذلك بعدما انتشرت في بلادنا ظاهرة التقاضي، لدرجة أن عدد القضايا المرفوعة في العام الماضي وحده بلغت ١١ مليوناً و٣٣٤ ألف قضية، بينما في الصين "التي يزيد سكانها على المليار نسمة" لم يتجاوز عدد القضايا في المحاكم – بالعام نفسه – أكثر من ١٠ ملايين قضية لا غير!

وهو ما فسره الخبراء بقولهم: إن المواطن في الصين – وكما هو الحال في أغلب دول العالم – لا يرفع دعوى أمام المحاكم إلا إذا كان ضامناً أن الحكم سيكون لمصلحته..

أما في مصر، فالناس تدخل المحاكم لأتفه الأسباب، وبعضهم يشتبك في إشكاليات قضائية ويعلن الخصومة القانونية، دون دافع مفهوم أو مبرر حقيقي، غير إشباع رغباته النفسية الانتقامية أو ممارسة العنف ضد الآخرين!

الخلاصة أن الخلق مخنوقة، لا حد طايق حد• ولا حد مستحمل حد. والناس متأزمة ومتحفزة وروحها في مناخيرها، وهو أمر يهدد بانقسام المجتمع على نفسه وينذر بعواقب وخيمة، فزع لها مجلس الشورى، فكتب تقريرًا عن الحالة ورفعه لمجلس الشعب والحكومة، مع تكليفه المركز القومي

للبحوث الجنائية والاجتماعية أن يدرس هذه الظاهرة المرعبة، ويقف على دوافعها وسبل علاجها.

الغريب أن المركز القومي للبحوث لاذ بالصمت الرهيب والتزم السكوت المريب، لا عايز يقول أسباب ولا يفتح على نفسه أبواب، ولا يخوض في سيرة حد، امتثالاً لرأي الست أم كلثوم "تفيد بإيه يا ندم.. وتعمل إيه يا عتاب".

أما الحكومة فقد سارعت بتفسر الظاهرة بكل سرور وارتياح مؤكدة أن سبب ارتفاع عدد القضايا إلى هذا الحد، يرجع إلى الانفجار السكاني والتوسع العمراني وزيادة وعي المواطنين بحقوقهم(!!)

وقد عارضت بعض الصحف هذا الرأي، وقالت إن الزيادة السكانية هي الشماعة التي يحلو للحكومة أن تعلق عليها كل الخطايا والبلايا، في حين أن الأزمة الاقتصادية وارتفاع أسعار السلع الغذائية وكثرة المظالم واتساع دائرة الفساد، هي الأسباب الأساسية في سيطرة روح العنف على المجتمع في الفترة الأخيرة، وجعل الخصومة القضائية بين الأفراد عادية وشائعة، وبعيدًا عن تلك التفسيرات الخلافية والمهاترات الجدلية، كانت "أم سكسكة" تجلس على إحدى درجات السلم

العريض لمبنى مجمع المحاكم، تنتظر جلسة النطق بالحكم في قضيتها، وإلى جوارها صديقتها "أم أيمن" تتنهد، وتمص شفتيها، ثم تهز رأسها لتؤكد اقتناعها..

فتمضي "أم سكسكة" تقول:

الناس اتسرعت بعيد عنك.. زمان كان فيه رحمة.. الوقت كل واحد ماشي بمزاجه لا عاد فيه كبير له كلمة، ولا حد تأمنيه يدخل يصلح.

تتصعب "أم أيمن" وتجد مص شفتيها بصوت مسموع.

فتكمل "أم سكسكة".

زمان كان فيه ولاد حلال وجدعان كتير.. اللي عنده كلمة طيبة يقولها، ونهايتها أخوك عند أبوك ويا بخت من قدر وعفي.. الوقت غل وسواد، مفيش بعد كده، راخر المحاكم مش مكفية الناس!

تصيح "أم أيمن": ربنا ينتقم منه الظالم المفتري.. ويقعد له في عينه وعافيته..

تهدئ "أم سكسكة" من روعها وتقول:

لو كان على الواد "مكوبس" إللي بلغ عني وعن مكان المخدرات، وحسابه عند ربنا..

اللي شايله همه هو "حساب المحامي".. أجيبه منين (؟!)

عندها تشهق أم أيمن كأنها وجدت الحل أخيرًا، فتقول: أتجوزيه.. آه والنبي مفيش غير كده.. وبدل هو ما ياخد الأتعاب تلزميه أنت بالمهر والشبكة وجميع المصاريف.

تلومها "أم سكسكة" برفق وكأنما تفكر:

يا ختي يا أم أيمن أنت كمان.. جواز إيه وبتاع إيه دلوقت؟!

تصر أم أيمن: ما على أيدك المحامي طالع واكل نازل واكل.. يعني راجل كسيب ومستقبله زي الفل، مش لسه قايلة بلسانك الناس اتسرعت والمحاكم مش مكفياهم قضايا؟

تضع أم سكسكة رأسها على يدها المثقلة بغوايش الدهب، وأخيرًا تتنهد قائلة: يظهر مفيش غير كده.. المحامي سككه كتيرة.. وما بيغلبش.

الله يرحمك يا معلم "حواش" مت وسبتني محتاسة بالبضاعة.

لولا الواحدة منا متربية وجدعة وتعرف تصون نفسها، كنت سبت تجارة المخدرات ومشيت مشي بطال..

تصيح أم أيمن: فشر.. هو احنا من دول.. الجواز سترة، ومش هتلاقي زي المحامي قيمة ومركز والفلوس متلتلة على قلبهم قد كده..

ترد أم سكسكة: على قولك.. وعلى رأي المثل "أبوها راضي وأنا راضي.. ويا بخت اللي جوزها محامي بكترة القواضي"..

طلعي يا أم أيمن المحمول، واعملي له "ميسدكول".. وزغرتي ياللي مش غرمانة..

كفاااايه.. حراام

طب والنبي إحنا ستات غلابة، وحقنا ضايع.. الوحدة مننا حلوة، و"نغشه" وشملوله ودمها شربات، لكن ملهاش حظ!

لا راجل يقدر ولا جوازة تنصف، ولا كلمـــة حنينـــة، ولا حتى يا ربي حكومة تهني أو تسر القلب.. قـــال علـــى رأي المثل "حظ العدالة مايل"!

يروحوا يشوفوا الحكومات اللي واخدة حقوق الستات فـــي العالم المتمدين، ودول الاتحاد الأوروبي.. مش الواحدة فينـــا، قلبها اتوجع، وتسأل عن الدلع، يقولوا لها: "أصله ما عـــداش على مصر"!

الحكومة في إسبانيا شديدة مع الرجالة وعارفة وفاهمة إن اللي بييجي على الولايا لا يكسب ولا يريح ولا يوعى يشوف بنور عينه، لذلك قرر البرلمان الإســـباني "بالإجمـــاع" فـــي الأسبوع الماضي أن يصرف تعويضًا قدره ٣٠٠ يورو (يعني أكثر من ٢٠٠٠ جنيه مصري) لكل سيدة يضربها زوجها في خناقة زوجية أو إثر أي مشادة كلامية!.

تخيلوا بقى لو تم تطبيق هذا النظام عندنا، ومجلس الشعب وافق بالإجماع على قانون تعويض الزوجات، بمبلـــغ ٢٥٠٠ جنيه عن كل "علقة" تاخذها من زوجها، ساعتها فعــلاً يبقـــى ضرب الحبيب زي أكل الزبيب، والخناقة الزوجية زي طبق المهلبية.

ثم إن هذا التعويض قانوني ومنطقي، أليست الحكومة هي المسئولة عن غلاء الأســعار ومشــاكل الإســكان والتعلـــيم والمواصلات، وســائر التعقيــدات الروتينيـــة، والأزمـــات والضغوط النفسية المتسببة في قهر الرجل وإتلاف أعصــــابه وخلخلة أوصاله، وبالتالي تورطه – كأسهل ما يكون – فـــي خناقة زوجية، يكيل فيها اللكمات والصفعات للست حرمــــه، أمام الأولاد والأقارب والجيران وإللي ما يشــتري يتفـــرج. الحكومة هي المسئولة عن كل هذا العنف.. خلاص.. تـــدفع بقى.. وبهذا يكون تعويض ضرب الزوجـــات، هـــو الحـــل الشامل والعادل والدائم، لإحلال السلام العائلي في المنطقة.

ونكون قد فتحنا بابًا واسعًا، لإثراء عدد غير قليــل مـــن السيدات، وأعطينا "ست البيت" الفرصة غير منقوصـــة، فـــي منافسة "المرأة العاملة" على تحسين دخل الأسرة.

وإن كان على الراجل "اللي ينشل في إيده" فنصيحتي يا سيدتي "إن اللي بيجي منه أحسن منه" وعلقة تفوت ولا حد يموت، و"كله بتمنه".. هانعمل إيه؟ ما حدش بياكلها بالساهل.

ومع ذلك فقد فكروا في الهند، كيف يحمون السيدات الناعمات أمثالنا، من ظلم الرجال الخناشير طويلي اليد واللسان، ومن أجل "كثير من الحب قليل من العنف" أصبحوا ينظمون سنويًّا مهرجاناً للأزواج، يبدأ بقرع الطبول، ثم يمتد بأن يتبارى الرجال في سب زوجاتهم وإنزال اللعنات عليهن، كتنفيس سلمي وسلبي عن الكبت والغضب المكتوم في القلوب عامًا كاملاً، وهكذا يعود الزوجان بعدها لبيتهما السعيد دون أن يكون هناك ثمة تهديد للزوجة بالإيذاء النفسي أو البدني من الزواج الذي همد وانهد، وبح صوته من الصراخ والسباب، في استاد رياضي مفتوح، لا يسمعه فيه أحد.

أما في فنلندا فيقيمون "بطولة العالم لحمل الزوجات" وفيها يحمل الرجل زوجته في طريق مملوء بالحواجز لمسافة تزيد على ٢٥٠ مترًا، ويحصل الفائز في النهاية على جائزة تعادل وزن زوجته من البيرة، وهي فكرة لو طبقناها عندنا، وأعطينا للفائز ما يعادل وزن زوجته "عرقسوس" شفا

وخمير، نكون قد أثبتنا أننا لا نقل تحضرًا أو اهتمامًا بمشاكل المرأة عن دول كثيرة في العالم، تبذل حكوماتها قصارى جهدها كي تهنن وتبغدد وتستت الجنس الناعم.

ومنها أيضًا حكومة ألمانيا، التي وافقت أخيرًا على تشريع ينص لأول مرة على إلزام الزوج بالمساهمة في أعمال المنزل ورعاية الأطفال، وإلا كان من حق الزوجة الطلاق الفوري. وعن إذنكم بقى دلوقت، الطبيخ ع النار والفراخ في الفرن، والرز لو شاط جوزي يقطعني حتت!!

حبة فوق.. وحبة تحت

سأل الطفل أباه العاقل الرزين: بابا.. لماذا تشرق الشمس من الشرق وتغرب من الغرب؟

فرد أبوه: والله.. لا أعرف.

الابن: وكيف يتحمل الجمل العطش في الصحراء؟

الأب: في الحقيقة.. لا أعرف.

الابن: ولماذا تهطل الأمطار على قمم الجبال؟

الأب: لا أعرف يا ابني.

الابن: آسف يا بابا.. أزعجتك بأسئلتي الكثيرة..

بحماس رد الأب: على الإطلاق.. فكيف ستتعلم لو لم تسألني!!

تحضرني فورًا هذه النكتة، كلما فكرت في اللجوء إلى طبيب نفسي، أشكو إليه معاناتي الإنسانية وآلامي السيكوباتية، واستشيره في مشكلاتي الشعورية المركبة، أو أسأله النصيحة حيال مخاوفي السمبساوية المعقدة..

لذلك وتماشيًا مع الحكمة القائلة: "أشكي لمين وكل الناس

مجاريح" - وهي جملة مأثورة قرأتها على الزجـــاج الخلفـــي لعربية ميكروباص - أكتفي كل مرة بدور المراقـــب العـــام للأحداث، وأتقمص كل أســبوع روح التفـاؤل والشــجاعة والتسامح، كي أكتب لكم وأقنع حضراتكم، أن الحيـــاة بقـــى لونها بمبي.. والدنيا إيه من غير أمل؟ وافرح يا قلبـــي لـــك نصيب.. تبلغ مناك ويا الحبيب.

حتى أنسى - ولو مؤقتًا أن خيبة الأمـــل راكبـــة جمـــل، والحب بهدلة خلاني قندلة، وجرحوني وقفلوا الأجزخانات!

علي عجوة - كان عكسي - يؤمن بالعلاج النفســـي، لـــذا عندما ضاقت الدنيا في وجهه، واسودت الحياة فـــي عينيـــه، أعلن العصيان المدني على الاكتئاب، وقرر أن يقاوم مشاعره المختنقة بالأسى والعذاب ويذهب للدكتور "فايق فايق" - أستاذ طـــب الأمـــراض النفســـية وعـــلاج الحـــالات الحرجـــة والمستعصية - كما المكتوب على اليافطة المرفوعة بالـــدور الثاني من عمارة عتيقة بوسط البلد، مباشرة فوق مقهى "على كيفك" لصاحبها "تسيم الخرمان" ربنا يفك حبسه..

في العيادة، غرفة الاستقبال واسعة وطلاء الحوائط رمادي شاحب، والخلفية الموسيقية هادئة مؤثرة، على نغمة (رافضك

يا زماني يا مكاني يا أواني.. أنا عايز أعيش في كوكب تاني..).

حين جاء الدور عليه دخل حجرة الكشف واستقبله الدكتور..

خير يا سيدي إن شاء الله.. بتشتكي من إيه؟

الدنيا يا دكتور.. ملطشة معايا ومش راضية تتعدل أبدا، حاسس إني مخنوق.. مش طايق نفسي، ومش طايق أشوف حد قدامي..

يوووووه ه.. ومن سمعك يا أستاذ "عجوة" تصدق بالله؟

يجيبه: لا إله إلا الله..

يكمل الدكتور منفعلاً: عهد مين ده؟ أنا لولا الدروس الخصوصية بتاعة العيال، وأقساط العربية، ومصاريف البيت إللي شانقة الواحد من رقبته، لا كنت أنزل من بيتي ولا أفتح العيادة لصنف جنس عيان.. يا راجل بلاش كلام فارغ، هي دي بقت عيشة..

روق يا دكتور روق.. دانت أتاريك مليان ومعبي، واللي فيك مكفيك..

يحقن الدكتور نفسه بحقنة "الصوديوم" المغيبة للعقل الواعي، ثم يتمدد على "الشازلونج" في هدوء محاولاً التركيز في لوحة سريالية الألوان، على الحائط أمامه، وعندها يعاود الكلام:

الناس.. الناس يا عجوة يا خويا اتغيرت عن زمان قوي.

يجيبه بحرقة: أنت هاتقولي؟ العيشة بقت غلاء فاحش والناس بقت زي الوحوش، الأخ يبيع أخوه لو طال من وراه قرشين زيادة.

برافو يا عجوة، أنت أحسن من غيرك كتير، على الأقل أنت فاهم الدنيا ماشية أزاي حواليك.. فيه ناس غيرك بتنصدم وتتأزم وتفقد قدرتها على التكيف مع المجتمع، وساعتها إما تصاب بشيزوفرينيا موزنبيقية حادة، أو تنتقل بأحاسيسها السلبية من هامش الشعور إلى بؤرة الإدراك الواعي اللامتناهي اللامترائي في المخيخ، فتشعر بألم سرمدي مأساوي مزمن.

يا ستَّار يا رب.. والله يا باشا ماشية معايا بالنفحات، بس الواحد تعب وطهق وزي ما تقول كده.. خلاااص اتعقد من كتر المشاكل.

ومين في الدنيا ما عندوش مشاكل.. حال الدنيا يا أخ "عجوة" والدنيا زي المرجيحة، حبة فوق وحبة تحت.

على قولك يا "دكترة".. وعلى رأي حمادة القهوجي: هي جت كده، واللي عنده كملة يلمها..

بتعرف تلعب "طاولة"؟

حريف..

طب ياللا قوم..

على فين؟

تعالى ننزل القهوة تحت، نلعب لنا دورين، وأهي فرصة أفضفضلك شوية، وأزيح عن قلبي.

من يومها وصارت صداقة عميقة بين علي عجوة والدكتور فايق، وأصبحا يلتقيان يوميًّا على المقهى ليلعبا الكونكان والبصرة و٣١، وهما يستمعان لأحداث الفيديو كليب على الدش، خاصة أغنية "سوسو خطر":

يا واحشني اديني رنة

الدنيا هاتبقى جنة..

هتلاقي الأعمى فتح..

والأخرس قام وغنى!

سمعت آخر نكتة؟

طيار سوري تعرضت طائرته لتوقف أحد محركاتها، فأرسل إشارة لاسلكية: النجدة.. النجدة.. هنا الرحلة رقم ١٧٤ التابعة لشركة الخطوط الجوية السورية المحرك الأيمن تعطل.. أرجو السماح لنا بالهبوط فورًا في أي مطار بالشرق الأوسط ما عدا مطارات إسرائيل.

بعد عدة دقائق لم يصل أي رد، ولاحظ الطيار أن الوقود أصبح على وشك النفاد، فأرسل إشارة لاسلكية ثانية: النجدة.. النجدة.. هنا الرحلة ١٧٤ التابعة لشركة الخطوط الجوية السورية.. الوقود على وشك النفاد.. أرجو السماح لنا بالهبوط فورًا، في أي مطار بالشرق الأوسط، ماعدا مطارات إسرائيل.

مرت دقائق أخرى، ولم يصل أي رد.. فأرسل الطيار يستغيث هنا الرحلة رقم ١٧٤ التابعة للخطوط الجوية السورية.. أرجو السماح لنا بالهبوط فورًا في أي مطار بالشرق الأوسط بما فيها مطارات إسرائيل.

بعد أقل من دقيقة، وصلته إشارة لاسلكية.

هنا مطار تل أبيب، نتحدث إليكم، ويسعدنا أن نساعدكم.

رد الطيار: حقًا! ماذا يجب أن أفعل إذن؟

إجابة المطار الإسرائيلي: كرر ورائي "باروخ أتاه أدوناي"

الطيار: ما هذا؟

المطار: دعاء يهودي قبل الموت (!!!)

هذه ليست النكتة الوحيدة، في سجل النكت اليهودية، التي أصبح التجسس عليها وجمعها في ملفات هو أحد الاهتمامات الأساسية، في أجهزة المخابرات العربية، بل والأمريكية أيضًا، من باب الوقوف على اتجاه الرأي العام داخل إسرائيل.

وقد ورد في هذه الملفات على سبيل المثال:

أمريكي ويهودي وعربي في طائرة "بوينج" أمريكية وفجأة اسقط أحد المحركات، فأعلن الطيار أنه على اثنين من الركاب أن يضحيا بنفسيهما، من أجل ألا تسقط الطائرة..

قال الأمريكي : "من أجل بلدي" وقفز من الطائرة.

وقال اليهودي : من أجل بلدي" ودفع العربي!!

ويحكى أن أحد اليهود استقل قطارًا وذهب لـــدورة الميـــاه كي يغتسل، وهناك قال للرجل الواقف على الحوض بجانبـــه: عفوًا سيدي..

هل أستطيع أن أستعير منك صابونتك؟

أجاب الرجل: بالتأكيد وأعطاه الصابونة.

لكن اليهودي سرعان ما قال له: لقد فقدت أمتعتي بالقطار، فهل تسمح لي ببعض الكريمات، وأن أستعير ماكينة الحلاقـــة الخاصة بك؟

رد الرجل في ضيق: ها هي.. تفضل

بعد دقائق استدار اليهودي وقال هل من الممكن أن أستعير فوطتك؟

أجاب الرجل محاولاً ضبط أعصابه، بالتأكيد.. خذ.

هل من الممكن أن أستعير فرشاة أسنانك؟

رد الرجل غاضبًا: آسف لن أســتطيع لمـــاذا لا تشـــتري واحدة من الصيدلية؟

فقال له اليهودي مزمجرًا: يا لك من معادٍ للسامية!!

وإن كانت "معاداة السامية" هي التهمة سابقة التجهيز عنـــد

كل يهودي، ففي مكتبة "المنظمة العربية لمناهضة التمييز" الآن، عدد كبير من الدراسات والأبحاث والكتب القيمة، التي ترد على مزاعم إسرائيل ضد العرب، وتثبت أن شعبها اليهودي هو الأكثر عنصرية وتمييزًا ضد سواه من شعوب وأجناس الأرض.

كتاب "مرة واحد يهودي" للمؤلف الشاب أحمد فؤاد، محاولة جادة للتجسس على النكت في إسرائيل، وجمعها دليلاً على حماقة وانحلال وزيف المجتمع اليهودي الذي شهد على نفسه من خلال نكتة، ومنها مثلاً:

كان أحد العلمانيين يسكن فوق حاخام يدعى "يعقوب".

وكان الحاخام يصلي كل ليلة بصوت مزعج مرتفع ويقول كلمني يا رب كما كلمت موسى، فاغتاظ الجار من هذا الإزعاج المتكرر كل ليلة، وعمل فتحة في السقف ونادى:

يا يعقووب..

رد الحاخام في فرح: نعم يا رب.. أأمرني يرب.

فقال الجار بصوت آمر.. "روح نام"!

س- كيف تم اختراع السلك النحاسي؟

ج- اثنان من اليهود وجدا قرشًا فأخذ كل منهما يجذبه في تشبث.

- وحكت فتاة يهودية لصديقتها تقول:

"شلموه" أصبح جادًّا في الارتباط بي.. لقد سألني بالأمس كم يبلغ راتبي؟

مجموعة من أجناس مختلفة تراهنوا على النزول إلى البحر ليغطسوا تحت الماء، ومن يبقى مدة أطول يفوز بدولار، بعد فترة ضاقت أنفاس المتسابقين فظهروا تباعًا على السطح، أما اليهودي، فمن يوم الرهان وحتى الآن وهو راقد تحت الماء.

وفي الجيش، شكا أحد الجنود لزميله:

القائد بتاعنا ده.. عنده "شيزوفرنيا" يعني ازدواج في الشخصية.

سأله زميله: وما المشكلة؟

أجاب: المشكلة أنني أكره الشخصيتين!

أما على مستوى السياسة، فقد روي أن أحد القادة في حزب إسرائيلي شهير، كان يحتفل بعيد زواجه الثلاثين، وفي

الحفل راقص زوجته وسألها:

هل خنتيني من قبل؟

أجابت بتلعثم: في الحقيقة نعم.

الزوج: كم مرة؟

الزوجة: ٣ مرات فقط.

الزوج: متى؟

هل تذكر عندما فشلت في إكمال رسالتك في الدكتوراه؟.. خنتك مع المشرف على الرسالة فوافق على منحها لك.

هذه تضحيه تستحق الاحترام.. والمرة الثانية؟

فاكر عندما كنت مرشحًا لتولي منصب وزير ولم يكن رئيس الوزراء موافقًا عليك.. خنتك مع رئيس الوزراء فوافق على تعيينك وزيرًا.

رد الزوج بسعادة، تصرف نبيل تستحقين عليه الشكر.. وماذا عن المرة الثالثة؟

فاكر عندما تقدمت لانتخابات زعامة الحزب.. وكان ينقصك ٤٠٠ صوت (!!!!!!)

إحنا بنشتري راجل

سقطت طائرة التجسس الأمريكية فوق أفغانستان.. فتلقفها رجال حركة "طالبان" فرحين مهللين، وتجمع حول حطامها عدد من قيادات الإخوة المجاهدين، يقتسمون الغنيمة الأمريكية الثمينة، على طريقة "اللي ييجي منهم.. أحلى من عينهم"!

بعد دقائق ازداد الملتفون حول الطائرة المنكوبة، ينزعون منها المروحة الأمامية، ليعلقوها في سقف مركز القيادة (تجيب طراوة)، ويفكون أجهزة التسجيل، ليضبطوا موجاتها على إذاعة القرآن الكريم وصوت العرب.

ثم يبحثون عن الصندوق الأسود، ليأخذوا منه شريط الكاسيت الداخلي، ويسجلوا عليه أغنية أفراح شعبية أفغانية، تقول ما معناه:

حبيبي ماشي حافي..

والأرض بتلسعه..

يا ريتني كنت شبشب..

كنت أقدر انفعه!!

وما إن علمت أمريكا بالذي حدث حتى راحت تستعد لنفيه بكبرياء، على لسان مسئوليها الكبار المتحدثين لأجهزة الإعلام، إلا وخبر حديث مثير يتصدر نشرات الأخبار في أنحاء العالم عن سقوط طائرة أمريكية ثانية، فوق الأراضي الأفغانية، بنفس الطريقة وفي نفس المكان.

ساعتها فوجئ رجال المخابرات الأمريكية بقائدهم يستند بظهره على الحائط ، ويطلب مقعدًا بسرعة وكوب ماء.

بعد أن أفاق حاول التماسك، وجمع مساعديه وتحدث إليهم (بالإنجليزية طبعًا) يقول: شوفوا بقى يا رجالة.. الكلام ده مش هاينفع.. أنا عارف دول.. ناس همج.. وعالم سو، لا ها تحوق فيهم تكنولوجيا ولا تنفع معاهم طيارات تصنت.

مفيش قدامنا غير جمع المعلومات بطرق بشرية بدائية، متخلفة شكلهم كده بالضبط.

* شرب كوب ماء كبيرًا، ثم أتبعه بكوب ثان، ثم كوب ثالث، قبل أن يكمل كلامه (بالإنجليزية برضه)، ويقول: من خبرتي الطويلة، في منطقة الشرق الأوسط أيام خدمتي في ضرب العراق وضرب السودان وضرب ليبيا وعاصفة الصحراء.. سمعت إن عندهم طريقة شعبية اسمها "فتح

المندل" بيجمعوا بيها معلومات، عن أي شخص، أو أي شيء مفقود.. يريدون العثور عليه وتحديد مكانه.. إحنا بقى يا شباب كوزموس، ها نستعمل نفس طريقتهم، لكن ضدهم.. يعني هنفتح المندل على "أسامة بن لادن" ونعرف أين يختبئ منا. وأي دول المنطقة تأويه.. المهم نضمن مساعدة "أوموسايد" قاطعه أحد رجاله وقال له: سوري سير.. نحن نعرف جهاز الموساد، لكن أحدًا منا لم يسمع عن جهاز "الموسايد" هذا؟!

* شرب القائد كوب ماء رابعًا وقد تيقن أخيرًا أنه أصيب بداء السكر، ثم توجه للمتحدث "اللمض" أمامه، وقال: اسمها "أوموسايد" يا جاهل، وهي ليست جهازًا، لكنها امرأة تحترف فتح المندل، وقراءة الكف والطالع، وتحضير الأرواح.. وهي أشهر من يعملون في هذا المجال، في إحدى دول الشرق الأوسط، ابنها الأكبر اسمه "سايد" لذا يطلقون عليها هناك لقب "أوموسايد" .. فهمت "يا ستيوبد"؟

رد الرجل بخجل، وهو يتراجع للوراء: "سوري سير".

في صباح اليوم التالي، كانت هناك بعثة، من أكفأ رجال المخابرات الأمريكية، يحيطون بالحاجة "أم سيد" في بيتها

الريفي المتواضع، وهي بينهم مندمجة في العمـــل.. تطلـــق البخور، وحرق الفك والفكوك، وتخرم راس العروس الورق، من عين بهية وست أبوها، ومن عين ذليخة ولبيبـــة ومنيـــرة وأمها ومرات أخوها، وكل إللي شافك يـــا أمريكـــا، ونضـــر مركز التجارة، وما صلاش ع النبي..

ومضت ساعة وأكثر، والدخان يتزايد في المكان، والرهبة تسيطر على الجميع.. وأخيرًا حضرت الأسياد، بنـــاء علـــى طلب الست "أم سيد" لتدلها على مكـــان "أســـامة" بـــن لادن الهارب على ظهور الجياد، والمستهدف من أمريكـــا وحلـــف الناتو والهند وإسلام آباد.. وفجأة انطلقت شعلة نار حمـــراء بين أدخنة البخور.. وهتـــف صـــوت رهيـــب أجـــش فـــي الحضور.. يقول دون عجن ولت: يا جماعـــة.. هكـــذا أنـــتم تضيعون الوقت.

ابن لادن الذي تبحثون عنه.. طلـــع مكـــار.. عفريـــت.. ملعون.. ويختبئ في آخر مكان في الكون، يمكن أن تنزلـــوا فيه قواعدكم العسكرية، أو إياه تضربون.. إنه في إســـرائيل منذ أسبوع، يختبئ كمـــا يختبـــئ الحرامـــي الشـــاطر فـــي "الكراكون".

الآن تمت مهمة الأسياد وحددنا مكان المذكور بمنتهى الأمانة والاقتدار، وقلنا لكم إللى فيه الفايدة وأنتم أحرار..

ادفعوا باقي الأتعاب للست "أم سيد" قبل ما تصوت.. وحذاري تغضب أو تعيط.. وإلا تبقى وقعتكو سودا، وتبقى مشكلة جديدة لعملية "الشالوم" في الشرق الأعبط.

بعد انصراف الأرواح في أمان، بدأ زعيم المجموعة المخابراتية الأمريكية يسلم "أم سيد" ألف دولار وراءه الثاني والثالث والرابع.. إلى أن رأت الألف العاشرة فأغشي عليها.. وعندما أفاقت وجدت العد ما زال مستمرًا، والرزم الخضراء صفوفًا تتكدس في بيتها طوابير، فصرخت في الرجل الذي أمامها وقالت: كفاية يا خويا.. كل ده عشان دليتكو على أسامة بن لادن؟!

فتبسم لها الرجل الأشقر، وقال بلكنة أمريكية واثقة: يا ست "أوموسايد" إحنا ما تهمناش الفلوس.. إحنا بنشتري راجل!

حكايتي مع.. إسرائيل

* حاجة غريبة والله..

يقولون لنا "اختصروا" وهاتوا م الآخر.. اكتبوا بتركيز واعرضوا أفكاركم في أقل عدد من الكلمات.

القارئ زهقان وقرفان وبيعاني..

القارئ وقته محدود، ونفسه مقطوع، ولم يعد عنده صبر على القراءة مثل أيام زمان! كل رؤسائي لا يفكرون إلا في راحة القارئ ونفسيته ومشاعره وأحاسيسه.. طب والصحفي الغلبان؟ أليس هو الآخر بني آدم من لحم ودم وأعصاب، ومن حقه يفضفض شوية "وينفك مع القارئ بتاعه بكلمتين"؟

أنا عن نفسي.. أموت في الفضفضة والحكي والتفاصيل، ومع ذلك مضطرة أضحي، وأسرد لكم - في أقل عدد من الكلمات - قصة الصدفة التي جمعتني بإسرائيل، وكانت سببًا في إقامة ذلك الحوار الذي أعتبره من أهم وأمتع إنجازاتي الصحفية اللوذعية في الحقبة الأولى من الألفية الثالثة!

أيامها كنت أعمل في إحدى المجلات الأسبوعية المعروفة..

وفي ذلك الصباح بالذات، دخلت مكتبي وأنا عائدة لتوي من مقابلة أحد كبار المسئولين، ذوي التاريخ العسكري المميز، والوضع السياسي المرموق، وكان الرجل - كتر خيره - قد أتاح لي فرصة الحوار معه لأكثر من ساعتين، اقتطعهما - عن طيب خاطر - من جدول أعماله الذي لا تنقطع فيه الاجتماعات والمكالمات ومراسم الاستقبال الرسمي، والمؤتمرات.

وبينما أنا منكبة في غاية التركيز والالتزام، أفرغ شريط الكاسيت الذي سجلت عليه، ذاك الحوار المهم دخل عليَّ شخص غريب، قصير القامة، أسمر اللون، يرتدي جلبابًا أزرق واسعًا وحول رقبته شال أبيض طويل..

* نعم يا سيدي - سألته - أي خدمة؟

- دار حول نفسه، كأنه طفل تائه، ثم التفت ينظر نحوي بدهشة وأخيرًا أجابني: مش عارف.

* نعم... (؟؟!)

- الأستاذ بره.. قال إنك عايزاني في موضوع.

* أنا؟..

يا سيدي ما نستغناش.. حضرتك مين بقى؟

- أنا إسرائيل.

* أفندم.. (؟!)

- "أنا إسرائيل ميخائيل مجلي".. اللي فزت في مسابقة المجلة الأسبوع ده..

* آ آ ه ه.. اتفضل اقعد..

- لا.. مفيش وقت للكلام والقعاد، أنا جاي أستلم الجايزة وأمشي.. عندي شغل.

* أعدت النظر لجلبابه الأزرق، وأمعنت في تجاعيد وجهه الأسمر، ثم سألته: بتشتغل إيه يا عم إسرائيل؟

- باشتغل بَوَّاب.. وسايب العمارة لوحدها.

* لا.. عندك حق.. المسئولية كبيرة، وواحد زيك أكيد معندوش وقت للصحافة والكلام الفاضي ده.

بتواضع العظماء، ابتسم وهز رأسه ونظر للأرض!

وبعد المحايلة والمسايسة و "تشرب إيه؟"

و"مش هناخد من وقتك كتير".. بدا وكأنه اقتنع، أو على الأقل تصور أن جلوسه معي وإجاباته عن أسئلتي جزء

من إجراءات تسلمه الجائزة.. وعلى هذا عاد الحوار يتواصل بيننا:

* اسمك غريب يا عم "إسرائيل"..

من اختار لك هذا الاسم؟!

– أبويا وأمي.. الله يسامحهم بقى.. قلتلهم ما لقيتوش غير الاسم ده.. قالولي يا بني ده من أسماء الأنبياء.. يا الله.. إحنا في دار الباطل وهما في دار الحق.. الله يرحمهم.

* هل تسبب لك هذا الاسم في أية مشكلات؟

– لا.. عندنا في الصعيد.. ناس تانية اسمها "إسرائيل" لكن أنا طول عمري أكره الاسم ده والعيال واحنا صغار كانوا بيعايروني، حاولت أغيره ما أمكنش.. ما صدقت اتجوزت وخلفت وبقى اسمي "أبو شوقي".. والناس كلها في العمارة ما تعرفش غير "هات يا أبو شوقي.. تعالى يا أبو شوقي".

* قلت له مازحة، لو عرفوا إنك "إسرائيل"

"هايفجروك"!

– أخذها جد ورد بحماس: لا.. أنا إسرائيل، لكن مصري، ومسيحي، كل المسلمين جيراني وأصحابي وأعز من

الأخوات وأبويا كان يقول "النفر ما دام عنده أدب وأمانة واحترام، يأكل عيش عدوه"..

يعني يلاقي الشغل ومساعدة الناس، إن شاالله يكون فين!

* ماذا ستفعل بالسخان الذي فزت به في مسابقة المجلة؟

- هاخده لشقة فادية بنتي، هي إللي حلت المسابقة وبعتت الجواب باسمي..

عندي فادية ومنى وشوقي وأشرف، كلهم متعلمين، وبيحبوا الكتب والمجلات وياما بعتنا في المسابقات وكسبنا سخان، فستان عروسة، و٥٠ جنيه، وحاجات كتير.

* وأنت بقى سايب طلبات العمارة والسكان ونازل حل في المسابقات؟

- العمارة بتتمسح مرة واحدة كل أسبوع، والسكان فيهم ناس بتقدر وتستاهل الخدمة، وفيهم ناس عايزة كل حاجة بلاش.. باسمعهم واطنش.

* شفت فيلم، البيه البواب"؟

- أيوه.. ممتاز.

* يعني إنت "بيه" صحيح"

- أنا "ملك".. علمت أولادي• وبنيت لهم عمـــارة، ولكـــل واحد فيهم شقة، وبقيت الفلوس رايحة ع الدكاترة، ربنا يديك الصحة..

* بتشوف التليفزيون واللي بتعمله "إسرائيل"؟

- أيوه.. وبعيد عنك بقيت أبكي زي العيـــال مـــن إللـــي بيعملوه في بتوع الانتفاضة، عـــايز أمســـك فـــي العســـاكر الإسرائيليين وآكلهم باسناني.

* تصنعت الجدية وأنا أساله: تعرف إن اســـمك يـــا عـــم "إسرائيل: ممكن يعمل لك مشاكل كبيرة في البلاد العربية؟

- أسرع يرد وقد صدق حديثي:

أنا سافرت العراق، اشتغلت هناك سواق ولم يمنعـــوني.. وحاولت أسافر ليبيا من غير عقد عمـــل، مســـكوني علـــى الحدود..

* وهكذا نسي "عم إسرائيل" العمـــارة والســـكان وســـائر المشاغل والمسئوليات الجسام، وانـــدمج يحكـــي مغـــامرات أسفاره، ومفارقات خبراته، وعشرات من التفاصيل المدهشة، التي كنت أتمنى لو أستطيع نقلهـــا إلـــيكم، لـــولا تعليمـــات الاختصار إياها، وتلـــك القـــرارات، التـــي تحرمنـــا متعـــة

الفضفضة، والرحرحة، واللت والعجن اللذيذ معك أيها القارئ العزيز..

ومع ذلك - أعزائي القراء - من يريد منكم متابعة الحوار، يرسل لي، وسأكتب له باقي التفاصيل وأبعثها على عنوانه بالبريد المستعجل.

خد الشر.. وراح

* بعيد عنك.. فيه ناس من جوه مش حلوة، نفسيتها أسود من قرن الخروب، وتدخل قلبها تقول: "مين طفى النور؟" الغل واكل كبدهم، والشماتة والقساوة في دمهم، وعلى رأي المثل "إيش ياخد الغراب من سرقة الصابون.. قالوا الأذية طبع" ! يعني نبقى في عز الحزة والجزة والأمة موكوسة والأمريكان طايحين وتلاقي ناس تقولك: لماذا لم ينتحر صدام حسين؟

بعضهم يتهمه بالجبن وقلة الكرامة، وبعضهم يستنزل عليه اللعنات السماوية ويستهدفه بالتهكم والسخرية، لأنه لم يفجر نفسه أو يطلق على رأسه الرصاص ليموت بشرف مثلما يفعل القادة المنهزمون في ألمانيا واليابان!

يا عالم اتقوا ربنا.. خلوا في قلوبكم رحمة وفي عينيكم حصوة ملح.. مش كفاية البهدلة وقلة القيمة اللي شافها وهم بيفلوه، أمام عدسات الـ CNN ، ثم ينقلون على الهواء مباشرة وقائع فحص أسنانه، مع التحفظ على الحامض النووي الذي وجدوه في فمه، عوضًا عن السلاح النووي الذي لم

يجدوه في بلاده.. ثم إن العقل والمنطق يؤكدان أن هناك ثلاثة أسباب قوية وجوهرية تمنع صدام حسين من الانتحار..

أولها: أن الانتحار حرام!

وثانيها: أننا لا بد وأن تكون لنا شخصيتنا العربية المستقلة، ونبعد عن التقليد الأعمى للغرب، مالنا نحن ومال اليابان والمنهزمين الألمان؟

إللي ما قلدناهم في التطور والتقدم والأملة العلمية والاقتصادية إللي هم فيها..

رايحين نقتدي بينهم في "هبشة الدماغ" والخيبة التقيلة.. على رأي المثل.. "علمني الهيافة يابا.. قال يا بني تعالى في الهايفة واتصدر".

ثالثًا بقى وهذا هو الأهم: صدام حسين رجل متفائل وعنده ثقة بالنفس حتى في أحلك الظروف.. والدليل على ذلك أنه أثناء القبض عليه.. خرج يقول للجنود الأمريكان: لا تطلقوا النار، أنا رئيس العراق وأريد التفاوض.. "عادي جدًّا، ولاااا أي حاجة" وكان بقاؤه في الحكم والسلطة أمر قدري خالد، أقوى من الحرب ومن أمريكا ومن احتمالات الموت نفسه، وهو ما يذكرني بموقف رئيس جمهورية "ماتغوريا" الذي كان

قد تقدم به العمر، وساءت صحته، وحين رقد يحتضر على فراشه، سمع هتاف مظاهرة شعبية تجمعت تحت نافذة قصره.. فالتفت نحو رئيس وزرائه يسأله: لماذا يتظاهر الناس تحت النافذة هكذا؟ فاقترب منه رئيس الوزراء، وهمس له في حنان: إنه شعبك يا سيدي الرئيس.. جاء لوداعك.

فتعجب رئيس "ماتغوريا" وقال له: وما الداعي للوداع.. هو الشعب هيسافر؟!

* ويحكى في ذلك - أيضًا - أن الشعب سهر طوال الليل يهتف للرئيس المحتضر، مرددًا اسم بلاده: ما.. تغوريا.. ماتغور.. يا.. ماتغور.. يا...!

* والحقيقة أن بعض الرؤساء - ومنهم صدام مثلاً - قد يجدون في العالم الآخر بعد رحيلهم، ما لم يجدوه من التقدير والإجلال والتبجيل على مدى عمرهم الأرضي الفاني بيننا، حيث المتآمرون والخونة والمدسوسون، وناس لا تفهم ولا بتقدر ولا تحمل جميلا.. أتخيل أحيانًا روح صدام حسين، وهي تصعد نحو العالم العلوي، تبحث عن المكان المخصص لها من الملكوت السماوي الفسيح فتصطدم فجأة بروح هتلر،

التي تقف لفترة تتأملها في تأفف واستعلاء، وأخيرًا ، تحييهـا بتحفظ:

* "هاي" ص دام..

- هاي هتلر.. كيف حالك؟

* أنا عظيم كالعادة.. لكن قل لي.. كيف تسـير الأمـور على الأرض، ألم تزل ألمانيا فوق الجميع؟

- ألمانيا انضمت للاتحاد الأوروبي وأمريكا الآن هي التي فوق الجميع، والشرق الأوسط تحت الجميع.

* وااوو.. لقد تغير العالم حقًا.

يقترب "آل كابوني" ويشترك في الحوار بقولـه: البقـاء دائمًا للأقوى.. والدنيا حرب عصابات كبيرة..

تتدخل شجرة الدر بعصبية: التردد.. التردد آفـة الجـنس البشري، الحكم يحتاج لقبضة من حديد والرجل الضـعيف لا يستحق أن يجلس على العرش، حتى "أيبك" الطيب الشـريف، بقى "أقطاي".. كرسي الحكم لـيس لـه قلـب، ولا يعـرف العواطف.

سفاح قديم عتيد الإجرام، يميل على أذن صدام همسًا: ولا يهمك يا أخ.. الإعدام للجدعان، وإن كان على جورج بوش، بكره يتعلم إن "الرجولة أدب مش هز اكتاف" واللـــي عملتـــه أمريكا "نيللي نيللي" مسيرة يتردلها "شريهان شريهان"

"خُطّ الصعيد" يعلق في لهجة حزينة: الغدر واعر جوي يا بوي واللي بيحز في نفس النفر مننا "الخيانة" خصوصًا لمـــا الضربة تيجي من مأمن.. إياك ما خبرش يا واكل ناسك ؟

وبصوت مبحوح كالفحيح تقول ريا: قطيعـــة مـــا حـــدش بياكلها بالساهل.. وترد عليها سكينة: والنبي صـــعبان علـــيَّ الجدع، لكن هانعملوا إيه.. هانقطعوا روحنا عليه؟!

يميل زوجها "حسب الله" ويسأل "عبد العال" عما يتوقعـــه للدول العربية في المستقبل القريب"

فتسرع ريا إلى سيكنة، يلقيان البخور، ويقرعان الطبول، ويصيحان بالصوت الحياني: حسرة عليها يا حسرة عليها..

حسرة عليها، يا حسرة عليهاااااا!!

حكيم روحاني حضرتك؟

* حابس حابس.. دستور يا اسياد..

جتتي مش خالصة، انصرف بأمان، لا تأذيني.. ولا تطلع من عيني.. انصرف بالفكك والفكوك.. انصرف وحياة أمك وأبوك..

وندرٍ عليَّ والندر دين، دستتين شمع لتمثال الحرية وأفوت أوزع عيش وفول نابت على باب السفارة الأمريكية، بس تسامحوني يا أهل الخطوة يا واصلين..

توبة من دي النوبة إن عدت انسحب من لساني وأجيب سيرة أمريكا، أو أكتب عنها كلمة كده أو كده.

وإن كان على السيد "بوش" – اسم الله على مقامه – فقد أدركت أخيرا ، أني ظلمته ظلم الحسن والحسين، وإلهي وأنت جاهي أنشك في لساني، ويفرمني الترماي، لو كنت أرجع أنتقده بالزور واتهمه بالكدب، وأقول عليه ضلالي ومفتري وأغبى إخواته.

العفو والسماح، دانا غلبانة.. جاهلة ما اعلمش وغشيمة ما أقصدش..

قال تروح فين يا صعلوك بين الملوك..

وإيش جاب لجاب.. يا صحن كباب

مالي أنا ومال السياسة الأمريكية، وضرب المسلمين واحتلال العراق، والتفتيش على الأسلحة النووية تحديدًا، وبالأخص البلاد العربية (؟).

غيرش النفر مننا يحب يعمل بطل، وفاهم وعالم ببواطن الأمور، ويفضل يناضل على الورق، ويهاتي مع نفسه، ويقول "كلام كبير" معتمدًا على أن الأمريكان لا يقرءون العربية، ولا يفهمون العامية المصرية..

طب إزاي الحال دلوقت (؟)

أهو الراجل إللي قلنا عليه، كداب وبوشين ودخل العراق دون مبرر ولا وجه حق، طلع راجل "بركة" سره باتع ومكشوف عنه الحجاب..

والإدارة الأمريكية، اللي كنا نفتكرها "هبلة ومسكوها طبلة" طلعت "ميه من تحت تبن" تبان ساهية وهي داهية، بمنتهى السهولة تقرا أفكارك ومن عينيك تقدر تقولك كل أسرارك• وعلى هذا خرج وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" يعلن على العالم أخيرًا بمنتهى الشجاعة والرجولة والضمير

المرتاح: أن حرب العراق وجدت مبررها القانوني والأخلاقي والدولي.

صحيح أنهم لم يعثروا على أسلحة الدمار الشامل، لكنهم اكتشفوا أن الرئيس السابق صدام حسين كل سينوي امتلاكها(!!)

والحقيقة أن أي شخص سطحي تافه، ويحكم على الأمور من ظواهرها، يمكنه أن يتساءل: كيف عرفت أمريكا ما تضمره نية صدام، أو غيره، مع إن النية مسألة معنوية داخلية محلها القلب، والقلب أربع غرف أذين وبطين يمينًا، وأذين وبطين شمالاً، وصمامات وأوردة وشرايين وفيلم كبير.

لكن تقول إيه بقى في شغل المعلمين؟ لو الباب يخبط يعرفوا بره مين، وأتاري الإدارة الأمريكية "مخاوية" بتفتح المندل والكوتشينة وتقرأ الكف والفنجان وتعرف المستخبي وتتنبأ بالغيب.

ومش بعيد تكون الست "كوندا ليزا رايس" مستشارة البيت الأبيض، بتبين زين، وتشوف البخت وتوشوش الودع.

ووزير الدفاع "رامسفيلد" رايح العـــراق يفـــك المربـــوط ويجوز العانس ويبطل العكوسات، ويبيع شربة الحاج محمود، تنزل الدود.

وإن كنا قد تأكدنا الآن، أن أمريكا دخلت العراق في مهمة على هذا النحو من الإنسانية والشفافية والديمقراطية، فلنقـــف معًا ٥٠ دقيقة تحية، لعلم الفلك والتنجيم، الذي تقدم جدًّا فـــي الولايات المتحدة الأمريكية، وادعوا للشيخ "بـــوش" ادعولـــه، ادعوله.. "يعمر بيت أبوه"!!

أما لو كان بيننا شخص يسأل: لماذا يمـــارس الأمريكـــان قراءة الكف والفنجان على دول المنطقة العربية دون سواها؟

فيطيب لي أن أرد عليه باختصـــار، ودون الـــدخول فـــي مناقشات طويلة، وأقول له بمنتهى التقدير وفائق الاحترام:

"يا شيخ اتنيل.. جتك نيلة"!

هم الأمريكان كده.. سلو بلدهم كده..

شايفين الدول العربية عليها سكر، وبقية دول ربنا "كـــخ" و"أياه".. إنت شريكهم؟ ويحضرني بهذه المناسبة، قصة الفتاة الأمريكية الشقراء، التي تعرض لها كلب ضال، وهـــي فـــي طريق عودتها ليلاً إلى بيتها.

وقد كان الكلب مسعورًا، وكاد يفتك بهـــا، إلا أن معظـــم المارة خـــافوا علــــى أنفســـهم، وابتعـــدوا رغـــم اســـتغاثتها وصراخها..

لكن شابًا شهمًا، كان يمر بالمصـــادفة، وشـــاهد الحـــادث فجرى نحو الكلب، وضربه على رأسه بقضيب مـــن حديـــد يحمله في يده، فخر الكلب صريعًا وأُنقذت الفتاة مـــن مـــوت محقق. كان المشهد مثيرًا ومدهشًا، حتى إنه صـــار حـــديث المدينة، وخرجت صحف الصباح، في تلك الولاية الأمريكية تشيد بالشاب الجسور، وأقيم حفل على شرفه، حضره عمـــدة الولاية ومدير الأمن والأهالي وبعض الشخصـــيات العامـــة ونجوم السينما، وبينما مذيع الحفل يخطب بصـــوت احتفـــالي جهوري، ويشكر الشاب الأمريكي أمام الجمهور، وعدســـات التصوير الصحفية، والقنوات التليفزيونيـــة، اقتـــرب الشـــاب وهمس له مصححًا: لست أمريكًا..

امتعض المذيع قليلاً.. لكنه تمالك نفسه وعاد يشيد بالشاب الإنجليزي الهمام.. لكن الشاب عاد يقترب منه ويهمس: لست أستراليًّا ولا إنجليزيًّا ولا أمريكيًّا.. أنا عربي مسلم، واســـمي "محمد"..

ساعتها صرخ المذيع أمام الجميع.. امسكوا هذا المجرم.. امسكوا الإرهابي الخطير، متحجر المشاعر، عديم الضمير والإنسانية، عدو الحيوانات والحياة البرية.

وخرجت صحف الصباح في اليوم التالي، تنشر صورة "محمد" وتحكي حكاية الشاب المتوحش الهمجي، الذي قتل الكلب الطيب البريء(!!)

سالخيير.. يا عرب

سيبك.. ربك رب قلوب، عالم ومطلع، وإحنا غلابة، وقلوبنا زي البفتة البيضا.. في حالنا، وطالبين الستر، وماشيين جنب الحيطة، لا بنش ولا بنهش، ولا نقدر نأذي نملة.. غيرش لما تضيق في وشنا، بنهلفط بالكلام حبتين ونتحمق ونسخن، واللي يشوفنا يقول الدنيا هاتولع نار.. وإحنا أطيب مننا ما تلاقيش نجعجع.. نجعجع.. وننزل على مفيش!

لكن برضه ما يضرش.. آهي الأرض بتتكلم عربي، وسقراط قال "تكلم حتى أراك" وعلى رأي المثل:

"يا عيني يا بنتي اتجوزتي وسط عيلة..

قالت ما تخافيش يا امه معايا لساني"!!

والحمد لله نحن معشر العرب، أستاذة كلام "وفنجرية بق" "وطق حنك" وفض مجالس، ولا أطول من لساننا ولا أقصر من إيدينا، ولا أرق من مشاعرنا، ولا أروش من أغانينا، شعارنا في الحروب "تبات نار تصبح رماد"..

ودستورنا في العمل "عك وربك يفك".

ورؤيتنا للمستقبل تنبني على مبدأ "هات يا زمن وتلتل"!

وإن كان على دورنا الحضاري، وموقفنا النضالي تجاه الوضع الراهن في الوقت الحالي، فبصراحة بقى "إحنا عملنا اللي علينا.. والباقي على إسرائيل".

والشهادة لله "الواحد يقول الحق ولو على رقبته" الناس عندهم طمرت فيهم العشرة، ومراعية أصول الجيرة، وفيه ناس كلت وملت من الحرب، وما تعرفش بقى ضميرها نقح عليها؟ ولا إيديها وجعتها.. من الضرب؟

لكن المهم إنها اتفقت في الآخر، تشكل جمعيات إنسانية تنادي بالسلام، وتدافع عن إنسانية المواطن العربي ضد الممارسات الوحشية، والسياسات الدموية التي يفرضها عليهم شارون وأنصارها المتشددون.

وعلى هذا قامت جماعة "بيتسليم" الإسرائيلية، المنادية بالسلام ونصرة الإنسانية، بإنتاج وتصوير أغنية فيديو كليب تزيد على العشر دقائق حول عمليات القهر والإذلال الشديد، الذي يلقاه الفلسطينيون عند المعابر المحيطة بتل أبيب.

وقد جاء بالأغنية مؤثرات صوتية حية وواقعية، من نحيب الأمهات والأطفال، وسارينة سيارات الإسعاف وصراخ من

يتعرضون للركل والتعذيب على يد جنود الجيش الإسرائيلي في أنحاء البلاد.

ويبدو أن الأغنية كان لها من قوة التأثير، ما جعلها تستدر مشاعر وتعاطف الرأي العام داخل تل أبيب وخارجها، مما أغضب شارون غاية الغضب، ودفعه لأخذ كل الإجراءات التي من شأنها منع إذاعة الأغنية، في مختلف وسائل الإعلام، فما كان من منتجي الأغنية "اليهود" إلا أن قاموا بتوزيعها على شرائط فيديو مجانًا بين المشاة في الشوارع مع التحايل - من جانب آخر - لإذاعة الأغنية صوتًا دون صورة عبر بعض القنوات التليفزيونية(!)

وحيث إني سبق وفعلت مثلك: فركت عيني وهرشت رأسي واعتدلت في جلستي، وغيرت زاوية نظري وأعدت قراءتي لتفاصيل هذا الخبر مرارً وتكرارًا.

في الصحف القومية والمستقلة قبل أن أهدأ أو أفهمه وأستوعبه على النحو الذي يستحقه من الجدية والانتباه.

لهذا يطيب لي الآن، أن أهيب بحضراتكم وبكل إخواني بني العروبة الثائرين من المحيط إلى الخليج أن يبعثوا

ببرقيات التحية والسلام لأعضاء جمعية "بيتسليم" الإسـرائيلية المسالمة.

* أولاً: شكر وعرفان على دورها الإنساني النبيـل فـي نصرة الحق وحماية المستضعفين.

* ثانيًا: مساندة وتقدير لذوقها الشديد وجدعنتها معنا ومـا قامت به نيابة عن إخواننا في الدم والدين، وذلك تقديرًا منها، لظروفنا الاقتصادية والنفسية غير المواتية، وانشغالنا الشـديد في الفترة الأخيرة بقضايا مصيرية أكثر خطورة وحساسـية، مثل إنتاج برامج: "استار ميكر" و"ستار أكاديمي" .

ومتابعة أغاني روبي وهيفاء وهبي، وإعداد ملفات إقنـاع الفيفا بتنظيم واستضافة كأس العالم لكرة القدم.

* ثالثًا: سخرية الواقع من فرط طرافتها ذكرتني، بحكايـة الرجل الذي كان يسكن قارة أنتركاتيكا في أقصـى جنـوب الكرة الأرضية المتجمدة.

ويبدو أنه كان يخشى على نفسه أن يموت من البرد، فتقدم بطلب لجامعة الدول العربية، يطلب منحه الجنسية العربيـة، وبالتالي حق العيش في أي من دول الوطن العربـي الـدافئ المترامي الأطراف.

* وأمام إلحاح الرجل وإصراره على رغبته، شكلوا لـــه لجنة امتحان، وسألوه: لماذا تريد الحصول علـــى الجنســـية العربية؟

- قال لهم: لأني قرأت كثيرًا في تاريخ العرب وأعجبتني حضارتهم وأخلاقهم الكريمة، وطبعهم الشهم الأصيل.

* زغر له رئيس اللجنة قائلاً: غلط.. وأكبر غلط• أنـــت تقول إنك قرأت كثيرًا، وهذا مخالف لأهم السمات العربيـــة، فالمواطن العربي لا يقرأ.

* السؤال الثاني: منذ متى وأنت تحاول الاتصال بأعدائنا؟

- أجاب الرجل مذعورًا: ليست لـــي أيـــة اتصـــالات أو معاملات مع أعداء العرب. أنا مخلص جدًّا للقومية العربيـــة، وكل أعداء العرب أعدائي.

* هز رئيس اللجنة رأسه مستنكفاً: يا بني أنـــت لا تفهـــم النفسية العربية بتاتًا، الرجل العربي طيب لا يحـــب العنـــف، مسالم لا يتآمر إلا على نفسه، ومتسامٍ يترفع عن الصـــغائر، ومؤمن أن "كل واحد منه لله" وما يقدر على القوي إلا الشديد القوي.. وهو لفرط حكمته يرد على منتهى الإساءة بمنتهـــى "الطناش" متبعًا قول المتنبى العظيم:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

* السؤال الثالث: اذكر ٣ أناشيد وطنية وهتافًا قوميًّا واحدًا على الأقل؟

أخيرًا وجد الرجل مخرجًا، يضمن له الفوز بالجنسية العربية فوقف فوق مقعده يهتف، بالروح بالدم نفديك يا زعيم.

وبحماس مماثل انخرط يغني على التوالي أغنية: "الحلم العربي" .. ثم "دقت ساعة العمل الثوري" ثم "أصبح عندي الآن بندقية".. "إلى فلسطين خذوني معكم".. و"أمجاد يا عرب أمجاد".. و"وطني حبيبي الوطن الأكبر".. وكانت لديه النية أن يواصل لولا أن رئيس اللجنة الممتحنة، قام لتهدئته وباس على راسة واسترضاه متوسلاً، وطمأنه مؤكدًا: "مقبول إن شاء الله.. ومرحبًا بك مواطنًا عربيًا كامل الأهلية".

وعلى هذا خرج الرجل سعيدًا فخورًا، ومشى وهو ما زال "يغني" : "عربي أنا.. أخشيني".. وحيث إنه كان المتقدم الوحيد، لنيل الجنسية العربية، فقد رفعت بعده الجلسة وانصرف الحاضرون، وأغلق خلفهم باب القاعة وبعدها علقوا على الباب يافطة "ممنوع دخول.. أي مسطول"!!!

خلّي الشعب يعيش

يا حبيبي يا جدي.. قابلت وجه رب كريم، ودخلت عـالم الخلود السرمدي النوراني العظيم، وسبتني من بعدك في الدنيا الفانية اتخبط مع عالم لبط، مشاكيح، واتبهدل على يـد نـاس حثالة دهماء، لا أصل ولا فصل ولا شجرة عيلة. ولا ليهم أي لزمة في الكون.

لكن تقول إيه.. "شبعة من بعد جوعة" وفلوس مع التيوس، وسبحان العاطي الوهاب، بعد الشبشب والقبقاب وخسيس قال للأصيل تعالى اشتغل عندنا خدام..

ضحك الأصيل، "ها هئ هي ي.." وقال أنا أطلـع فـوق جبل عالي وتاكلني الحدادي والغربان ولا يقولوش الأصـيل اشتغل عند الخسيس خدام!

خسارتك يا جدي العظيم، ما لحقتش أغاني شفيق جـلال، ولا عاصرت أحـداث ١١ سـبتمبر، ولا حضـرت حـرب العراق، ولا استشهدت في حرب ٤٨، ولا مشيت في ثـورة ١٩، ولا حتى طلعت في هوجة عرابـي، ولا شـفت فـيلم "تيتانك!

اتخطفت بدري.. الله يرحمك، ويبشبش الطوبة اللي تحـــت راسك ويجعل مثواك الجنة ونعيمها.. لا عمرك تابعت قنـــاة فضائية، ولا دخلت "إنترنت كافيه" ولا فكرت تشـــتري خـــط بيزنس من شركة "أم نبيل".. ومع ذلك كنـــت جهبـــذ وفلتـــه عصرك وأوانك، حكيم ومستنير تقدس العلم وتبجل الفنـــون، ومن يومك وأنت هاوي رسم ونحت وحساب مثلثات.

لو كانوا عملوا كلية الفنون الجميلة علـــى أيامـــك كـــانوا جابوك العميد بلا منازع أو منافس ، ومش بعيـــد لـــو كنـــت لحقت "مكتب التنسيق" كنت دخلت الهندسة، وبقيت محامي قد الدنيا وفتحت أكبر صيدلية في مصر، لكن القدر أقوى من أي شيء، وآهي أرزاق مقسمها الخلاق نصـــيبك تشـــتغل فـــي المقاولات واسمك يبقى أشهر من النار على العلم.

الناس كلها لسة فكراك وبتشكر فيـــك.. وأروح أي حتـــة ألاقي سيرتك زي المسك أبقى ماشية كده وسط العالم منفوخة وفشخورة ومش طايقة نفسي من العز والأبهة.

لذلك حفيدتك حبيبتك لسه ع العهد.. ما زلت أســـكن فـــي شارع العيلة القديم، حيث عشت أنت وبنيت أهم مشـــاريعك.. وخصصت المكان المناسب لمدافن الأسرة الكريمة.

مازلت يا جدو أسكن شارع الهرم. على مقربة شديدة من هرمك الكبير، المسمى باسمك الخالد المهيب، عنواناً لإحـــدى عجائب الدنيا السبع.

جدي "خوفو" الحبيب.. تعالى شوف اللـــي جرالـــي مـــن بعدك.. تعالى شوف الحوسة الأبدية والخيبة القوية، اللـــي لا كانت على البال ولا في النية.. تخيـــل يـــا جـــدو.. عيلتنـــا اتفركشت وأموالنا اتأممت• وأكل الفول أبو سوســـه والعـــيش المدعم وزيت التموين طمس آخر عرق للعبقرية في سلالتك المصرية.

أحفادك يا جدو خوفو، خدوا صفر في المونـــديال وبتـــوع الفيفا قالوا لهم "اجروا بلا لعب عيال".. وعارف إيه كمـــان.. بنستورد القمح، وبنلوث النيل، وعلينا ديون للدول الأجنبيـــة، وبنبني فوق الأرض الزراعية، والفرع الفقير في العيلة بقـــى كبير، كلهم بيغنوا "عشا الغلابة عليك يا كـــريم". وصـــوابع رجليهم طالعة تلعب من الشراب، وريحتها مقرفة خالص.

جدو.. جدو.. أقولك سر: سنة ساتة ابتدائي اتلغت ورجعت ٣ مرات ورا بعض، وفي آخر خمس سنين دفعنـــا ٦ مليـــار جنيه فواتير التليفون المحمول.

وكل سنة ندفع ١٢ مليون جنيه في اللبان المستورد ومليار جنيه على الشاي والقهوة والسجاير..

تعرف يا جدو.. أنا شاطرة باشرب اللبن أبو ٢٨٠ قرش الكيلو وأنام بدري، وأسمع الكلام وباذاكر ومش بأعمل أي شقاوة خالص.. بس بقيت زهقانة قوي.. الدنيا حر والهوا فيه حاجات سودة بتدخل المناخير وتخنق الزور وتجيب أمراض للناس.

إمبارح اتفرجت على الدش وشفت أغنية "ريكوو" راحت عليكي يا دنيا وراح زمن الشهادات وبقيتي يا دنيا ماشية ع السقفة وع الصاجات.. هزيها بالراحة بالراحة.. تفضلي على طول مرتاحة، هزيها بشويش بشويش.. خلّي الشعب يعيش..

(يعني إيه يا جدو هزيها بالراحة؟)

على فكرة أصحابي الشاطرين زهقانين قوي ومكتئبين ونفسهم يسافروا كلهم بره و٣٨ تمثال ذهب اختفوا من المتحف المصري.. باينهم هم كمان زهقوا وطهقوا وجابوا فيزا على أوروبا وقال يا فكيك..

بيقولوا الدنيا هناك نضيفة الناس بتفهم وتقدر والعيشة نزاجة. والحياة نظام وكله في الأوكية و"الباسيه كمبوزيه"..

جدو.. وحياتي.. أنا عارفة إنك مهم وحبايبك كتيــر فــي أنحاء العالم ممكن تجيبلي عقد عمل فــي فرنســا، أو منحــة دراسية في إيطاليا؟ أو أتعين مديرة في أي شركة إنجليــزي كبيرة وخلاص..

إن كان على الشغل.. أنت عارفني "فريكيكو" وأفوت فــي الحديد.. وإن كان على اللغة مفيش مشكلة أبدًا. وأنــا حتــى بلسانين ونبيهة وعشرية وأحب الرط واللي أقوله أعيده وكلها يومين وابقى برابند!

إنه في عام ٢٠٣٣

في أحد الفنادق الشاهقة الأكثر فخامة وشهرة في أوروبا، كان مستر "إسمايل بليز" يراقص صديقته الحسناء، في حفل الكريسماس البهيج، الذي أقيم على شرف استقبال العام الجديد (٢٠٣٣).

وما إن حانت الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل، حتى انطفأت الأنوار وانطلق صوت آلي مبرمج يردد "هابي نيو يير" بينما صديقنا مستر "إسمايل بليز" مندمج في قبلة ساخنة مع فتاة الشقراء، ساد الظلام فترة أطول من اللازم، أشاعت القلق بين الحضور وأخيرًا.. أضيئت بعض اللمبات الخافتة الاحتياطية، والتي تعمل بالطاقة الذرية الأيونية، فوق البنفسجية وتحت البرتقالية، ولم يكن هناك بد، من أن يعلن مسئولو الأمن على جمهور الحفل أن ثمة هجومًا كوكبيًّا فضائيًّا تعرضت له البلاد منذ دقائق يستدعي - مع كل الأسف - إلغاء باقي فقرات الحفل الساهر•• ومناشدة الجميع مغادرة المكان، ومن سلم الطوارئ الخلفي، بعد أن تعطلت المصاعد التي تعمل بالطاقة الكهربائية والطاقة

الكهرومغناطيسية والميجابايتية، وكذلك التي تـدار ببصـمة الصوت أو غمزة العين أو تلعيب الحواجب، وبالفعل اسـتدار الناس نحو سلم الطوارئ البدائي، يهرولون على درجاته دون نظام، ومع قوة دفع الزحام الشديد وقع مستر "إسمايل بليـز" على رأسه وداسته الأقدام، فعاد النور ينطفئ أمام عينيه مـن جديد وغاب عن الوعي، لا يدري ما حوله ولا ما يحدث له!

بعد يومين أفاق في المستشفي على صداع شديد، حاول أن يتحسس مكان الألم في رأسه، فمنعه الطبيب المعالج، وقال له بلغة أجنبية: لا تقلق يا مستر "إسمايل" .. أنت بخير.

* مستر "إسمايل" مين؟

– أنت .. مستر "إسمايل بليز"

* إيه المسخرة دي.. فيه واحد محترم في الدنيا يبقى اسمه "ابتسم من فضلك" ؛ "إسمايل بليز"؟!!.

من الذي ألصق بي هذا الاسم السخيف؟

– أجابه الطبيب متعجبًا: مستر "إسمايل".. هل حقًا نسـيت اسمك؟

* يا جدع انت أنا اسمى "إسماعيل عبد العزيـز".. مـش "إسمايل بليز".

- صاح الطبيب فزعًا: واو".. أنت إذن من أصل عربي؟.

* طبعًا عربي، هل قال لكم أحد أني لا سمح الله هندي أو ياباني؟

- مستر "إسمايل".. أنت لا تدري معنى الذي تقول.. يبدو أنك فقدت الذاكرة.. وربما تخرف بعد الحادث.

* حادث؟ هو فيه كمان حادث؟!

- اهدأ يا مستر "إسمايل" وسيكون كل شيء على ما يرام..

* يرام إيه.. وبتاع إيه.. أنا إسماعيل عبد العزيز مش، إسمايل بليز".. اتصلوا لي بالسفارة.. احجزوا لي أول طيارة.. عايز أروح بلدي..

- طيارة؟ الطيارات انتهت من ١٠ سنين يعني من عام ٢٠٣٣، العالم الآن يعتمد على الصواريخ في كل انتقالاته.. ثم إلى أين أنت ذاهب؟

بلادك لم تعد على الخريطة بعد الحروب النووية التي شنتها أمريكا على المنطقة.

* إيه ده.. هي الحرب قامت؟

- من زمااااان.

* يا خبر اسود.. وأنا كنت فين؟

- أغلب الظن أنك كنت مسافرًا للخارج، والصدمة هي التي جعلتك تفقد الذاكرة وتنسى اسمك وتعيش طوال هذه السنوات لا تعرف شيئًا عن الذي جرى لأهلك وبني جنسك العرب..

* آه صحيح.. هم جرى لهم إيه؟

- أبدًا.. الحرب الجرثومية أبادت شعبين، والقنابل النووية مسحت معالم ٣ دول، والبعض مات، وهو يقاوم الاستعمار الأجنبي، والباقي مات من الجوع!

* يعني أنا دلوقت إنسان الغاب، طويل الناب وآخر سلالة الجنس العربي المنقرض؟!

- لا يا مستر "إسمايل".. ليس إلى هذه الدرجة.. هناك بضع مئات من أهل بلدك، لا يزالون على قيد الحياة، ربما يعيشون في عزلة أو طبيعة حياتهم مختلفة، لكنك على أية حال تستطيع أن تراهم وتحادثهم، عبر هذا الجهاز، إنه جهاز كشف الحفريات الإلكتروني الناطق.

* بشوق عارم يضغط "إسمايل" على زر الجهـاز، وبعـد البحث يرى على شاشتة الملونة أشخاصًا يعرفهم فينادي يعزم ما فيه، يا عااالطف.. يا إبراهيم.. يا حسن..

= بعد فترة يرد إبراهيم متثاقلاً: من الذي ينادي؟

* إنا إسماعيل يا هيمه".. مش عارفني؟!

= أهلاااا.. أبو سمعة.. إسماعيل مين؟

* جرى إيه يا "هيمه".. نسيت إسماعيل عبـد العزيـز.. أخوك وحبيبك؟

= آه ه .. لا مؤاخذة يا سمعة.. الحرب نسيتنا ابونا.. أنت فين دلوقت؟

* أنا بكلمك من بعيد.. من بعيد قوي، المهم.. مش عـايز أي حاجـة.. أي خدمـة.. أبعتلـك دولارات.. يـورو.. إسترليني؟؟.. تحت أمرك.

= مالوش لزوم.. إحنا لغينا العملة من زمـان وعايشـين بالمقايضة.

* معقول؟ في سنة ٢٠٣٣ ، وبتتعاملوا بالبيض والسـكر والشاي؟

= بيض إيه وسكر إيه؟ إحنا بنتبادل الحشـــيش بالمعســـل وبالعكس.. باكو ماركة على كيفيك يساوي ٥ مـــن ماركـــة "بكره تندم يا جميل".. و ١٠ من ماركة "إنترفيـــو"، وهكـــذا الحياة..

* أنا مش مصدق.. أنا عايز أكلم عاطف.. هو فين؟

= إسكووت.. مش عاطف اتجوز.. عقبالك.. البركة فـــي الحرب رجعتنا العصر الحجري.

والعريس مش مطلوب منه غير رحاية الطحين، وكهـــف الزوجية، ومفيش شبكة، لا دهب ولا فضة ولا نحاس.. إحنا فين وعصر المعادن فين؟

* طيب فين حسن.. مش كان واقف جنبك من شوية؟

= تلاقيه راح عند السياح.. "إسكووت" مش إحنا بقينا بلـــد سياحي، آه والنبي.. السياح بقوا يسافروا من أنحـــاء الـــدنيا، عشان بييجوا يتفرجوا علينا، ويحدفولنا من فوق موز وفـــول سوداني..

يطفئ إسماعيل الجهاز فورًا.

- ويأتي الطبيب بعد فترة يسأله، ما الأخبار؟

فيجيبه بابتسامة عرضية وهو يقول:

* "إسكووت"..

مش أنا رجعت لي الذاكرة وعرفت إن اســـمي الحقيقـــي "إسمايل بليز"